رأى شيخ الأزهر

د. أحمد حجازى السقا

معركة هرمجدون ونزول عيسى والمهدى المنتظر

بين النفى والأثبات فى التوراة والإنجيل والقرآن



مكتبة النافذة

معـــركة هرمجدون ونـــزول عيســـى والمـــهدى المنتظـــر

بين النفى والأثبات
فى التوراة والإنجيل والقرآن



فى هذا الكتاب قام الدكتور أحمد حجازى السقا أستاذ مقارنة الأديان بجامعة الأزهر بدارسة شاملة وموثقة عن معـركة هرمجـدون ونـزول عيسى والمهدى المنتظر والدابة ويأجوج ومأجـوج فى التوراة والإنجيل والقرآن والسنة النبوية وكتب التاريخ الإسلامى ، وعرض أدلة المـؤيدين والمعارضين ، ورأى شيخ الأزهر وكبار علماء الإسلام ، وعرض بشارات النبى محمد (صلى الله عليه وسلم) فى الكتب المقدسة لتوضيح مفهوم المخلص فى الأديان ... هذه الدراسة لا غنى عنها لكل قارئ يبحث عن الحقيقة فى الموضوعات الغيبية .

الناشر






al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

معركة هرمجدون
ونزول عيسى
والمهدي المنتظر

بين النفي والإثبات
في التوراة والإنجيل والقرآن

تأليف

د/ أحمد حجازي السقا

أستاذ مقارنة الأديان

جامعة الأزهر

الناشر

مكتبة النافذة

معركة هرمجدون، ونزول عيسى، والمهدي المنتظر
بين النفي والإثبات
في التوراة والإنجيل والقرآن

تأليف: د/ أحمد حجازي السقا

الطبعة الأولى : (٢٠٠٣)

رقم الإيداع: ٥٧٩٩ / ٢٠٠٣

الناشر :

مكتبة النافذة

الجيزة : ٢ شارع الشهيد أحمد حمدي (الثلاثيني) . فيصل
ت: ٧٢٢٣٩٣٥ - م: ٠١٢٢٥٩٥٩٧٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مَدْخَل

سَاعَةُ هَرْمَجدُون

* إن كانت الساعة المراد بها ساعة المعركة الفاصلة بين المسلمين وبين اليهود في بدء ظهور الإسلام فإن المعركة الفاصلة هي «هَرمَجدون» وقد حصلت ومحمد ﷺ ظهر قبلها فيكون «المهدي المنتظر» بلغة اليهود وهو النبي ﷺ .

والمعركة وقعت في زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ سنة ٦٣٨ / ١٦هـ في موقعة هرمجدون التي هي اليرموك وقد جاء عنها في سفر الرؤيا «ثم سكب الملاك السادس جامه على النهر الكبير. الفرات. فنشف ماؤه لكي يعد طريق الملوك الذين من مشرق الشمس، ورأيت فم التنين ومن فم الوحش، ومن فم النبي الكذاب ثلاثة أرواح نجسة شبه ضفادع، فإنهم أرواح شياطين صانعة آيات تخرج على ملوك العالم وكل المسكونة، لتجمعهم لقتال ذلك اليوم العظيم يوم الله القادر على كل شيء ها أنا آتي كلص. طوبى لمن يسهر ويحفظ ثيابه، لئلا يمشي عريانًا فيروا عُريته. فجمعهم إلى الموضع الذي يُدعى بالعبرانية هرمجدون» رؤ ١٦: ١٢ - ١٦).

أما ذكر الساعة في الإنجيل فإن المسيح عليه السلام قال للحواريين: إن هيكل سليمان سيهدم من بعدي وسيصير خرابًا بذلك نسخ الشريعة اليهودية. فقالوا له: دلنا على علامات نعرف منها زمن هدمه ومجيء النبي الناسخ للشريعة اليهودية فقال لهم: ستحدث حروبًا بين الأمم، ومجاعات وأوبئة وزلازل، ويظهر أنبياء كذبة

ويضلون كثيرين، وينتشر الإنجيل في العالم بشارة بمجيء هذا النبي - ثم تحدث الحروب كما أنبأ دانيال في سفره وستكون شديدة جداً «وويل للحبالى والمرضعات في تلك الأيام» وأكد على حدوث المعركة بين النبي وأصحابه وبين اليهود وشركائهم فقال: «السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول» ونفى علمه بزمن المعركة، وقال: «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد، ولا ملائكة السموات إلا أبى وحده» (متى ٢٤).

وقال إنها ستأتي بغتة: «فاحترزوا لأنفسكم لئلا تثقل قلوبكم في خمار وسكر وهموم الدنيا فيصادفكم ذلك اليوم بغتة» (لوقا: ٢١).

علاماتُ نهايةُ السّاعة:

«ثم خرج يسوع ومضى من الهيكل. فتقدم تلاميذه لكي يروه أبنية الهيكل. فقال لهم يسوع: أما تنظرون جميع هذه. الحق أقول لكم: إنه لا يترك ههنا حجر على حجر لا يُنقض. وفيما هو جالس على جبل الزيتون تقدم إليه التلاميذ على انفراد قائلين: قل لنا متى يكون هذا؟ وما هي علامة مجيئك؟ وانقضاء الدهر؟ فأجاب يسوع وقال لهم: انظروا لا يضلكم أحد. فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين: أنا هو المسيح. ويضلون كثيرين. وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب. انظروا على أمة ومملكة على مملكة وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل في أماكن. ولكن هذه كلها مبتدأ الأوجاع. حينئذ يسلمونكم إلى ضيق ويقتلونكم وتكونون مبغضين من جميع الأمم لأجل اسمي. وحينئذ يعثر كثيرون ويسلمون بعضهم بعضاً ويبغضون بعضاً ويقوم أنبياء كذبة كثيرين ولكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين. ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص. ويكرز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع لجميع الأمم. ثم يأتي المنتهي[1].

---

(١) قال الله تعالى ﴿وأن إلى ربك المنتهى﴾

فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة في المكان المقدس. ليفهم القارئ فحينئذ ليهرب الذين في اليهودية إلى الجبال. والذي على السطح فلا ينزل ليأخذ من بيته شيئًا. والذي في الحقل فلا يرجع إلى ورائه ليأخذ ثيابه. وويل للحبالى والمرضعات في تلك الأيام. وصلوا لكي لا يكون هربكم في شتاء ولا في سبت لأنه يكون حينئذ ضيق عظيم لم يكن مثله منذ ابتداء العالم إلى الآن ولن يكون. ولو لم تقصر تلك الأيام لم يخلص جسد. ولكن لأجل المختارين تقصر تلك الأيام.

حينئذ إن قال لكم أحد: هوذا المسيح[1] هنا أو هناك؛ فلا تصدقوا. لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضًا. ها أنا قد سبقت وأخبرتكم. فإن قالوا لكم: ها هو في البرية فلا تخرجوا. ها هو في المخادع فلا تصدقوا. لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر إلى المغارب؛ هكذا يكون أيضًا مجيء ابن الإنسان. لأنه حيثما تكن الجثة فهناك تجتمع النسور.

وللوقت بعد ضيق تلك الأيام؛ تظلم الشمس والقمر لا يعطي ضوءه، والنجوم تسقط من السماء، وقوات السموات تتزعزع. وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء. وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ويبصرانه ابن الإنسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير. فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختارية من الأربع الرياح من أقصاء السموات إلى أقصائها. فمن شجرة التين تعلموا المثل. متى صار غصنها رخصًا وأخرجت أوراقها تعلمون أن الصيف قريب . هكذا أنتم أيضًا متى رأيتم هذا كله فاعلموا أنه قريب على الأبواب. الحق أقول لكم: لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله.

السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول. وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا

(١) يقصد المسيح (محمد رسول الله ﷺ) بحسب لسانهم.

يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات إلى أبي وحده. وكما كانت أيام نوح كذلك يكون أيضًا مجيء ابن الإنسان. لأنه كما كانوا في الأيام التي قبل الطوفان يأكلون ويشربون ويتزوجون ويزوجون إلى اليوم الذي دخل فيه نوح الفلك ولم يعلموا حتى جاء الطوفان وأخذ الجميع. كذلك يكون أيضًا مجيء ابن الإنسان. حينئذ يكون اثنان في الحقل. يأخذ الواحد ويترك الآخر. اثنتان تطحنان على الرحى. تؤخذ الواحدة وتترك الأخرى.

اسهروا إذًا لأنكم لا تعلمون في أية ساعة يأتي ربكم[1]. واعلموا هذا: أنه لو عرف رب البيت في أي هزيع يأتي السارق لسهر ولم يدع بيته ينقب. لذلك كونوا أنتم أيضًا مستعدين لأنه في ساعة لا تظنون يأتي ابن الإنسان. فمن هو العبد الأمين الحكيم الذي أقامه سيده على خدمه ليعطيهم الطعام في حينه؟ طوبى لذلك العبد الذي إذا جاء سيده يجده يفعل هكذا. الحق أقول لكم إنه يقيمه على جميع أمواله. ولكن إن قال ذلك العبد الرديء في قلبه: سيدي يبطئ قدومه. فيبتدئ يضرب العبيد رفقاءه ويأكل ويشرب مع السكارى. يأتي سيد ذلك العبد في يوم لا ينتظره وفي ساعة لا يعرفها. فيقطعه ويجعل نصيبه مع المرائين. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان» (متى ٢٤).

(١) ربكم: سيدكم محمد ﷺ كما قال عنه داود عليه السلام (قال الله لسيدي مزمور ١١٠).

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد النبى الأمى الكريم ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، والتابعين لهم بخير وإحسان إلى يوم الدين .

ويعد

فهذا كتابنا فى أزمنة الأمم التى هى بابل وفارس واليونان والرومان . التى إذا كَمُلَت ؛ يأتى بعد الرومان ؛ محمد ﷺ ليؤسس «ملكوت الله» على الأرض . ومن الرومان إلى مجيئه ؛ تحدثُ علامات فى الكون . ظن الأُمِّيون من المسيحين أنها علامات للقيامة . وسنذكر فى كتابنا هذا ، من كلام المثبتين لعلامات الساعة التى هى يوم القيامة كلاماً ، ونذكر فيه من كلام النافين لها كلاماً . ومن أدلة القرآن الكريم على نفيها ؛ قول الله تعالى : ﴿ يسألونك عن الساعة أيّان مُرساها؟ قل : إنما علمها عند ربى ، لا يُجلّيها لوقتها إلا هو ، ثَقُلت فى السموات والأرض . لا تأتيكم إلا بغتة . يسألونك كأنك حَفِىٌّ عنها . قل : إنما علمُها عند الله ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾

ومع هذا النص الواضح الدلالة على نفى علاماتها ، يقول جمهور أهل الحديث من المسلمين السنة والشيعة : إن للساعة التى هى ساعة يوم القيامة علامات ؛ لأحاديث مروية فى إثباتها عن النبى ﷺ ثم يثبتون فى كتبهم : أن هذه الأحاديث مروية عن طريق الواحد عن الواحد عن الواحد . وفى القرآن الكريم : أن شهادة الواحد وروايته لا تثبت حقا ، ولا تدفع باطلاً . فقد قال تعالى : ﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم﴾ أمر به فى شئون الدنيا ، ففى شئون الدين أولى وأحرى . ويثبتون فى كتبهم: أن نفراً من علماء اليهود والمسيحيين قد تظاهروا بالإسلام ، وتعدوا للتعليم فى المساجد ، وللرواية عن رسول الله ﷺ وتبين من المرويات : ما يخالف القرآن فى المعنى ، وتبين منها : أن الصحابة قد قالوا : إن الرواة قد كذبوا علينا ، وتبين من المرويات أيضا ما يخالف حقائق الدين المؤكدة .

ومثال ذلك : روى النسائى عن أبى النضر ، أنه قال لنافع مولى ابن عمر : قد أكثر عليك القول إنك تقول عن ابن عمر : أنه أفتى بأن تُؤتى النساء فى أدبارهن . قال نافع : لقد كذبوا علىّ ، ولكن سأخبرك كيف كان الأمر : إن ابن عمر عرض علىّ الصحف يوماً ، وأنا عنده . . .إلخ» ووجه الشاهد من هذا الحديث : اعتراف نافع بالكذب عليه . وهو حى يرزق .

وقال مالك لابن وهب وعلى بن زياد، لما أخبراه أن ناساً بمصر، يتحدثون عنه أنه يجيز ذلك. فنفر عن ذلك، وبادر إلى تكذيب الناقل. فقال: كذبوا عَلَىّ. كذبوا علىّ. كذبوا علىّ. ثم قال: ألستم قوماً عرباً؟ ألم يقل الله تعالى: ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ ؟ وهل يكون الحرث إلاّ فى موضع المنبت؟»فقد اعترف مالك بالكذب عليه فى حياته.

* * *

ولذلك انقسم علماء المسلمين فى شأن الاستدلال بالأحاديث التى تخالف القرآن فى المعنى، والتى لا تخالفه:

١ ـ إلى طائفة ترفض الاستدلال بها كلها فى العقائد.

٢ ـ وطائفة ترفض الاستدلال بها كلها فى العقائد والفقه.

٣ ـ وفى عصرنا هذا، صرح الأستاذ الإمام الشيخ محمد الغزالى أحمد السّقا ـ رضى الله عنه ـ برأى خلاصته:

أن السنة النبوية تنقسم إلى أربعة أقسام:

١ ـ سنة موافقة للقرآن فى المعنى.

٢ ـ وسنة مفسرة للقرآن.

٣ ـ وسنة معارضة للقرآن فى المعنى.

٤ ـ وسنة منشئة حكماً عقائديا، أو فقهيا . ليس له فى القرآن من ذكْر.

ويجب على المسلمين أن يأخذوا من السنة كلها بـ:

١ ـ السنة الموافقة.

٢ ـ والسنة المفسرة. فى العقائد وفى الفقه .

وذلك لأن الله فى القرآن يقول: ﴿ وأنزلنا إليك الذكر، لتبين للناس ما نُزِّل إليهم﴾ ويقول: ﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه﴾ والبيان: تفسير لا معارضة، ولا إنشاء، ولأن فى الأحاديث النبوية: أن عائشة ـ رضى الله عنها ـ كانت تحتج على آرائها بقولها: ﴿حسبكم كتاب الله﴾

يقول رضى الله عنه: «وعندى: أن ذلك المسلك الذى سلكته «أم المؤمنين» عائشة رضى الله عنها هو الأساس لمحاكمة الصحاح؛ إلى نصوص الكتاب الكريم، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومسلكها: هو قولها لمخالفيها: «حسبكم كتاب

الله »[1] وهو قد أخذ رأيه هذا من الإمام الجصاص ـ رضى الله عنه ـ المتوفى ٣٧٠هـ يقول فى أحكام القرآن: «إن قوله تعالى: ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم﴾ دليل على وجوب اتباع القرآن فى كل حال. وأنه غير جائز الاعتراض على حكمه بأخبار الآحاد؛ لأن الأمر باتباعه قد ثبت بنص التنزيل، وقبول خبر الواحد غير ثابت بنص التنزيل»[2]

وفى كتاب «الفتاوى» للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت/ شيخ جامع الأزهر ـ رضى الله عنه ـ كلام حسن فى رد الاستدلال بأحاديث الآحاد فى العقائد، وبيان أن علامات الساعة مروية به. ومن كلامه: « إن العلميات التى ترد بطريق قطعى، أو وردت ، ولكن لابسها احتمال فى الدلالة، فاختلف فيها العلماء، ليست من العقائد التى يكلفنا بها الدين، والتى تعتبر حدا فاصلابين الذين يؤمنون، والذين لا يؤمنون»[3]

وقال الإمام الأكبر: إن عيسى عليه السلام مات موتا طبيعيا، ودفن فى الأرض، كسائر البشر، ولم يُرفع إلى السماء بروحه وجسده. كما يقول النصارى فيه. فإنهم يقولون فيه: « وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه» وقال الإمام: ولن ينزل إلى الأرض فى نهاية الحياة الدنيا، ولن يكون نزوله من علامات الساعة. إن نزل. فالساعة تأتى بغتة. ثم ذكر اختلاف المفسرين فى آيتين ـ سنذكرهما فيما بعد ـ

* * *

وعلماء الحديث يرفضون رد الأحاديث إلى القرآن لتمييز الصحيح منها من الضعيف، ويقولون: إن تتبع أحوال الرواة لبيان صدقهم من كذبهم، هو الذى يميز الصحيح من الضعيف. وهذا منهم مخالفة لمذهب عائشة رضى الله عنها. وهم يعلمون أن فى الرواة رواة قد كذبوا على النبى ،وقوّلوه مالم يقل، وكذبوا على كثيرين من الصحابة، وقوّلوهم ما لم يقولوه وألفوا كتبا فى الدين ونسبوها إلى أئمة المسلمين الكبار. ككتاب مكاشفة القلوب. فإنه منسوب إلى شيخ الإسلام أبى حامد الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ هـ وفيه عبارات منقولة عن القرطبى المتوفى سنة ٥٧١هـ

وردُّ الأحاديث إلى القرآن؛ يستتبعُهُ رد الأحاديث المثبتة لعلامات الساعة، ويستتبعه رد الأحاديث المثبتة لنعيم فى القبر أو لعذاب .ليس لأن النبى قالها وهم يردّون قوله. بل لأن الرواة هم الذين قالوها، ونسبوها إليه. والذين يردّون غير الموافق وغير المنشئ، ظاهر ردهم؛ يُوهم أنهم يكذّبون بالرد؛ الصحابى الراوى. والحق: أنهم لا يقصدون

(١) ص ٢٣ السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث
(٢) احكام القرآن ـ للجصاص جـ٣ ص ٣٧.
(٣) ص ٦٧ الفتاوى

الراوى الصحابى بالتكذيب. فإذا قالوا: كذب أبو هريرة ـ مثلاً ـ فهم لا يقصدون أبا هريرة ـ رضى الله عنه ـ وإنما هم يقصدون الذى انتحل اسم أبى هريرة، ووضع الرواية على لسانه.

* * *

والصحابة كلهم عدول لا يكذبون، لأنهم جادوا بأرواحهم فى سبيل الله. والذى يجود بروحه، لا يُتصوّر منه الكذب. لأن الكذاب محب للدنيا، والصادق محب للآخرة. والله قد مدحهم وأثنى عليهم بقوله: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه. وأعدّ لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا . ذلك هو الفوز العظيم﴾

* * *

وهذا هو معنى كلام صاحب الفتاوى ـ رحمه الله ـ:

«آيتان قد اختلفت آراء المفسرين فى بيان المراد منهما، وجاء فى بعض ما قيل: إنهما تدلان على نزول عيسى .وهما :

١ـ قوله تعالى فى سورة النساء: ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤ منن به قبل موته﴾

٢ـ وقوله تعالى فى سورة الزخرف: ﴿وإنه لعلم للساعة فلاتمترن بها﴾

ما غاب عنا، وقت أن كتبنا الفتوى، النظر فى هاتين الآيتين وفى درجة دلالتهما على نزول عيسى، وما غاب عنا ما ذكره المفسرون من الآراء والأفهام المختلفة فيهما، وما كنا نحسب ـ ونحن بصدد البحث عن دليل قاطع يُحكم بالكفر على مخالفه ـ أن أحداً يعرض لهاتين الآيتين وقد رأى فيهما ما رأينا من أقوال المفسرين المختلفة فى ذاتيهما، والمختلفة فى ترجيحيهما، فيقول: إنهما نصان قاطعان فى نزول عيسى. ولذلك آثرنا آنذاك أن نترك الكلام عليهما لظهور درجتيهما فى الدلالة لكل من يقرأ شيئاً فى كتب التفسير. ولكنهم أبوا إلا أن يذكروا هاتين الآيتين ويزعموا أنهما تدلان دلالة قاطعة على نزول عيسى، فلذلك نجد بدأ من أن نضع بين يدى القراء خلاصة لآراء المفسرين فيهما، ثم نقفى على ذلك بما ترى بتبيين الحق واضحاً:

الآية الأولى:

للمفسرين فى هذه الآية آراء مختلفة وأشهرها رأيان:

الأول: أن الضمير فى ﴿به﴾ و ﴿موته﴾ لعيسى. والمعنى : ما من أحد من أهل

الكتاب بيهوديهم ونصرانيهم إلا ليؤمنن بعيسى قبل أن يموت عيسى. قالوا: أخبرت هذه الآية: أن أهل الكتاب سيؤمنون بعيسى قبل موته. وهم لم يؤمنوا به إلى الآن على الوجه الذى طُلب منهم؛ فلابد أن يكون عيسى إلى الآن حيا، ولابد أن يتحقق هذا الإيمان به قبل موته، وذلك إنما يكون عند نزوله آخر الزمان.

الثاني: أن الضمير فى ﴿به﴾ لعيسى، وفى ﴿موته﴾ للكتابى. والمعنى: أنه ما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن قبل موته بعيسى. والإخبار: بإيمان أهل الكتاب على هذا الوجه؛ لا يتوقف على حياة عيسى الآن، ولا على نزوله فى المستقبل، لأن المراد: أنهم يؤمنون عند معاينتهم الموت بأنه نبى الله وابن أمته» [انتهى كلامه]

ثم قال: إن ابن جرير المفسر رجح الرأى الأول. ورد عليه الشيخ الإمام بما نصه:

« إن يكن ابن جرير قد رجح أحد المعنيين فقد رجح غيره من العلماء المعنى الآخر ومنهم الإمامان: النووى والزمخشرى وغيرهما. قال ابن حجر فى فتح البارى: « ورجح جماعة هذا المذهب - يريد الثانى - بقراءة أبى بن كعب: «إلا ليؤمنن به قبل موتهم» أى أهل الكتاب. قال النووى: معنى الآية على هذا: ليس من أهل الكتاب أحد يحضره الموت إلا آمن عند المعاينة قبل خروج روحه بعيسى وأنه عبد الله وابن أمته، ولكن لا ينفعه هذا الإيمان فى تلك الحالة كما قال تعالى: ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن﴾ ثم قال: وهذا المذهب أظهر، لأن الأول يخص الكتابى الذى يدرك نزول عيسى، وظاهر القرآن عمومه فى كل كتابى فى زمن نزول عيسى وقبله. وقد ذكر صاحب الكشاف قريباً من هذا وأطال فيه ونقله عنه الإمام الرازى فى تفسيره. فليرجع إليهما من شاء.

بهذا يتبين:

١- أن هذه الآية ليست نصاً فى معنى واحد حتى تكون دليلا قاطعاً فيه.

٢- أن ما تمسك به ابن جرير فى ترجيحه للرأى الأول غير مُسلّم له، فقد بناه على أن المراد بالإيمان فى الآية: هو الإيمان المعتبر الذى ينفع صاحبه وتترتب عليه الأحكام، مع أنه إيمان - كما قرره العلماء ومنهم ابن جرير نفسه - لا يعتد به ولا يقام له وزن ولا تترتب عليه أحكام؛ لأنه إيمان جاء فى غير وقته.

٣- أن من ينظر فيما تمسك به أصحاب المذهب الثانى: من العموم الواضح فى

قوله: ﴿وإن من أهل الكتاب﴾ ومن قراءة أبيّ: « إلا ليؤمنن به قبل موتهم» ومن أنه إيمان لا ينفع صاحبه عند الجميع، لا يسعه إلا أن يخالف ابن جرير فيما ذهب إليه، وأن يقول مع النووى عن المذهب الثانى: « وهذا المذهب أظهر» والنتيجة الحتمية لهذا كله: أن الآية ليست ظاهرة فيما يقتضى نزول عيسى، فضلا عن أن تكون قاطعة فيه»

الآية الثانية:

يقول الشيخ الإمام ما نصه:

«للمفسرين فى هذه الآية أيضاً آراء مختلفة، ومن الآراء: أن الضمير فى قوله تعالى: ﴿وإنه لَعِلْم للساعة﴾ راجع إلى محمد ﷺ أو إلى القرآن، ولكننا نستبعد هذا، ونرى أن الضمير راجع إلى عيسى. كما يراه كثير من المفسرين، وذلك لأن الحديث فى الآيات السابقة كان عن عيسى، ومع ذلك نجد خلافاً آخر، يصوره لنا بعض المفسرين بقوله: ﴿وإنه﴾: أى عيسى. ﴿لعلم للساعة﴾: أى أنه بنزوله شرط من أشراطها، أو بحدوثه بغير أب، أو بإحيائه الموتى؛ دليل على صحة البعث»[1]

ومن ذلك يتبين: أن فى توجيه كون عيسى عِلْما للساعة ثلاثة أقوال:

الأول: أنه بنزوله آخر الزمان؛ علامة من علامات الساعة.

الثانى: أنه بحدوثه من غير أب؛ دليل على إمكان الساعة.

الثالث: أنه بإحيائه الموتى؛ دليل على إمكان البعث والنشور.

وقد كان فى احتمال الآية لهذه المعانى التى يقررها المفسرون؛ كفاية فى أنها ليست نصا قاطعاً فى نزول عيسى، ولكننا لا نكتفى بهذا بل نرجح القول الثانى(وهو أن عيسى بحدوثه من غير أب؛ دليل على إمكان الساعة) معتمدين فى هذا الترجيح على ما يأتى:

١ـ أن الكلام مسوق لأهل مكة[2] الذين ينكرون البعث ويعجبون من حديثه، وقد عنى القرآن الكريم فى كثير من آياته وسوره بالرد عليهم واقتلاع الشك من قلوبهم. وطريقته فى ذلك: أن يلفت أنظارهم إلى الأشياء التى يشاهدونها فعلا أو يؤمنون بها

---

(١) تفسير أبى السعود

(٢) كان يجب على الشيخ الإمام أن يقول: إن الكلام مسوق لليهود. وذلك أن أهل مكة من ذرية إبراهيم وإسماعيل. وكانوا يعملون بالتوراة كما يعلم بها اليهود والأمم ولم يعبدوا الأصنام.

﴿ يأيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب﴾ - ﴿وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت﴾ - ﴿ فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها. إن ذلك لمحيي الموتى ﴾ وقد عرضت سورة الزخرف التى وردت فيها هذه الآية إلى هذا المعنى فى أولها: ﴿والذى نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا . كذلك تخرجون﴾

وهذه هى الطريقة المستقيمة المنتجة فى الاستدلال المقتلعة للشك، أما أن يلفت أنظارهم إلى أشياء يخبرهم هو بها كنزول عيسى، وأيضاً هو فى موضع الشك عندهم، ويطلب منهم أن يقتلعوا بهذه الأشياء ما فى قلوبهم من شك؛ فذلك طريق غير مستقيم، لأنه استدلال على شئ فى موضع الإنكار؛ بشئ هو كذلك فى الإنكار.

٢ـ ومما يؤيد هذا: قول الله تعالى تفريعاً على أن عيسى علم للساعة: ﴿ فلا تمترن بها﴾ فإنه يدل على أن الكلام مع قوم يشكون فى نفس الساعة، والعلامة إنما تكون لمن آمن بها وصدق أنها آتية لا ريب فيها، أما الذى ينكر وقوعها أو يشك فيها فهو ليس بحاجة إلى أن يتحدث فى ذلك معه عن علاماتها، بل لا يصح أن يتحدث فى ذلك معه، وإنما هو بحاجة إلى دليل يحمله على الإيمان بها أولاً، ليمكن أن يقال له بعد ذلك: هذا الذى آمنت به؛ علامته كذا.

٣ـ ثم إنه من الأصول المقررة فى فهم أساليب اللغة العربية: أن الحكم إذا أسند فى اللفظ إلى الذات، ولم تصح إرادتها معنى، قدر فى الكلام ما كان أقرب إلى الذات وأشد اتصالا بها. فإذا طبقنا هذه القاعدة على قوله تعالى: ﴿وإنه لعلم للساعة﴾ وعلمنا أن ذات عيسى من حيث هى لا يصح أن تكون مرادة هنا، وأنه لابد من تقدير فى الكلام، ثم وازنا بين النزول والخلق من غير أب، وإحياء الموتى، فلا شك أننا نجد الخلق من غير أب أقرب هذه الثلاثة إلى الذات، لأنه راجع إلى إنشائه وتكوينه لا إلى شئ عارض له، وحينئذ يتعين الحمل عليه ويكون معنى الآية الكريمة: « لا تشكوا فى الساعة، فإن الذى قَدِر علي خلق عيسى من غير أب؛ قادر عليها»

وبهذا يتبين:

أولا: أن الإخبار بنزول عيسى لا يصلح دليلا على الساعة يقتلع به ما فى نفوس المنكرين لها من شك ويصح أن يقال عقبه : ﴿فلا تمترن بها﴾

وثانياً : أن جعل عيسى بنزوله آخر الزمان علامة من علامات الساعة لا يستقيم هنا، لأن الحديث مع قوم منكرين للساعة فهم بحاجة إلى دليل عليها، لا مع قوم

مؤمنين بها حتى تذكر لهم علاماتها.

وثالثاً: أن أقرب ما تحمل عليه الآية؛ هو المعنى الثانى الذى بينا.

* * *

أما بعد . فهذه هى الآيات التى أوردوها فى شأن عيسى من رفعه أو نزوله.

ولا شك أن القارئ المنصف بعد عرضها على هذا النحو وتطبيقها على المبادئ التى ذكرناها؛ لا يخامره شك فى أنه(ليس فى القرآن الكريم ما يفيد بظاهره غلبة ظن بنزول عيسى أو رفعه، فضلا عما يفيد القطع الذى يكوّن العقيدة، ويكفر منكره. كما يزعمون)

النظرة الثانية فى الأحاديث:

والنظرة الثانية فيما ساقوا من أحاديث:

موجز ما نقول فيها: أنها لا تخرج عن كونها أحاديث آحاد، وأحاديث الآحاد مهما صحت لا تفيد يقينا يثبت عقيدة [1] يكفر منكرها.

وإنه ليؤسفنى أن أرى قوما تظاهروا بالانتساب إلى الدين والغيرة على أحاديث الرسول استباحوا لأنفسهم - فى سبيل أغراضهم الدنيا - أن يصطنعوا كل أساليب التلبيس والتمويه فى شأن أحاديث عيسى، التى لا يمكن أن يكون منها متواتر حتى على أوسع الآراء فى تحققه، وهى مع آحاديتها يكثر ويشتد فى معظمها ضعف الرواة واضطراب المتون ونكارة المعانى، فتراهم يقولون: هى متواترة. قد رواها فلان وفلان من الصحابة والتابعين، وذكرت فى كتاب كذا وكتاب كذا من كتب المتقدمين، فإذا رأوا فى بعضها ضعفاً أو اضطراباً أو نكارة؛ حاولوا التخلص من ذلك فقالوا: إن الضعيف فيها منجبر بالقوى، وإن العدالة لا تشترط فى رواة المتواتر. وهكذا يخلعون عليها ثوباً مهلهلاً من القداسة، لا رغبة فى علم ولا غيرة على حق، ولكن مكابرة وعناداً، وإصراراً على التضليل، وليقال على ألسنة العامة وأشباه العامة: إنهم حفاظ وإنهم محدثون.

* * *

بقى بعد هذا أمر لابد من تقريره: وهو أن تلك الأحاديث كيفما كانت؛ ليست من قبيل المحكم الذى لا يحتمل التأويل، حتى تكون قطعية الدلالة ، فقد تناولتها أفهام العلماء قديماً وحديثاً ولم يجدوا مانعاً من تأويلها. وقد جاء فى شرح المقاصد - بعد أن

---

(١) كان يجب عليه أن يقول: يثبت عقيدة أو يثبت نفيها. وذلك لأن الواحد؛ شاهد. والشريعة لا تقر شهادة الواحد .

قرر مؤلفها أن جميع أحاديث أشراط الساعة آحادية - ما نصه: « ولا يمتنع حملها على ظواهرها عند أهل الشريعة. . . وأوّل بعض العلماء النار الخارجة من الحجاز: بالعلم والهداية. سيما الفقه الحجازى، والنار الحاشرة للناس: بفتنة الأتراك. وفتنة الدجّال: بظهور الشر والفساد. ونزول عيسى ﷺ: باندفاع ذلك وبدو الخير والصلاح . . . الخ». ومن ذلك: ترى أن السعد - صاحب المقاصد - لا يقرر وجوب حملها على ظواهرها حتى تكون من قطعى الدلالة الذى يمتنع تأويله، وإنما يقرر بصريح العبارة: «أنه لا مانع من حملها على ظواهرها» فيعطى بذلك حق التأويل لمن انقدح فى قلبه سبب للتأويل. ثم يحدّث عن بعض العلماء: أنهم سلكوا سبيل التأويل فى هذه الأحاديث فعلاً، ويبين المعنى الذى حملوها عليه، ولا شك أن هذا لم يكن منه إلا لأنه يعتقد - كما يعتقد سائر العلماء الذين يعرفون الفرق بين ما يقبل التأويل ومالا يقبله - أن ما تدل عليه ألفاظ تلك الأحاديث ليس عقيدة يجب الإيمان بها، فمن أداه نظره إلى أن يؤمن بظاهرها؛ فله ذلك. ومن أدّاه نظره إلى تأويلها ؛فله ذلك، شأن كل ظنى فى دلالته.

ومما تقدم يتبين جلياً: أنه ليس فى الأحاديث - التى أوردوها فى شأن نزول عيسى آخر الزمان - قطعية مّا، لا من ناحية ورودها ولا من ناحية دلالتها.

النظرة الثالثة فى الإجماع:

يقى أن ننظر النظرة الثالثة فيما زعموا من إجماع فى هذا المقام.

وأحب أن أشير هنا إلى أن « الإجماع» الذى اشتهر بين الناس أنه أصل من أصول التشريع فى الإسلام قد اختلفت فيه المذاهب والآراء اختلافا بعيدا:

اختلفوا فى حقيقته، واختلفوا فى إمكانه وتصور وقوعه، ثم اختلفوا فى حجيته. الخ. مما يتبين لنا به: أن حجية الإجماع فى ذاتها غير معلومة بدليل قطعى، فضلا عن أن يكون الحكم الذى أثبت به؛ معلوماً بدليل قطعى؛ فيكفر منكره.

ثم نقول: إن الذين ذهبوا إلى حجّية الإجماع لم يتفقوا على شئ يحتج به سوى الأحكام الشرعية العملية، أما الحسيات المستقبلة من أشراط الساعة وأمور الآخرة فقد قالوا: « إن الإجماع عليها لا يعتبر من حيث هو إجماع . لأن المجمعين لا يعلمون الغيب، بل يعتبر من حيث هو منقول عمن يطلعه الله على الغيب، فهو راجع إلى الإخبارات؛ فيأخذ حكمها، وليس من الإجماع المخصوص بأمة محمد ﷺ لأن الحسى المستقبل لا مدخل للاجتهاد فيه، فإن ورد به نص؛ فهو ثابت به ولا احتياج إلى

الإجماع، وإن لم يرد به نص؛ فلا مساغ للاجتهاد فيه»[1] وعلى هذا تخضع جميع الأخبار التى تتحدث عن أشراط الساعة. ومن بينها نزول عيسى إلى مبدأ قطعية النصوص وظنيتها فى الورود والدلالة.

خلاف قديم وحديث فى المسألة:

وعلى فرض أن أشراط الساعة مما يخضع للإجماع الذى اصطلحوا عليه. نقول: إن نزول عيسى قد استقر فيه الخلاف قديماً وحديثا:

أما قديماً: فقد نص على ذلك ابن حزم فى كتابه« مراتب الإجماع» حيث يقول: «واتفقوا على أنه لا نبى مع محمد ﷺ ولا بعده أبداً. إلا أنهم اختلفوا فى عيسى عليه السلام: أيأتى قبل يوم القيامة أو لا؟ وهو عيسى بن مريم المبعوث إلى بنى إسرائيل قبل مبعث محمد عليه السلام» كما نص عليه أيضاً القاضى عياض فى شرح مسلم، والسعد فى شرح المقاصد، وقد سقنا عباراته قريباً وهى واضحة جلية فى أن المسألة ظنية فى ورودها ودلالتها.

وأما حديثاً: فقد قرر ذلك كل من الأساتذة المغفور لهم: الشيخ محمد عبده. والسيد رشيد رضا. والأستاذ الأكبر الشيخ المراغى.

فالشيخ محمد عبده ـ رضى الله عنه ـ يذكر وهو بصدد تفسير آية آل عمران: ﴿إذ قال الله: يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلى﴾: «أن للعلماء هنا طريقتين: إحداهما: ـ وهى المشهورة ـ أنه رفع بجسمه حيا وأنه سينزل فى آخر الزمان فيحكم بين الناس بشريعتنا ثم يتوفاه الله تعالى. . . والطريقة الثانية: أن الآية على ظاهرها، وأن التوفى على معناه الظاهر المتبادر منه وهو الإماتة العادية، وأن الرفع يكون بعده وهو رفع الروح. . . الخ»

ثم يذكر: «أن لأهل هذه الطريقة فى أحاديث الرفع، والنزول تخريجين: أحدهما: أنها آحاد تتعلق بأمر اعتقادى، والأمور الاعتقادية لا يؤخذ فيها إلا بالقطعى وليس فى الباب حديث متواتر. وثانيهما: تأويل النزول» بنحو ماسبق نقله عن شرح المقاصد[2].

وقد ورد على المغفور له السيد رشيد رضا سؤال من « تونس» وفيه: (ما حالة سيدنا عيسى الآن؟ وأين جسمه من روحه؟ وما قولكم فى الآية ﴿إنى متوفيك ورافعك﴾ وإن كان حيا يرزق كما كان فى الدنيا؛ فمم يأتيه الغذاء الذى يحتاج إليه كل جسم حيوانى كما هى سنة الله فى خلقه؟)

---

(١) التحرير

(٢) الجزء الثالث من تفسير المنار

فأجابه السيد رشيد إجابة مفصلة عما سأل عنه؛ نقتطف منها ما يأتى:

قال بعد أن عرض للآيات وآراء المفسرين فيها: «وجملة القول: أنه ليس فى القرآن نص صريح فى أن عيسى رفع بروحه وجسده إلى السماء حياً حياة دنيوية بهما، بحيث يحتاج بحسب سنن الله تعالى إلى غذاء؛ فيتوجه سؤال السائل عن غذائه، وليس فيه نص صريح بأنه ينزل من السماء، وإنما هى عقيدة أكثر النصارى، وقد حاولوا فى كل زمان منذ ظهور الإسلام بثها فى المسلمين» ثم تكلم عن الأحاديث وقال: « إن هذه المسألة من المسائل الخلافية حتى بين المنقول عنهم رفع المسيح بروحه وجسده إلى السماء»[1]

أما المغفور له الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى، فقد كتب بمناسبة السؤال الذى رُفع إليه وكان سبباً فى فتوانا، إجابة جاء فيها: « ليس فى القرآن الكريم نص صريح على أن عيسى عليه السلام رفع بجسمه وروحه، وعلى أنه حى الآن بجسمه وروحه. وقول الله سبحانه: ﴿إذ قال الله: يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا﴾ الظاهر منه: أنه توفاه وأماته ثم رفعه، والظاهر من الرفع بعد الوفاة: أنه رفع درجات عند الله كما قال فى إدريس عليه السلام: ﴿ورفعناه مكاناً علياً﴾ وهذا الظاهر ذهب إليه بعض علماء المسلمين. فهو عند هؤلاء توفاة الله وفاة عادية ثم رفع درجاته عنده، فهو حى حياة روحية كحياة الشهداء وحياة غيره من الأنبياء.

لكن جمهور العلماء على أنه رفعه بجسمه وروحه. فهو حى الآن بجسمه وروحه، وفسروا الآية بهذا بناء على أحاديث وردت. كان لها عندهم المقام الذى يسوغ تفسير القرآن بها، ثم قال: « ولكن هذه الأحاديث لم تبلغ درجة الأحاديث المتواترة التى توجب على المسلم عقيدة، والعقيدة لا تجب إلا بنص من القرآن أو بحديث متواتر» ثم قال: «وعلى ذلك فلا يجب على المسلم أن يعتقد أن عيسى عليه السلام حى بجسمه وبروحه، والذى يخالف فى ذلك لا يعد كافراً فى نظر الشريعة الإسلامية»

هذه نصوص صحيحة يقرر بها هؤلاء العلماء قديماً وحديثاً: أن مسألة عيسى مسألة خلافية، وأن الآيات المتصلة بها ظاهرة فى موته عليه السلام موتا عاديا، وأن الأحاديث الواردة فيها أحاديث لا تثبت عقيدة، وهى مع هذا تحتمل التأويل وأنه لا يكفر المسلم بإنكار رفع المسيح أو نزوله، فأين مع هذا كله ما يدعونه من إجماع؟[2]» أ. هـ بنصه

***

(١) الجزء العاشر من المجلد الثامن والعشرين للمنار

(٢) من المهم مراجعة ما كتبناه عن ثبوت العقيدة بالقرآن والسنة والإجماع فى فصل « طريق ثبوت العقيدة » من كتابنا « الإسلام عقيدة وشريعة »

أصل علامات الساعة :

واستدلّ عيسى عليه السلام بالتوراة ، بسفر دانيال فى حديثه عن محمد ﷺ وذكرَ العلامات التى ستحدث فى العالم من قبل ظهوره، وذكر قول دانيال فى رجسة الخراب التى ستحل بالمدينة المقدسة. أورشليم.

وقال: إن الخراب سيتم على يد المسلمين أتباع « ابن الإنسان» صاحب ملكوت الله الذى هو محمد ﷺ ثم ضرب أمثالا يبين بها انتقال الملكوت من بنى إسرائيل إلى بنى إسماعيل. وقال إن هذه هى المعركة الفاصلة بين العهدين، العهد القديم لبنى إسرائيل والعهد الجديد لبنى إسماعيل. وعلماء علم مقارنة الأديان من المسلمين وغيرهم يعرفون ذلك ويبينوه فى كتبهم بأجلى بيان.

وقد قال النصارى للمسلمين: إن العلامات ليست لمحمد، وإنما هى للمسيح عيسى من قبل ظهوره فى آخر الزمان. ولذلك وضعنا هذا الكتاب لإظهار الحق فى شأن العلامات . وهو أنها لظهور محمد ﷺ وقد ظهر . ولا علامات . الساعة القيامة ؛ لأن العلامات لنبى تأتى بعده ساعة هلاك اليهود فى فلسطين .

***

عمر أمة الإسلام:

وفى زمانى هذا ألف عالم من علماء المسلمين كتابا فى عُمْر أمّة الإسلام من قبل أن يدرس سفر دانيال وإنجيل متى دراسة جيدة. وقال: إن من النصارى من قال : إن معركة تسمى بمعركة هَرمَجَدون ستحدث قبل سنة ٢٠٠٠م وعلى قولهم هذا؛ ينتهى عمر المسلمين ويظهر الدجال والمسيح والمهدى .وتقوم القيامة. وهو لا يدرى سبب قول من قال من النصارى بذلك: وهو أنهم يعرفون أن هَرمَجَدون هى المعركة الفاصلة بين العهدين، عهد التوراة، وعهد القرآن وأنها تمت فى زمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه وبعدها استلم المسلمون أورشليم ـ التى هى القدس ـ من البطريرك صفرنيوس. وأنها تمت فى الوقت الذى حدده دانيال والمسيح عيسى عليه السلام.

إنهم يعرفون هذا كما يعرفون أبناءهم. ولأن النصارى الأميين يسألون عنها والعلماء لا يريدون منهم أن يتركوا الديانة بسبب الشك الذى سيحدث فى الإنجيل، اضطروا لأن يتكلموا عنها بما تكلموا، ليسكتوهم وإذا جاءت الأيام المحددة ولم يظهر على وجهه الصحيح كما أخبروهم. يقولون لهم:«ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التى حددها الله الآب فى سلطانه» [أعمال ١ :٧ ولوقا ٢٤ : ٤٩] ويذكّرونهم بقول

بطرس: «سيأتي في آخر الأيام قوم مستهزئون سالكين بحسب شهوات أنفسهم وقائلين: أين هو موعد مجيئه؟ .. الخ» [٢ بطرس ٣: ٣ -] وكان يجب على العالم الذى كتب عن عمر أمة الإسلام أن يقرأ ما كتبه المسلمون فى موضوع «ملكوت الله»[1] وأن يقرأ ما كتبه المسلمون فى تفسير قوله تعالى: ﴿ليظهره على الدين كله﴾ وهو أن القيامة لا تقوم إلا إذا حكم المسلمون بلاد العالم. حكموا روسيا والصين وفيتنام وأمريكا. وجميع دول العالم، وهذا لم يحدث بعدُ. وسوف يحدث بعد ملايين وبلايين من السنين.

وفى ترجمة اليسوعيين عن هَرْمَجدُّون ما نصه:

«ها أنا آتى كاللص. فطوبى لمن يسهر ويحفظ ثيابه، فلا يمشى عريانا، فينظروا سوءته. فجمعهم إلى الموضع المسمى بالعبرانية هرمجدون. وصب الملاك السابع جامه على الهواء. وخرج صوت عظيم من الهيكل، من عند العرش قائلا: قد انقضى. فحدثت أصوات ورعود وبروق. وكانت زلزلة شديدة حتى إنه لم يكن منذ كون الإنسان على الأرض زلزلة بهذه الشدة. وصارت المدينة العظيمة؛ ثلاثة أقسام، وسقطت مدن الأمم» [رؤية ١٦: ١٥-١٩]

* * *

البيان بلغة أهل الكتاب :

وقد بينتُ فى كتابي هذا بلغة أهل الكتاب ما هو عندهم عن المسلمين ونبى المسلمين ليعرف المسلمون ماهم يعرفون. حتى إذا ما تحاوروا وتجادلوا، يكون المسلمون على علم تام بمثل ما فى قلوبهم. وفى هذا المعنى يقول الله تعالى فى القرآن الكريم: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه، ليبين لهم﴾ وإذا عَسر على القارئ فهم أمر مّا مما أبديناه ههنا، ففى كتبنا الأخرى توضيحه وتبيانه.

* * *

(١) البشارة بنبى الاسلام . فى التوراة والإنجيل .

تأويل علامات الساعة :

وأثر عن بعض المسلمين فى الأزمنة الأولى إنكار علامات الساعة من قوله تعالى: ﴿لا تأتيكم إلا بغتة﴾ وقالوا: إن محمدا ﷺ من أشراطها. لأنه لا نبى بعده وأن فتح المسلمين لبعض بلاد الكفر؛ من أشراطها؛ لأن تمام الفتح لبلاد العالم؛ سيعقبه: ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا﴾ أى ستنتهى الدنيا. وأولوا العلامات الواردة فى الأحاديث بتأويلات تصرفها عن الدلالة عليها. ولم يؤثر عن أحد منهم بيان أصل كل علامة. وكتابنا هذا يبين أصل كل علامة. ومما جاء فى الكتب عن التأويل: « قال بعض المتأخرين من المفسرين: إن الأقرب أن تكون هذه الدابة إنسانا متكلما يناظر أهل البدع والكفر ويجادلهم:لينقطعوا» وانشغالهم بالتأويل وعدم بحثهم عن بيان الأصل؛ كان يغنى عنه قولهم: إن الأحاديث الواردة فيها: هى واردة بطريقة الآحاد ،وأحاديث الآحاد لا تثبت عقيدة. ولا تثبت فقها .

* * *

الخير والسلام :

وقد قال كثيرون من أهل العلم: إن المسلمين تأثروا باليهود والنصارى بحكم اختلاطهم بهم. فى بعض الأمور وذكروا أمثلة على التأثر بهم. وأذكر أنا ههنا مثالين:

المثال الأول: جاء فى التوراة وفى الإنجيل عن أيام النبى الأمى الآتى إلى العالم وهو محمد ﷺ أن الخير سيكون فيها كثيرا، وسيفيض المال حتى لا يقبله أحد. وهذا منصوص عليه فى التوراة فى نبوءة «شيلون»[تكوين ٤٩] وفى سفر إشَعياء، وغيرهما. ومن كلام إشعياء عن كثرة الخيرات فى زمان محمد ﷺ :« اسمعى لى أيتها الجزائر، واصغوا أيها الأمم من بعيد. الرب من البطن دعانى. من أحشاء أمى ذكر اسمى، وجعل فمى كسيف حاد. فى ظل يدى خبأنى، وجعلنى سهما مبريا. فى كنانته أخفانى . . . هكذا قال الرب: فى وقت القبول استجبتك. وفى يوم الخلاص أعنتك. فأحفظك وأجعلك عهدا للشعب، لإقامة الأرض، لتمليك أملاك البرارى، قائلا للأسرى: اخرجوا، للذين فى الظلام: اظهروا. على الطريق يرعون، وفى كل الهضاب مرعاهم.

لا يجوعون ولا يعطشون ولا يضربهم حر ولا شمس، لأن الذى يرحمهم؛ يهديهم، وإلى ينابيع المياه؛ يوردهم...» [إش ٤٩]

ومنصوص عليه فى الإنجيل فى قوله: « طوبى لمن يأكل خبزا فى ملكوت الله» [لو١٤: ١٥] وفى خطبة المسيح على الجبل: « طوبى للمساكين بالروح، لأن لهم ملكوت السموات.. الخ» وقد أدخل اليهود هذه العقيدة فى المسلمين فى الروايات عن « المهدى المنتظر» الذى هو فى نظر اليهود محمد ﷺ مع عدم التصريح به.

المثال الثاني: ذكرت نبوءات التوراة والإنجيل عن محمد ﷺ أن السلام شريعته والعدل هدفه، والحق سلطانه. وأن عهده سيكون عهد سلام إلى نهاية الدهر. وقد أدخل اليهود هذه العقيدة فى المسلمين فى الروايات عن المهدى المنتظر. فقد جاء فيها: أنهم يطبعون سيوفهم سككا، ورماحهم مناجل، وأن الذئب يرعى مع الخروف ولا يضره؛ كناية عن الأمن والسلام. وهذا مذكور فى سفر إشعياء عن النبى الأمى الآتى على مثال موسى عليه السلام وهو محمد ﷺ ومن كلام إشعياء: «ويكون فى آخر الأيام. أن جبل بيت الرب: يكون ثابتا فى رأس الجبال، ويرتفع فوق التلال، وتجرى إليه كل الأمم، وتسير شعوب كثيرة، ويقولون: هلم تصعد إلى جبل الرب، إلى بيت إله يعقوب، فيعلمنا من طرقه، ونسلك فى سبله... فيقضى بين الأمم، وينصف لشعوب كثيرين، فيطبعون سيوفهم سككا ورماحهم مناجل. لا ترفع أمة على أمة سيفا، ولا يتعلمون الحرب فيما بعد»[إش ٢: ٢-]. ومن كلام إشعياء: « الذئب والحمل يرعيان معا، والأسد يأكل التبن كالبقر. أما الحية فالتراب طعامها...» [إش ٦٥: ٢٥]، وفى الإنجيل عن الأمن والسلام فى زمان النبى الآتى، كما فى التوراة سواء بسواء. ومن نصوصه: « المجد لله فى الأعالى، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرة» [لو ٢: ١٤] وفى ترجمة: «للناس أهل رضاه» وهم المسلمون: لأن اليهود مغضوب عليهم، والنصارى شيعة منهم. وعن اليهود يقول النبى ﷺ على لسان داود عليه السلام لله تعالى: «انتهرتَ المتكبرين الملاعين عن وصاياك» [مز ١١٩]، وأيضا: «طوبى لكم أيها الفقراء لأن لكم ملكوت الله. طوبى لكم أيها الجائعون الآن، فسوف تشبعون، طوبى لكم أيها الباكون الآن، فسوف تضحكون. لكن الويل لكم أيها الأغنياء...» [لو ٦: ٢٠].

وقد قسمتُ هذا الكتاب إلى الفصول التالية:

١ - النبى الأمى فى التوراة والإنجيل. وهو فصل تمهيدى. عليه مدار الكتاب، وهو منقول من التقديم للإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام، للإمام القرطبى، ومن كتابنا حياة القبور بين المسلمين وأهل الكتاب. وغيره .

٢ - نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان.

٣ - المسيح الدّجال.

٤ - المُهدِى المنتظر .

٥ - فتح بلاد يأجوج ومأجوج .

٦ - خروج الدابة التى تكلم الناس .

والله أسألُ أن يوفقنا لخدمة العِلْم والدِّين

د/ أحمد حجازى السقا

الفصل الأول

النبى الأمـــــىّ

فى

التـــــــوراة والإنجـــيل

المسيح = CHrist

١ ـ كان الناس فى زمان النبى إبراهيم عليه السلام يعبدون الأوثان، ولا يعبدون الله رب العالمين. فاصطفى الله لهدايتهم إليه؛ نبيه إبراهيم، وأمره أن يسير فى جميع البلاد لدعوة الناس إلى عبادته. فسار إبراهيم ودعا، وآمن بدعوته خلق كثير. وأثنى المؤمنون به عليه؛ لأنه كان السبب فى هدايتهم إلى الله. ومن حب الله له؛ عقد عهدا بينه وبين إبراهيم، فى نسله من بعده. إنهم يسيرون كما سار، وهو يورثهم أراضى أمم الكفر، ويدخلهم الجنة من بعد موتهم. ورأى الله أن يعطى للمؤمنين به، شريعتان. شريعة صعبة، وشريعة خفيفة. والصعبة تكون مؤقتة بمدة، والخفيفة تكون دائمة إلى يوم القيامة، ورأى أن يكون نسل إسحق بن إبراهيم للشريعة المؤقتة وأن يكون نسل إسماعيل للشريعة الدائمة. والنسل القائم بالشريعة يكون منه الملوك على الأمم والشعوب؛ للتمكين للشريعة فى الأرض.

وفى التوراة نصوص على ذلك. منها: قول الله لإبراهيم: «اذهب من أرضك، ومن عشيرتك ومن بيت أبيك؛ إلى الأرض التى أريك؛ فأجعلك أمة عظيمة، وأباركك، وأعظم اسمك، وتكون بركة. وأبارك مباركيك، ولاعنك ألعنه. وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض» [تك ١٢: ١ ـ ٣] «أنا الله القدير. سر أمامى، وكن كاملا؛ فأجعل عهدى بينى وبينك وأكثرك كثيرا جدا» [تك ١٧: ١ ـ ١] وقال الله لإبراهيم: «ساراى امرأتك. لا تدعو اسمها ساراى، بل اسمها سارة» ـ أى «رئيسة» ـ وأباركها وأعطيك أيضا منها ابنا. أباركها؛ فتكون أمما، وملوك شعوب منها يكونون» [تك ١٧: ١٥ ـ ١٦] «وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك. فقال الله. . .

وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا. . .» [تك ١٧: ١٨]

«ونادى ملاك الله هاجر من السماء، وقال لها: مالك يا هاجر. لا تخافى؛ لأن الله

قد سمع لصوت الغلام حيث هو. قومى احملى الغلام وشدّى يدك به؛ لأنى سأجعله أمة عظيمة. وفتح الله عينيها، فأبصرت بئر ماء. فذهبت وملأت القربة ماء، وسقت الغلام. وكان الله مع الغلام؛ فكبر. وسكن فى البرية. وكان ينمو رامى قوس، وسكن فى برية فاران» [تك ٢١: ١٧ ـ ٢١]

٢ ـ وقد قسم موسى عليه السلام بركة الله بالملك والنبوة على ثلاثة أماكن:

(أ) سيناء: مكان نزول التوراة.

(ب) وساعير: مكان تفسير التوراة من علماء وأنبياء بنى إسرائيل.

(ج) وفاران: مكان نزول القرآن.

فقال فى الأصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية: «وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله بنى إسرائيل قبل موته. فقال: جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران. وأتى من ربوات القدس. وعن يمينه نار شريعة لهم. فأحب الشعب. جميع قديسيه فى يدك. وهو جالسون عند قدمك، يتقبلون من أقوالك» وفى هذا النص دليل على كثرة أصحاب محمد ﷺ فقد قال: «وأتى من ربوات القدس» وفى بعض التراجم: وأتى مع آلاف من جيش المقدسين الطاهرين الذين اختارتهم العناية الإلهية لهذا الغرض المقدس. وفى هذا النص مدح لأصحاب رسول الله ﷺ فقد قال: «جميع قديسيه فى يدك. وهم جالسون عند قدمك. يتقبلون من أقوالك» أى أن الصحابة الأجلاء فى يد رسول الله ﷺ لا يخرجون عن طاعته، وهم جالسون عند قدمه. كناية عن التواضع بين يديه، ويتقبلون من أقواله. أى لا يشرعون لهم من تلقاء أنفسهم. وهذا فى كل أصحابه على طول الزمان

٣ ـ وقد نبه يعقوب الذى هو إسرائيل بنيه حال موته على مجىء نبى، متى جاء فإنه سيأخذ منهم الملك والنبوة. بقوله: «لا يزول قضيب من يهوذا، ومشترع من بين رجليه، حتى يأتى شيلون، وله يكون خضوع شعوب» [تكوين ٤٩: ١٠] والمعنى: لا يزول الملك من بنى إسرائيل. وعبر بيهوذا عن بنى إسرائيل بأسرهم. وستظل التوراة شريعة تحت نفوذ الملوك من بنى إسرائيل، حتى يأتى «شيلون» نبى السلام، فيتسلم منهم النبوة والملك وتخضع له أمم الأرض.

وليس شيلون إلا محمد ﷺ لأنه من إسماعيل المبارك فيه.

٤ ـ ولما كان موسى عليه السلام هو والمشايخ السبعون على جبل طور سيناء لتلقى شريعة التوراة من الله، خاف بنو إسرائيل من الدخان والنار اللذان أحاطا بهم، وهم

فوق الجبل، وقالوا لموسى عليه السلام: إذا أراد الله أن يكلمنا مرة أخرى ويسمعنا صوته. فليكن عن طريق بشر، ليكن عن طريقك يا موسى. ونحن نسمع ونطيع. فرد موسى كلامهم إلى الله. فقال الله: أحسنوا فى ما قالوا. ولسوف أرسل لهم نبياً مثلك، وأجعل كلامى فى فمه. أى سيكون نبيا أميا لا يقرأ ولا يكتب.

وهذا النبى الذى سيأتى مماثلا لموسى هو محمد ﷺ لأن الله قد بارك فى إسماعيل ـ عليه السلام ـ وجعل له ملكا ونبوة، كملك بنى إسحق ونبوتهم؛ فإن لإسحق بركة كبركة إسماعيل. وحملها من بنى إسحق كلهم: بنو إسرائيل. وبدأت من بنى إسرائيل من موسى عليه السلام فإنه صاحب الشريعة وكان رئيسا مطاعا، وجاهد فى سبيل الله، وأمر أتباعه بدخول الأرض المقدسة. وورثوا بلاد الكفار، من بعد هلاكهم، وأقاموا فيها، وعلموا المؤمنين أحكام التوراة. وضبطوا أمور البلاد بالملك عليهم.

ففى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية:

«يُقيم لك الرب إلهك: نبياً من وسطك من إخوتك، مثلى. له تسمعون حسب كل ما طلبت من الرب إلهك فى حوريب يوم الاجتماع قائلا: لا أعود أسمع صوت الرب إلهى ولا أرى هذه النار العظيمة أيضا لئلا أموت، قال لى الرب: قد أحسنوا فى ما تكلموا. أقيم لهم: نبيا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامى فى فمه. فيكلمهم بكل ما أوصيه به. ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى؛ أنا أطالبه، وأما النبى الذى يُطغى فيتكلم باسمى كلاما لم أوصه أن يتكلم به، أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت[1] ذلك النبى.

---

(١) فى ترجمة اليسوعيين ودار المشرق: «فليقتل»

ويعلق اليسوعيون على هذه النبوءة بقولهم:

«ينسب موسى إلى الرب بالتوازى لإقامة الملكية [تث ١٧: ١٤ ـ ٢٠] إنشاء النبوءة عند التراثى فى حوريب [خر ٢٠: ١٩ ـ ٢١ تث ٥: ٢٣ ـ ٢٨] وإلى هذا الإنشاء يشير فى العهد الجديد؛ القديس بطرس [أع ٣: ٢٢ ـ ٢٦] والقديس اسطفانس [أع ٧: ٣٧] وعلى أساس هذا النص من تثنية الاشتراع؛ انتظر اليهود؛ المشيح. انتظارهم لموسى آخر [يو ١: ٢١ +]

* * *

وفى تفسير الكتاب المقدس ـ جماعة من اللاهوتيين فرنس دافدسن ـ منشورات النفير ـ لبنان: «النبى الآتى [١٨: ١٥ ـ ٢٢] يعلن موسى إعلانا نبويا مسيانيا، عن النبى الذى سيأتى، الذى سيخلفه فى وظيفته كنبى»

* * *

«البركة الأخيرة [٣٣: ١ ـ ٢٩] جاء الرب... وأشرق: يشبّه إعطاء الناموس بالشمس النارية عند إشراقها بمجد «أتى من ربوات القدس» تترجم السبعينية كلمة «القدس» إلى «ملائكة» وهذا غالبا هو المعنى الحقيقى [أع ٧: ٥٣] «فى يدك» الانتقال إلى ضمير المخاطب، جعل البعض يعتقدون أن هذه نبوءة عن المسيا الآتى»

وإن قلت فى قلبك: كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب؟

فما تكلم به النبى باسم الرب ولم يحدث ولم يصر؛ فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبى؛ فلا تخف منه» [تث ١٨: ١٥: ٢٢]

كيفية انطباق النبوءة على محمد ﷺ:

أولا: إن من أوصاف هذا النبى المنتظر: أن يكون نبياً. لا إلها. وقد زعم النصارى: أن أوصاف النبى الذى تتحدث عنه هذه النبوءة: تنطبق على عيسى عليه السلام. وزعمهم باطل. لأن بعضهم يقول: إن عيسى إله. وبعضهم يقول: هو الإله الخالق للعالم. فالكاثوليك والبروتستانت يقولون: إن عيسى هو الإله الثانى. والله هو الإله الأول. والروح القدس هو الإله الثالث. والأرثوذكس يقولون: إن عيسى هو الله رب العالمين. وقد ظهر للناس فى صورة بشر، وعن مذهب الكاثوليك والبروتستانت يقول تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا: إن الله ثالث ثلاثة﴾ وعن مذهب الأرثوذكس يقول تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا: إن الله هو المسيح بن مريم﴾ وعن المذهبين: ﴿ولا تقولوا ثلاثة﴾ أى ثلاثة آلهة، أو ثلاث مراحل لواحد.

وهذا مع ما فى التوراة وما فى الإنجيل من أن الله تعالى هو الخالق للعالم وحده وأنه ليس كمثله شىء. ففى الأصحاح السادس من سفر التثنية: «اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد» وفى الأصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية: «ليس مثل الله» وفى الأصحاح الأول من إنجيل يوحنا. فسر يوحنا أبناء الله بمعنى المؤمنين بالله. فى قوله: «وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله. أى المؤمنون باسمه» وقال: إن الله لم يره أحد. وحيث أن عيسى قد رآه الناس، فإنه بحكم الإنجيل لا يكون الله، لقوله: «الله لم يره أحد قط»

وفى نفس الأصحاح يورد يوحنا كاتب الإنجيل: شهادة يحيى عليه السلام - الذى هو يوحنا المعمدان - بأنه ليس هو النبى الذى أخبر عن مجيئه موسى، فى سفر التثنية، لينسخ شريعته. وقد كان يوحنا معاصرا لعيسى عليه السلام. وكان وهو يدعوان اليهود معا، لاقتراب ملكوت السموات. مما يدل على أن النبى المنتظر لم يكن قد أتى قبل يحيى وعيسى، وليس هو عيسى ولا يحيى - عليهما السلام - يقول يوحنا: «وهذه هى

* «حتى يأتى شيلون: هذه عبارة صعبة، لكن يبدو أن أفضل تفسير: هو ذاك الذى يعتبرها نوعا من الحديث عن المسيا إذا تحرك الحرف الساكن - وهذا أمر مسموح به فى اللغة العبرية - فإن الكلمة يمكن أن تترجم «الذى له» وهذا له صلة واضحة مع ما ذكر فى [حز ٢١: ٢٧]. .

شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه: من أنت؟ فاعترف ولم ينكر. وأقر: أنى لست أنا المسيح[1] فسألوه: إذًا ماذا؟ إيليا أنت؟ فقال: لست أنا. ألنبى أنت؟ فأجاب: لا» فقد اعترف المعمدان بأنه ليس هو النبى المشار إليه فى سفر التثنية. وحيث أنهما معا دعوا إلى اقتراب ملكوت السموات - أى أن دعوتهما واحدة - فإن النبى المنتظر يكون آتياً من بعدهما. فقد حكى متى ما نصه:

(أ) «من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكْرز ويقول: توبوا، لأنه قد اقترب ملكوت السموات» [متى ٤: ١٧]

(ب) «وفى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرِز فى برية اليهودية قائلا: توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات» [متى ٣: ١ - ٢]

ثانيا: ومن أوصاف النبى المنتظر: أن يكون من إخوة بنى إسرائيل. ولو كان هذا النبى من بنى إسرائيل ما كان يقول: «من إخوتهم» وكان يقول: منكم. وحيث أن:

(أ) لإسماعيل بركة.

(ب) وأنه أخ لإسحق الذى هو جدهم.

فإن المراد من إخوتهم: أنه سيأتى من آل إسماعيل؛ لأن لإسماعيل بركة. ففى الأصحاح السادس عشر من سفر التكوين: «وقال لها ملاك الرب: ها أنت حبلى فتلدين ابنا وتدعين اسمه إسماعيل؛ لأن الرب قد سمع لمذلتك، وأنه يكون إنسانا وحشيا. يده على كل واحد، ويد كل واحد عليه. وأمام جميع إخوته يسكن»

ثالثا: ومن أوصافه: المماثلة لموسى فى الحروب والانتصار على الأعداء والملك والمعجزات. وقد نصّت التوراة على أنه لن يظهر فى بنى إسرائيل مثل موسى. وعليه فإن الآتى يكون من غير جنسهم. وحيث لإسماعيل بركة؛ فإنه يكون من جنسه.

ففى الأصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية: «ولم يقم بعد نبى فى إسرائيل مثل

---

(١) يقصد المسيح المنتظر الذى هو المسيا، والذى هو النبى الأمى المماثل لموسى والذى هو إيلياء - حسب تعبير ملاخى - ثلاثة ألقاب لواحد. وذلك لأنه من عادة اليهود، إذا حاولوا التشكيك فى شىء؛ فإنهم يلقبونه بألقاب كثيرة، أو لأن الواحد كان مشهورا فى كل مدينة بلقب. والعلماء يعرفون الألقاب. وارادوا حسم الخلاف فيه.

«قد وجدنا مَسِيّا، الذى تفسيره المسيح» [يو ١: ٤١]

We have Found The Messiah
Which Is translated The Christ

موسى الذى عرفه الرب وجها لوجه. فى جميع الآيات والعجائب التى أرسله الرب ليعملها فى أرض مصر بفرعون وبجميع عبيده وكل أرضه. وفى كل اليد الشديدة وكل المخاوف العظيمة التى صنعها موسى أمام أعين جميع إسرائيل»

رابعا: ومن أوصافه: أن يسمع له بنو إسرائيل ويطيعون حتى ولو نسخ شريعة موسى. ولم ينسخ شريعة موسى إلا محمد عليه السلام. أما الأنبياء من موسى إلى محمد ـ عليهما السلام ـ فقد كانوا على شريعة موسى. حتى يسوع المسيح. فإنهم كتبوا أنه كان على دين موسى لقوله: «لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس» [متى ٥: ٧] وقد صرح القرآن بذلك فى قوله تعالى: ﴿وإذ قال عيسى ابن مريم. يا بنى إسرائيل. إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة، ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد﴾ فقد بين أنه موافق على التوراة التى هى أمامه. وكان العلماء قد ابتدعوا من عندهم تشريعات لم يأذن بها الله. مثل تحريم الأكل بأيدى غير مغسولة. فألغى المسيح ما ابتدعوه. وكان عيسى عليه السلام مفسرا لها ولم يكن محرما من تلقاء نفسه أى شىء كم كان يفعل الربانيون والأحبار. وقد ألغى تشديداتهم، وأباح محرماتهم من تلقاء أنفسهم. كما قال تعالى عنه: ﴿ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم﴾ من الربانيين والأحبار. وأما قوله تعالى: ﴿وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه﴾ فإن معناه: ليحكموا بما فيه من إيجاب العمل بأحكام التوراة. فإن فى الإنجيل: «لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس» وفيه فى الأصحاح الثالث والعشرين من إنجيل متى قول عيسى عليه السلام: «على كرسىّ موسى جلس الكتبة والفريسيون. فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه، فاحفظوه وافعلوه ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا، لأنهم يقولون ولا يفعلون»

خامسا: ومن أوصافه: أن يكون نبيا أمياً غير قارىء ولا كاتب. وهذا معنى قوله: «وأجعل كلامى فى فمه»

سادسا: ومن أوصافه: أن يكون أميناً على الوحى الإلهى. وهذا مستفاد من قوله: «فيكلمهم بكل ما أوصيه به»

سابعا: ومن أوصافه: أن الله ينصره على مخالفيه. وهذا مستفاد من قوله: «ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى. أنا أطالبه» أى الله يقول أنا أنتقم من مخالفيه.

ثامنا: ومن أوصافه: أن لا يقتل. وأن من يكذب ويدعى النبوة ويزعم أنه هو المراد من هذه النبوءة المذكورة فى سفر التثنية، أو يدعو إلى غير الله، فإنه يقتل. وهذا مستفاد

من قوله: «وأما النبى الذى يُطغى فيتكلم باسمى كلاماً لم أوصه أن يتكلم به، أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى؛ فيموت ذلك النبى» أى فيكون جزاؤه القتل.

تاسعا: وإن قال متبع شريعة موسى: كيف نميز الصادق من الكاذب؟ أى إذا ظهر من يقول إنى أنا هو ذلك النبى. فكيف نعرف أنه صادق؟

فإنه أعطى علامة للناس، ليعرفوا الصادق من الكاذب. وهى: أنه إذا ظهر وأخبر عن غيب، ووقع الغيب كما قال. فإنه يكون صادقاً فى دعوى النّبوة. وهذا مستفاد من قوله: «وإن قلت فى قلبك: كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب؟» وهذا هو السؤال. والإجابة هى: «فما تكلم به النبى باسم الرب ولم يحدث ولم يصر؛ فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبى. فلا تخف منه»

الوصف العاشر: أن يكون ملكا على بنى إسماعيل والأمم، كما كان موسى عليه السلام ملكا على بنى إسرائيل والأمم. وهذا الوصف مستفاد من قوله: «له تسمعون» ومن قوله: «ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى، الذى يتكلم به باسمى؛ أنا أطالبه» أى ينتقم الله منه. وقد جاء هذا المعنى فى القرآن الكريم، فى قوله تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون؛ حتى يحكموك فى ما شجر بينهم، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت، ويسلموا تسليما﴾ وفى قوله تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا؛ أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾

* * *

والآن. نسوق الأدلة من التوراة على أن «المسيح المنتظر» هو محمد رسول الله ﷺ وليس هو عيسى ابن مريم. كما يزعم النصارى، وليس هو إلى الآن لم يظهر، وإذا ظهر؛ سيكون من اليهود. كما يزعم اليهود. وقبلما نذكر الأدلة نقول: إننا بهذا لا نقول: إن عيسى ابن مريم - عليه السلام - ليس مسيحا، بل نقول: هو «مسيح» ولكن لا نقول: إنه هو «المسيح» هو مسيح كطالوت وداود وسليمان وإلياس واليسع - عليهم السلام - ولكن ليس هو «المسيح» الموعود به فى النبوءات، بحسب اصطلاح اليهود والنصارى فى النطق والتعبير. ولا قيمة لاختلاف الأسماء والألفاظ إذا وضحت المسميات. فإن «العبرة بالمقاصد والمعانى، لا بالألفاظ والمبانى» كما يقول أهل الأصول.

الدليل الأول: فى التوراة نبوءة عن النبى المنتظر، الذى يلقبونه بلقب «المسِيّا» وقال علماء بنى إسرائيل: إن هذه النبوءة هى أصل فكرة المسيا المنتظر، ومن أوصافه فى النبوءة، يعرفونه إذا جاء، ونص النبوءة:

«يُقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلى. له تسمعون. . أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه؛ فيكلمهم بكل ما أوصيه به. ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى، الذى يتكلم به باسمى؛ أنا أطالبه. وأما النبى الذى يُطغِى فيتكلم باسمى كلاما لم أوصه أن يتكلم به، أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى؛ فيموت ذلك النبى. . . الخ» وقد سبق ذكرها. والدليل على أنها تدل على المَسِيًّا: قول مفسرى التوراة فى شرحها: «يعلن موسى إعلانا نبويا مَسِيًّانيا، عن النبى الذى سيأتى، الذى سيخلفه فى وظيفته كنبى. . الخ»(1).

أى أن الذى سيخلف موسى فى الدعوة؛ هو «المسيا المنتظر» الذى تشير إليه هذه النبوءة. وإذا كانت هذه النبوءة، تدل على النبى المنتظر، الذى يلقبونه بلقب مسيا ـ وهى تدل ـ فإن المسيا المنتظر؛ هو محمد ـ ﷺ ـ والدليل على ذلك: أن علماء بنى إسرائيل الذى أسلموا وكتبوا كتبا فى إثبات نبوة محمد ـ ﷺ ـ بأدلة من التوراة، قالوا: إن هذه النبوءة تشير إليه. وأن علماء المسلمين الذين أثبتوا كما أثبتَ علماءُ بنى إسرائيل قالوا بقولهم. ومن علماء بنى إسرائيل: شموئيل بن يهوذا بن آبون فى كتابه «بذل المجهود فى إفحام اليهود» ومن علماء المسلمين: ابن قيم الجوزية فى كتابه «هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى» والقرافى فى «الأجوبة الفاخرة» وابن حَزم فى «الفصل فى الملل والآراء والنِّحَل» وكثيرون لا يُحصون عداً. ومن كتاب الفصَل ما نصه: «وأما إعجاز القرآن فإنما يعرفه العلماء بلغة العرب، ثم يعرفه سائر الناس بإخبار العلماء لهم بذلك. مع ما فى التوراة من الإنذار البين برسول الله ـ ﷺ ـ من قوله تعالى فيها: «سأقيمُ لبنى إسرائيل نبيا من إخوتهم، أجعل على لسانه كلامى، فمن عصاه؛ انتقمتُ منه» ولم تكن هذه الصفة لغير محمد ـ ﷺ ـ وإخوة بنى إسرائيل هم بنو إسماعيل»(2)

الدليل الثانى: فى التوراة، يقول يعقوب ـ عليه السلام ـ لبنيه: إن الملك لن يزول منكم، وإن الشريعة لن تزول منكم، إلا إذا أتى «شيلون» فإنه إذا أتى؛ يتسلم الملك ويتسلم الشريعة، وتدين له أمم الأرض بالطاعة والولاء. قال يعقوب ـ عليه السلام ـ: «لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه، حتى يأتى شيلون، وله يكون خضوع شعوب» [تكوين ٤٩ : ١٠] ومعلوم أن الملك لم يزل من اليهود إلاَّ على يد عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ لَمَّا تسلم مدينة القدس (أورشليم) من البطريرك «صفرنيوس» ومعلوم: أن النصارى شيعة من اليهود وطائفة. وعيسى ـ عليه السلام ـ هو

---

(1) تفسير الكتاب المقدس لجماعة من اللاهوتيين برئاسة الدكتور فرنسيس داڤيدسون ـ المجلد الأول ص٤٠٣

(2) الفصل لابن حزم الظاهرى الأندلسى جـ١ ـ ص١١١.

آخر نبي في بني إسرائيل، ولم ينسخ التوراة. وإنما الذي صرّح بنسخها هو نبي الإسلام - ﷺ - فهو الذي حقا زالت شريعة اليهود على يديه. والدليل على أن قول يعقوب - عليه السلام - هذا هو نبوءة عن المسيا المنتظر: قول مفسري التوراة في شرحها: «حتى يأتي شيلون: هذه عبارة صعبة. لكن يبدو أن أفضل تفسير هو ذاك الذي يعتبرها نوعا من الحديث عن المَسِيّا إذا تحرك الحرف الساكن - وهذا أمر مسموح به في اللغة العبرية - فإن الكلمة يمكن أن تترجم «الذي له»... الخ»[1] أي أن النبوءة تدل على المسيا في أفضل تفسير.

وإذا كانت هذه النبوءة تدل على النبي المنتظر الذي يلقبونه بلقب مَسِيا - وهي تدل - فإن المسيا هو محمد - ﷺ - والدليل على ذلك: هو الدليل الذي ذكرتُه في النبوءة الأولى. ومن العبارات التي جاءت في كتب تفسير القرآن الكريم عن هذه النبوءة: قول الشيخ أحمد مصطفى المراغي في تفسيره المسمى «تفسير المراغي»: «جاء في سفر التكوين: «فلا يزول القضيب من يهوذا، والراسم من تحت أمره، إلى أن يجيء الذي هو له، وإليه تجتمع الشعوب» وفي هذا دلالة على مجيء محمد - عليه السلام - بعد تمام حكم موسى وعيسى»[2].

الدليل الثالث: في التوراة يقول الكاتب: «وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رسول الله بني إسرائيل قبل موته: فقال: جاء الله من طور سيناء، ويشرق لنا من ساعير، واستعلن من جبل فاران، ومعه ربوة من أطهار الملائكة عن يمينه، فوهب لهم وأحبهم ورحم شعبهم. وباركهم، وبارك على أطهاره، وهم يدركون آثار رجليك، ويقبلون من كلماتك. أسلم لنا موسى مثله. وأعطاهم ميراث لجماعة يعقوب... الخ» [تثنية ٣٣: ١ - ٤] هذا النص من الترجمة اليونانية. وأما النص العبراني فهو: «وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته: فقال: جاء الرّب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران. وعن يمينه نار شريعة لهم. فأحب الشعب. جميع قديسيه في يدك، وهم جالسون عند قدمك، يتقبلون من أقوالك. بناموس أوصانا موسى، ميراثا لجماعة يعقوب... الخ»

ودلالة هذه النبوءة على محمد - ﷺ - هو أنه يقسم بركة الله التي وعد بها إبراهيم - عليه السلام - أن تتبارك الأمم في نسله. ونسل إبراهيم القائم بالبركة هو في إسماعيل وإسحاق - عليهما السلام - كما سبق ذكره. وموسى هو الذي نزلت عليه التوراة في

---

(١) تفسير الكتاب المقدس لجماعة من اللاهوتيين برئاسة الدكتور فرنسيس دافيدسون - المجلد الأول ص٢١٠
(٢) تفسير المراغي في سورة الأعراف الجزء التاسع ص٨٢ وانظر أيضا تفسير المنار للشيخ رشيد رضا.

طور سيناء، وعيسى هو الذى نزل عليه الإنجيل فى جبل ساعير، وهما من نسل إسحاق عليه السلام ـ وقد أشار بفاران إلى نبى يظهر من آل إسماعيل؛ لتبدأ من وجوده بركة الأمم فى آل إسماعيل، على يد واحد من نسله.

والدليل على أنه يقصد بفاران. نسل إسماعيل: يسوقه شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ هكذا: يقول فى الجزء الثالث من كتابه: «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»: «وبعضهم يقول فى الترجمة: «تجلى الله من طور سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران» قال كثير من العلماء ـ واللفظ لمحمد بن قتيبة ـ: «ليس بهذا خفاء على من تدبر، ولا غموض؛ لأن مجىء الله من طور سيناء: إنزاله التوراة على موسى من طور سيناء ـ كالذى هو عند أهل الكتاب وعندنا ـ وكذلك يجب أن يكون إشراقه من ساعير: إنزاله الإنجيل على المسيح... وكما وجب أن يكون إشراقه من ساعير بالمسيح؛ فكذلك يجب أن يكون استعلانه من جبال فاران: إنزاله القرآن على محمد ـ ﷺ ـ وجبال فاران: هى جبال مكة»

قال: «وليس بين المسلمين وأهل الكتاب: خلاف فى أن «فاران» هى: مكة. فإن ادعوا أنها غير «مكة» فليس ينكر ذلك من تحريفهم وإفكهم. قلنا: أليس فى التوراة: أن إبراهيم أسكن هاجر وإسماعيل فاران؟ [تكوين ٢١: ٢١] وقلنا: دلونا على الموضع الذى استعلن الله منه، واسمه فاران؟ والنبى الذى أنزل عليه كتابا بعد المسيح؟ أو ليس «استعلن» و «علن» هما بمعنى واحد؟ وهو ما ظهر وانكشف. فهل تعلمون: أنه ظهر دين ظهور الإسلام، وفشا فى مشارق الأرض ومغاربها؛ فشوه؟... الخ»[1]

والدليل على أن بركة إسماعيل تعنى الملك والنبوة، وأن بركة إسماعيل مرتبطة بنبوة فاران: يسوقه الإمام الشهرستانى هكذا فى الجزء الثانى من كتابه «الملل والنحل»:

«واعلم أن التوراة قد اشتملت بأسرها على دلالات وآيات تدل على كون شريعة المصطفى ـ عليه السلام ـ حقا، وكون صاحب الشريعة صادقا، بله ما حرفوه، وغيروه وبدلوه. إما تحريفا من حيث الكتابة والصورة. وإما تحريفا من حيث التفسير والتأويل، وأظهرها: ذكره إبراهيم ـ عليه السلام ـ وابنه إسماعيل ودعاؤه فى حقه وفى ذريته، وإجابة الرب تعالى إياه: «إنى باركت على إسماعيل وأولاده. وجعلت فيهم. الخير كله، وسأظهرهم على الأمم كلها. وسأبعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتى» [تكوين ١٧: ٢٠] واليهود معترفون بهذه القضية. إلا أنهم يقولون: أجابه بالملك دون

---

(١) الجواب الصحيح جـ٣ ـ ص ٣٠٠.

النبوة والرسالة. وقد ألزمتهم: إن المُلْك الذى سلمتم. أهو مُلْك بعدل وحق، أم لا؟ فإن لم يكن بعدل وحق؟ فكيف يمنّ على إبراهيم بملك فى أولاده، هو جور وظلم؟ وإن سلمتم: العدل والصدق من حيث الملك. فالْمَلِكُ يجب أن يكون صادقا على الله تعالى فيما يدعيه ويقوله. وكيف يكون الكاذب على الله تعالى صاحب عدل وحق؟ إذ لا ظلم أشد من الكذب على الله تعالى، ففى تكذيبه، تجويره، وفى التجوير: رفع المنّة بالنعمة وذلك خُلف.

ومن العجب أن فى التوراة: أن الأسباط من بنى إسرائيل، كانوا يراجعون القبائل من بنى إسماعيل، ويعلمون أن فى ذلك الشعب علما لدنّيا، لم تشتمل التوراة عليه، وورد فى التواريخ: أن أولاد إسماعيل كانوا يسمون: آل الله، وأهل الله. وأولاد إسرائيل: آل يعقوب، وآل موسى، وآل هرون. وذلك كَسْر عظيم.

وقد ورد فى التوراة: «أن الله تعالى جاء من طور سيناء، وظهر بساعير، وعلن بفاران» [تثنية ٣٣: ٢] وساعير: جبال بيت المقدس، الذى كان مظهر عيسى - عليه السلام - وفاران: جبال مكة، التى كانت مظهر المصطفى - ﷺ - ولما كانت الأسرار الإلـهية، والأنوار الربانية فى الوحى والتنزيل والمناجاة والتأويل: على مراتب ثلاث: مبدأ ووسط وكمال. والمجىء: أشبه بالمبدأ. والظهور: بالوسط. والإعلان: بالكمال. عبرت التوراة عن طلوع صبح الشريعة والتنزيل: بالمجىء على طور سيناء، وعن طلوع الشمس: بالظهور على ساعير، وعن البلوغ إلى درجة الكمال والاستواء: بالإعلان على فاران. وفى هذه الكلمة: إثبات نبوة المسيح والمصطفى عليهما السلام»[1] أ.هـ.

ومن كلام مفسرى التوراة ما يدل على أن تلك النبوءة، نبوءة فاران؛ تدلُّ على المسيا المنتظر: يقول مفسرو التوراة، ما نصه: «فى يدك: الانتقال إلى ضمير المخاطب جعل البعض يعتقدون: أن هذه نبوءة عن المسيا الآتى... الخ[2]

* * *

وفى كتاب محمد كما ورد فى كتاب اليهود والنصارى[3] للقس عبد الأحد داود، يقول المترجم فى شرح: «أقيم لها :نبيًا من وسط إخوتهم مثلك. وأجعل كلامى فى فمه»

[سفر التثنية ١٨/١٨]

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى - على هامش الفصل لابن حزم جـ٢، ص٥١ - ٥٣.

(٢) تفسير الكتاب المقدس.

(٣) أولاد اسماعيل عليه السلام هم: نبايوت بكر - - إسماعيل - وقيدار وأدبئيل ومبسام ومشماع ودومة ومسّا وحدار وتيما ويطور ونافيش وقدمة. هؤلاء هم بنو إسماعيل وهذه أسماؤهم بديارهم وحصونهم. اثنا عشر رئيسا، حسب قبائلهم [تك ٢٥ : ١٣ - ١٤].

«إن لم تتحقق هذه النبوءة فى محمد؛ فإنها تبقى غير متحققة حتى الآن. أما عيسى المسيح فإنه لم يدع قط أنه النبى المشار إليه. وكان الحواريون من بعده يتطلعون إلى عودته مرةً ثانية لكى تتحقق فيه النبوءة. ولكن الواضح أن عودة المسيح مرة ثانية لن تحقق النبوءة[1]؛ فالمسيح كما تؤمن به الكنيسة سوف يظهر كقاض وليس كمشرِّع، بينما النبى الموعود هو الذى يجىء حاملاً «الشريعة المشعة بيده اليمنى» [سفر التثنية ٣٣/ ٢]

وللتأكد من شخصية النبى الموعود: نستند إلى النبوءة الأخرى المنسوبة إلى موسى والتى تتحدث عن «النور المشع، القادم من فاران» وهى جبال مكة.

ولنقرأ النص فى [سفر التثنية ٣٣/ ٢] الذى يذكر ما يلى:

«جاء نور الرب من سيناء وأشرق لهم من ساعير، وتلألأ من جبل فاران. وجاء معه عشرة آلاف قديس، والشريعة المشعة بيده اليمنى» ففى الكلمات شُبِّه نور الرب بنور الشمس (إنه يأتى من سيناء ويشرق من ساعير) ولكنه تلألأ بالمجد من (فاران) حيث يظهر مع عشرة آلاف قديس ويحمل الشريعة بيده اليمنى، ولم تكن لأى من الإسرائيليين بما فيهم المسيح أية علاقة بـ (فاران) غير أن هاجر مع ولدها إسماعيل تجولا فى متاهات سيناء فى بئر السبع وهم الذين سكنوا بعد ذلك فى قفار (فاران)

ولقد تزوج إسماعيل امرأة مصرية. [سفر التكوين ٢١/ ٢١] ومن ولده الثانى[2] قيدار؛ انحدر أحفاده العرب الذين سكنوا قفار (فاران) وكان منهم محمد الذى دخل مكة مع عشرة آلاف قديس (مؤمن) وجاء بنور الشريعة إلى شعبه، لقد تحققت تلك النبوءة فى محمد حرفيًا... لننظر أيضًا فى النبوءة التى جاء بها النبى حبقوق [سفر حبقوق ٢/ ٣] وهى كما يلى:

«القديس من جبل فاران، مجده غطّى السماوات، والأرض امتلأتْ بحمده» إن كلمة (حَمْد) هنا ذات مغزى هام. ذلك أن اسم (محمد) باللغات يعنى حرفيًا: (الممدوح) وفوق هذا فإن العرب وهم سكان قفار (فاران) كانوا قد وعدوا أيضا بنزول الوحى: «لترفع البرية ومدنها؛ صوتها، الديار التى سكنها قيدار. لتترنم سكانُ سالع من رءوس الجبال ليهتفوا وليمجدوا السيد، وليعلنوا حمده فى الجزر، السيد سيخرج جبارًا، ويثير الحميةً كرجل حرب، ويهتف ويدوى، ويسيطر على أعدائه» [إشعيا ٤٢/ ١١ ـ ١٣]

---

(١) قال موسى: «سيبعث الله من بين إخوتكم نبيًا مثلى، فاستمعوا إليه فى جميع ما يقول لكم، ومن لم يستمع لذلك النبى؛ يُستأصل من الناس» (مذكرات الرسل ٣/ ٢٢ ـ ٢٣)

(٢) الولد الأول هو نبايوت.

وهناك أيضًا نبوءتان مهمّتان:

الأولى: وردت فى سفر إشعيا [١/٦٠ ـ ٢، ٦ ـ ٧]:

«انهضى فقد جاء نورك، ومجد الرب أشرق عليك، ها هى الظلمة تغطى الأرض والأمم، أما عليك فيشرق نور الرب ويرى مجده عليك؛ فتسير الأمم فى نورك والملوك فى ضياء إشراقك... تغطيك أعداد الجمال الكثيرة، جمال مدين وعيفة، كلها تأتى من شبا تحمل ذهبًا وبخوراً وتبشر بتسابيح الرب، كلّ غنم قيدار تجتمع إليك، وأكباش نبايوت تخدمك، تصعدُ مقبولة على مذبحى، وسوف أعظّم بيت مجدى»

والنبوءة الثانية: أيضًا فى سفر إشعيا [١٣/٢١ ـ ١٧] تقول: **«وحى من جهة بلاد العرب، فى الوعر فى بلاد العرب، تبيتين يا قوافل الددانيين، هاتوا ماءً لملاقاة العطشان يا سكان أرض تيماء، وافوا الهارب بخبزه، فإنهم من أمام السيوف قد هربوا، من أمام السيف المسلول، ومن أمام القوس المشدودة، ومن أمام شدة الحرب، فإنه هكذا قال الرب، فى مدة سنة كسنة الأجير يسقط كل مجد قيدار، وبقية الأقواس من أبطال بنى قيدار تضمحل»**

ولنلاحظ الترابط المدهش بين هاتين النبوءتين وبين تلك التى وردت فى سفر التثنية عن **«النور المشع القادم من فاران»**

لقد سكن إسماعيل فى قفار (فاران) حيث ولد له قيدار وهو الجد الأكبر للعرب، وكتب على أولاد قيدار أن يأتيهم الوحى من الله وأن تقدم الأضاحى تمجيداً لـ (بيت الله) حيث كان الظلام يلف الأرض لقرون عديدة، كما كتب على أحفاد قيدار ورماتهم وأبطالهم أن يضمحلوا خلال سنة واحدة بعد الهجرة أمام السيف المسلول والقوس المشدود، فهل هناك من يعنيه هذا الكلام غير شخص واحد من (فاران) هو محمد؟»

[انتهى النص]

نبوءات موسى وإشعياء عن رفض الله لبنى إسرائيل من السير أمامه:

وفى التوراة نبوءات تدل على أن الله سيرفض بنى إسرائيل من السير أمامه. والرفض يدل على انقطاع الوحى في بنى إسرائيل، وانتقاله إلى بنى إسماعيل فى حالة ظهور بركته من محمد ﷺ. ومن نبوءات الرفض: نبوءة الأمة الغبية فى التثنية ٣٢ وقول الله على لسان إشعياء: **«أصغيت إلى الذين لم يسألوا. وُجدت من الذين لم يطلبونى...»** [إش ٦٥]

تطبيق المسيح عيسى بن مريم
ويوحنا المعمدان. نبوءات التوراة عن النبى الأمى
الآتى على مثال موسى. على محمد ﷺ

أعد قراءة ما تقدم مرة أو مرتين وثلاث. وبعد القراءة وفهم المعنى. اسأل نفسك هذا السؤال: هل قول موسى عليه السلام عن النبى الآتى على مثاله، ليقيم الدين، كما أقامه. يدل على محمد ﷺ أم لا يدل؟ لقد قال موسى لبنى إسرائيل: « يقيم لك الرب إلهك: نبيا. من وسطك. من إخوتك. مثلى. له تسمعون» وهذا النبى لا يكون من بنى إسرائيل، لأن الله قد استجاب لإبراهيم فى إسماعيل، ووعده بالبركة فى نسله. والبركة ا ـ ملك ب ـ ونبوة. وقد أرسل عيسى عليه السلام ليبشر بنى إسرائيل بمجيئه من بعده، وأرسل يحيى معه لنفس الغرض. وقد بشرا بنى إسرائيل به؛ بلسانهم. واستدلا على مجيئه بآيات فى التوراة. منها :

نبوءة حَجَّاى

فى سفر حجاى: « وأزلزل كل الأمم، ويأتى مشتهى كل الأمم، فأملأ هذا البيت مجدا. قال رب الجنود. لى الفضة ولى الذهب. يقول رب الجنود. مجد هذا البيت الأخير، يكون أعظم من مجد الأول. قال رب الجنود. وفى هذا المكان أعطى السلام. يقول رب الجنود» [حج ٢:٧ـ ٩]

ا ـ « مشتهى كل الأمم» كلمة« مشتهى» تترجم « حِمْدَه»

ب ـ « أعطى السلام» كلمة «السلام» تترجم «شالوم»

وعلماء أهل الكتاب من اليهود والنصارى يقولون: إن مشتهى كل الأمم: هو النبى المنتظر الآتى على مثال موسى. ويلقبونه بلقب« الَمسيَّا» أو « المسيح» ويقولون: إن نص سفر حَجَّاي هذا هو نبوءة مسيحانية MESSIANIC واعلم:أن «حمده»: اسم شخص. و«شالوم» تعنى: دين الإسلام الذى سيأتى به «حمده» وبيان ذلك:

(أ) بالنسبة لكلمة «حمده» فإن النص باللغة العبرانية هو: «فى يافو حمده كُول هاجُوييم» ومعناه حرفياً: «وسوف يأتى حمده لكل الأُمم» وكلمة «حمده» أصلها فى العبرانية القديمة أو الآرامية «حمده» وتلفظ أيضاً «حمدهْ» ومعناها فى العبرانية: الأمنية الكبيرة» أو «المشتهى» أو «ما يتوق إليه المرَء» وفى اللغَة العربية يأتى الفعل «حَمِدَ» بمعنى «الإطراء، والمديح»

وعلى ذلك. تكون كلمة «أحمد» هى الصيغة العربية لكلمة «حمْده» ويكون عيسى عليه السلام مستدلاً بنبوءة حجاى هذه وهو ينطق باسم «أحمد» فى إنجيل يوحنا وهو «بير كليت الروح القدس» أى: أحمد المصطفى من الله القدوس الطاهر. ذلك قوله: «وأما المعزّى الروح القدس، الذى سيرسله الآب باسمى؛ فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لكم» [يو ١٤ : ٢٦] والمعزى وضعها النصارى بدل «باراكليت» والمسيح لم ينطق «باراكليت» وإنما نطق «بيركليت» ومعناها: «أحمد»

يقول القس عبد الأحد داود الأشّورى: «وفى إنجيل يوحنا الذى كتب باليونانية؛ ورد اسم «باراكليتوس paracletos » وهو صيغة غير معروفة فى الأدب الإغريقى - اليونانى - ولكن كلمة «بيركليتوس peracletos » هى التى توافق وتطابق تماماً اسم «أحمد» فى معناه ومغزاه، ولابد أنها كانت الترجمة اليونانية الأصلية لكلمة «حمده» الآرامية، كما لفظها عيسى المسيح» أ. هـ.

(ب) ولماذا يأتى حمده؟ إنه سيأتى لتبليغ شريعة هى «سلام» فإن كلمة «شالوم» بالعبرانية. هما فى العربية «سلام» أو «إسلام»

نبوءة ملاخى

وفى سفر ملاخِى نبوءة عن النبى المنتظر تدل على أنه سيأتى بشريعة هى سلام يُسرون بها. ونصها: «سوف أرسل رسولى؛ فيمهد الطريق أمامى، وفجأة سوف يأتى إلى هيكله السيد الذى تطلبونه، وملاك العهد الذى تُسرون به. إنه سوف يأتى. هكذا قال رب الجنود» [ملا ٣ :١] وفى ترجمة أخرى: «هأنذا أُرسل ملاكى؛ فيهيء الطريق أمامى، ويأتى بغتة إلى هيكله السيد الذى تطلبونه، وملاكُ العهد الذى تسرون به. هو ذا يأتى، قال رب الجنود، ومن يحتمل يوم مجيئه؟ ومن يثبت عند ظهوره؟ لأنه مثل نار المحص،ومثل أشنان القصّار؛ فيجلس ممحصا ومنقيا للفضة. فينقى بنى لاوى، ويصفيهم»

ولم يتنبه القس الأشورى إلى تفسير المسيح عيسى لمشتهى كل الأمم بمحمد. وقد أدّاه اجتهاده إلى موافقة المسيح عيسى فى تفسيره. فالمأثور عن عيسى عليه السلام أنه كان يتلو على مسامع بنى إسرائيل نُبوءات التوراة عن النبى المنتظر، ويفسرها تفسيراً حسناً يدل على محمد رسول الله ﷺ

ومثال ذلك: نبوءة سفر حَجّاى عن مجيء مشتهى كل الأمم. فإنه قد فسر الكلمة العبرانية التى تدل على «الحمد» أو على «مشتهى كل الأمم» باسم «محمد»

وهذا هو نص كلامه من إنجيل بَرنابا:

«قال يسوع: أيها الأخوة. إن سبق الاصطفاء لسر عظيم، حتى أنى أقول لكم الحق: إنه لا يعلمه جليا، إلا إنسان واحد فقط، وهو الذى تتطلّع إليه الامم، الذى تتجلّى له أسرار الله تجليا. فطوبى للذين سيصيخون السمع إلى كلامه، متى جاء إلى العالم؛ لأن الله سيظللهم، كما تظللنا هذه النخلة. بلى. إنه كما تقينا هذه الشجرة حرارة الشمس المتلظية، هكذا تقى رحمة الله المؤمنين بذلك الإسم من الشيطان.

أجاب التلاميذ: يا معلم من عسى أن يكون ذلك الرجل الذى تتكلم عنه، الذى سيأتى إلى العالم؟ أجاب يسوع بإبتهاج قلب: إنه محمد رسول الله»

ويقول النصارى فى نبوءة ملاخى: إنها تتكلم عن اثنين. أحدهما يبشر بمجىء الآخر.

وهما: يوحنا المعمدان الذى يبشر بعيسى عليه السلام. فيكون المعمدان هو الملاك أو الرسول. ويكون عيسى هو السيد وملاك العهد أو رسول العهد. فالملاك هو المعمدان، وملاك العهد هو عيسى المسيح. الذى هو النبى الأمى المماثل لموسى. ذلك قولهم.

وقد أرسل الله الرسل للتمهيد لمجىء محمد ﷺ ومن الرسل يحيى وعيسى - عليهما السلام - ولا يمكن أن يكون عيسى هو السيد الذى هو رسول العهد: كما يقول النصارى، وذلك:

١ - لأن كلمة «حِمْدِه» قريبة من «أحمد» وليست قريبة من «يسوع» أو «يهوشوع» أو «إيسا».

٢ - ولأن النبى الآتى سوف يشن حروباً على أعدائه، وسوف ينتصر عليهم. ذلك قوله: «ومن يحتمل يوم مجيئه... إلخ» وعيسى لم يحارب.

٣ - ومن حروبه حروب مع اليهود. ذلك قوله «فينقّى بنى لاوى ويصفيهم كالذهب والفضة» وعيسى لم يحارب اليهود، ولم ينتصر عليهم.

٤ - وهو سيأتى لإعطاء شريعة هدى ﴿سلام﴾ وعيسى لم ينسخ شريعة موسى.

٥ - والنبوءة تتكلم عن بيتين البيت الأول والبيت الأخير «وإن مجد ذلك البيت الأخير، يكون أعظم من مجد الأول» وعيسى تنبأ عن خراب البيت الأول الذى هو هيكل سليمان رمز شريعة موسى. وقد خرب من بعده؛ فلا يكون هو المراد بالنبوءة، أما الكعبة فإن مجدها أعظم من مجد الأول. وقد ظهر ذلك المجد فى مجىء محمد ﷺ

كما قال إشعياء أيضاً في الأصحاح الرابع والخمسين من سفره. يقول عيسى عليه السلام: «يا أورشليم. يا أورشليم. يا قاتلة الأنبياء، وراجمة المرسلين إليها. كم مرة أردت أن اجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها، ولم تريدوا. هو ذا بيتكم يُترك لكم خرابا. لأني أقول لكم: إنكم لا تروننى من الآن حتى تقولوا: مبارك الآتي باسم الرب» [متى ٢٣: ٣٧ - ٣٩]

ومبارك الآتي: هو محمد رسول الله ﷺ الذى يبشر به، ويستدل على مجيئه بالمزمور المائة والثامن عشر لداود عليه السلام. وفيه: «مبارك الآتي باسم الرب»

تطابق النبوءة مع القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القدر؟ ليلة القدر خير من ألف شهر. تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر. سلام. هي حتى مطلع الفجر﴾ يخبر الله تعالى عن محمد ﷺ بلقب ﴿الروح﴾ وهو من القابه في التوراة والإنجيل؛ ليعرف أهل الكتاب بأنه قد ظهر [إش ٤٢ يو ١٤] وقد أثر عن ابن عباس: أن من القابه ﴿الروح﴾ في كتبهم، ويقول الله تعالى: إنا ابتدأنا إنزال القرآن، في ليلة عظيمة القدر والشرف. وهي للمسلم خير من ألف شهر. لأننا لو فرضنا إن عمر المسلم مائة سنة: فإنه سيساوي عمر إنسان عاش من قبل الإسلام ثلاثة ملايين سنة تقريباً لأن الليلة في عمره تساوي ثلاثة وثمانين سنة تقريباً في عمر الأمم السابقة. وعبر بـ ﴿تنزّل﴾ ولم يعبر بتزلت؛ لأن نزول الملائكة مستمر بالقرآن. أما على قلب النبي: فإنه استمر إلى حين موته. وأما على قلوب المؤمنين فلقوله: **﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة: أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾** والملائكة تتنزل على قلب المؤمن لتلهمه أمرا من الأمور، ولتقوى إلهامه بقرآن في معنى الأمر. وهذا يحسه كل إنسان من نفسه. وقد نزلت الملائكة بالقرآن ﴿من كل أمر﴾ فيه حياة للناس. ثم قال عن شريعة القرآن: ﴿سلام﴾ أي هي شريعة سلام نازلة على النبي لإصلاح حال الناس. وعبر بـ ﴿سلام﴾ لأن شريعته في كتب أهل الكتاب موصوفة بأنها شريعة سلام. ففي الإنجيل: «المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرة» وفي ترجمة: « للناس الذين هم أهل رضا الله» وفي التوراة: «وأزلزل كل الأمم، ويأتي مشتهى كل الأمم؛ فأملأ هذا البيت مجداً. قال رب الجنود، وفي هذا المكان أعطى السلام. يقول رب الجنود»

ثم قال: إن شريعته ستستمر إلى يوم القيامة؛ لأنه لا نبي بعد محمد. وعبر عن استمرارها بقوله: ﴿هي حتى مطلع الفجر﴾ يريد أن يقول: إن الكفر كالظلام وأن الإيمان

كالنور. وهذه الشريعة ستستمر في محو الكفر، المعبر عنه بالظلام، وتتعقبه. إلى أن يتم فتح بلاد الكفر كلها، ويدخل الناس في دين الله أفواجا. وإذا طلع الفجر كناية عن زوال الكفر من العالم وحلول الإيمان محله، المعبر عنه بالفجر الذى هو كناية عن النور، وسار العالم كله فى نور شريعة القرآن. عندئذ ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا﴾ لأن القيامة ستقوم.

نبوءة المعمدان

وقد تنبأ يحيى عليه السلام عن نبى قوي يأتى من بعده، ويكون على يديه زوال ملك بنى إسرائيل فى أرض فلسطين بالحرب والقتال.

يقول متى: «وفى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز فى برية اليهودية قائلاً: توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات. فإن هذا هو الذى قيل عنه بإشعياء النبى القائل: «صوت صارخ فى البرية. أعدوا طريق الرب. اصنعوا سبله مستقيمة» ويوحنا هذا كان لباسه من وبر الإبل وعلى حقويه منطقة من جلد. وكان طعامه جراداً وعسلاً برياً. حينئذ خرج إليه أورشليم وكل اليهودية وجميع الكورة المحيطة بالأردن واعتمدوا منه فى الأردن معترفين بخطاياهم. فلما رأى كثيرين من الفريسيين والصدوقيين يأتون إلى معموديته قال لهم: يا أولاد الأفاعى من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى. فاصنعوا أثماراً تليق بالتوبة ولا تفتكروا أن تقولوا فى أنفسكم: لنا إبراهيم أباً. لأنى أقول لكم: إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم. والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر. فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى فى النار، أنا أعمدكم بماء للتوبة، ولكن الذى يأتى بعدى هو أقوى منى الذى لست أهلاً أن أحمل حذاءه. هو سيعمدكم بالروح القدس ونار. الذى رفشه فى يده وسينقى بيدره، ويجمع قمحه إلى المخزن. وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ. حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه، ولكن يوحنا منعه قائلاً:

أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتى إلى؟ فأجاب يسوع وقال له : اسمح الآن. لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر. حينئذ سمح له. فلما اعتمد يسوع؛ صعد، للوقت من الماء. وإذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه. وصوت من السماوات قائلاً : هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت» [متى٣]

يلاحظ فى هذا النص:

١ ـ «يا أولاد الأفاعى من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى» وهذا يدل على زمان انتقام.

٢ ـ «الآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر» وهذا يدل على أن الانتقام مؤكد وقد اقترب أوانه.

٣ ـ «فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً: تُقطع وتلقى فى النار» وهذا يدل على أن المؤمنين بالنبى الآتى من بعده لن يهلكوا، على يد النبى الآتى.

٤ ـ قوله عن النبى الآتى من بعده. أنه سيعمد بالنار وأنه سيحرق التبن بنار لا تطفأ. هو دليل على أن الانتقام سيكون على يديه.

والسؤال الآن: هو: هل عيسى عليه السلام هو الذى أتى من بعده وحارب اليهود وانتصر عليهم؟

نبوءة أنت هو الآتى، أم ننتظر آخر؟

فى إنجيل متى: «ولما أكمل يسوع أمره لتلاميذه الاثنى عشر؛ انصرف من هناك ليعلم ويكرز فى مدنهم. أما يوحنا فلما سمع فى السجن بأعمال المسيح أرسل اثنين من تلاميذه. وقال له: أنت هو الآتى أم ننتظر آخر؟ فأجاب يسوع وقال لهما: اذهبا وأخبرا يوحنا بما تسمعان وتنظران: العمى يبصرون، والعرج يمشون، والبُرص يطهّرون، والصم يسمعون، والموتى يقومون، والمساكين يبشّرون. وطوبى لمن لا يعثر فىّ. وبينما ذهب هذان، ابتدأ يسوع يقول للجموع عن يوحنا: ماذا خرجتم إلى البَرِّيَّة لتنْظروا؟ أقصبة تحركها الريح؟ لكن ماذا خرجتم لتنظروا؟ أإنساناً لابساً ثياباً ناعمة؟ هو ذا الذين يلبسون الثياب الناعمة، هم فى بيوت الملوك. لكن ماذا خرجتم لتنظروا؟ أنبياً؟ نعم أقول لكم: وأفضل من نبى. فإن هذا هو الذى كُتب عنه: «ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكى، الذى يهيىء طريقك قدامك» الحق أقول لكم: لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان ولكن الأصغر فى ملكوت السموات أعظم منه. ومن أيام يوحنا المعمدان إلى الآن؛ ملكوت السموات يُغصب، والغاصبون يختطفونه، لأن جميع الأنبياء والناموس إلى يوحنا تنبأوا، وإن أردتم أن تقبلوا؛ فهذا هو إيليّا المزمع أن يأتى. من له أذنان للسمع فليسمع» [متى١١]

لاحظ:

١ ـ أنت هو الآتى أم ننتظر آخر؟ من هو «الآتى»؟

الآتى: ـ بالألف واللام. أى المعروف لهما ـ هو النبى الأمى المماثل لموسى.

٢ ـ لم يجب عيسى بأنه هو الآتى. واكتفى بعمل معجزات تدل على نبوته.

٣ ـ وقال عيسى عليه السلام: إن الأصغر فى ملكوت السموات أعظم من يوحنا

المعمدان. أى أن الآتى المسئول عنه، وهو آخر أنبياء الله على الأرض: وهو محمد رسول الله ﷺ أعظم من عيسى عليه السلام.

يقول القس عبد الأحد داود: «إننا مضطرون لأن نبحث عن نبى يكون الأخير قطعاً، ويكون خاتم الأنبياء. هل نستطيع أن نتصور ما هو أقوى وأبلغ فى الدلالة على نبوة محمد من تحقق بشارة المسيح المدهشة فى شخص محمد وحده، دون غيره من الأنبياء؟ إن محمداً بلا شك هو الأصغر سناً فى سلسلة الأنبياء. ومع ذلك فهو صفوتهم وسلطانهم وسيدهم» أ. هـ.

نبوءة سيّد داود

يقول داود عليه السلام عن النبى الأمى الآتى على مثال موسى:

« قال الرب لربى: اجلس عن يمينى، حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك، يرسل الرب قضيب عزك من صهيون. تسلط فى وسط أعدائك. شعبك منتدب فى يوم قوتك، فى زينة مقدسة، من رحم الفجر لك طل حداثتك. أقسم الرب ولن يندم. أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكى صادق، الرب عن يمينك يحطم فى يوم رجزه ملوكاً. يدين بين الأمم. ملأ جثثا. أرضاً واسعة. سحق رءوسها. من النهر يشرب فى الطريق؛ لذلك يرفع الرأس» [مز ١١٠]

لاحظ:

١ ـ تسلط فى وسط أعدائك ـ أى أن النبى الآتى سيكون محارباً وفاتح بلاد ومنتصراً.

٢ ـ الرب عن يمينك ـ كناية عن أن الله مع النبى الآتى ضد الكفار.

٣ ـ يحطم فى يوم رجزه ملوكاً ـ كناية عن شدة المعارك الحربية.

٤ ـ يدين بين الأمم ـ أنصار النبى على طول الزمان يؤدبون الكفار بالحرب.

٥ ـ ملأ جثثا ـ أى أن النبى وأصحابه يقتلون كثيرين من الأعداء فى أراضى المعارك الحربية.

٦ ـ سحق رءوسها ـ كناية عن الهزيمة الساحقة للأعداء.

٧ ـ من النهر يشرب فى الطريق ـ كناية عن عدم تعبه وتعب جيوشه وهم ذاهبون إلى قتال الأعداء.

ويقول اليهود والنصارى: إن هذا المزمور يدل على النبى الأمى الآتى على مثال

موسى، ويقول النصارى: إنه هو عيسى عليه السلام. فهل قول النصارى صحيح؟ وهل قول اليهود صحيح؟ وهو أن النبى المشار إليه لم يأت بعد، وإذا أتى فإنه سيكون من بنى إسرائيل. ليس من إسرائيل. وليس قول اليهود صحيحا، وليس قول النصارى صحيحا. وذلك لأن كلمة «سيد داود» تدل على أن الآتى لن يكون من اليهود، وإنما سيكون من نسل إسماعيل. وبيان ذلك:

أن الله فسر البركة لإبراهيم عليه السلام بأنها أ ـ ملك. ب ـ ونبوة. وأن النسل القائم بالبركة؛ يكون كل فرد فيه سيدا ورئيساً مطاعاً. ذلك قوله: «أباركها فتكون أمما وملوك شعوب منها يكونون» ـ «وأجعلك أمما وملوك منك يخرجون» وداود عليه السلام يعنى بسيده: قيام نسل إسماعيل بالبركة. وأن كل فرد فيهم سيكون سيدا ورئيسا مطاعاً من حين ظهور النبى الآتى منهم. وعبر عنه بسيده؛ لأنه لو فرض أنه حى حال ظهوره؛ لكان داخلاً فى ملكه. ويطلق اليهود والنصارى لقب «المسيح الرئيس» أو «المسيا المنتظر» على النبى الأمى الآتى على مثال موسى. وفى الأناجيل المقدسة: يوجه عيسى عليه السلام سؤالاً لعلماء بنى إسرائيل عن «المسيح» الذى هو «المسيا» أو «النبى» من أى نسل سيأتى هذا النبى؟ أجابوا: من نسل داود. فقال لهم: أنتم مخطئون. وذلك لأن داود قال إنه سيده، والابن لا يكون سيدا لأبيه. ومن أى نسل يأتى؟ أجاب من إسماعيل. ولماذا؟ لأن الله قد استجاب دعاء إبراهيم فى إسماعيل، وجعل له عهدا.

ففى إنجيل متى: «وفيما كان الفَرِّيسيون مجتمعين سألهم يسوع قائلاً: ماذا تظنون فى المسيح؟ ابن من هو؟ قالوا له: ابن داود. قال لهم: فكيف يدعوه داود بالروح؛ رباً قائلاً: قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك. فإن كان داود يدعوه رباً: فكيف يكون ابنه؟ فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة. ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يسأله بتة» [متى: ٢٢: ٤١ ـ ٤٦]

لاحظ:

قال الرب لربى ـ إن النص العبرى هو «قال يهوه yahwah لسيدى adon اجلس على يمينى، حتى أجعل أعداءك . . . . إلخ»

نبوءة عيسى عن محمد بلقب المسيح:

ولا يمكن أن يكون سيد داود هو عيسى بن مريم وذلك لأنه من اليهود، ولأنه لم يحارب ولم يكن ملكاً. وتنبأ عن مجيىء المسيح من بعده، وبين أنه ليس هو المسيح الرئيس وإنما هو مسيح كسائر المسحاء فى قوله بعد ما وبخهم على اعتقادهم فى المسيح:

« على كرسىّ موسى جلس الكتبة والفريسيون. فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه. ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا؛ لأنهم يقولون ولا يفعلون. فإنهم يحزمون أحمالاً ثقيلة عسرة الحمل، ويضعونها على أكتاف الناس، وهم لا يريدون أن يحركوها بإصبعهم وكل أعمالهم يعملونها؛ لكى تنظرهم الناس ، فيعرضون عصائبهم، ويعظمون أهداب ثيابهم، ويحبون المتكأ الأول فى الولائم، والمجالس الأولى فى المجامع، والتحيات فى الأسواق، وأن يدعوهم الناس. سيّدى سيّدى. وأما أنتم فلا تدعوا سيدى؛ لأن معلمكم واحد المسيح، وأنتم جميعا إخوة. ولا تدعوا لكم أبا على الأرض؛ لأن أباكم واحد الذى فى السموات. ولا تُدعوا معلمين؛ لأن معلمكم واحد؛ المسيح. وأكبركم يكون خادما لكم. فمن يرفع نفسه يتضع، ومن يضع نفسه يرتفع» [متى ٢٣: ٢ ـ ١٢]

إنه يقول: أ ـ «وأما أنتم فلا تُدعوا؛ سيّدي؛ لأن معلمكم واحد؛ المسيح» ب ـ «ولا تدعوا معلمين؛ لأن معلمكم واحد؛ المسيح» لا يقصد بالمسيح نفسه، وإنما هو يقصد بالمسيح: محمد رسول الله. الذى هو النبى الأمى المماثل لموسى.

وقد كرر عيسى عليه السلام هذا القول فقال: «حينئذ إن قال لكم أحد: هو ذا المسيح هنا أو هناك؛ فلا تصدقوا. لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويُعطُوْن آيات عظيمة وعجائب. حتى يُضلّوا لو أمكن المختارين أيضاً. ها أنا قد سبقتُ وأخبرتكم.

فإن قالوا لكم: ها هو فى البرية؛ فلا تخرجوا. ها هو فى المخادع؛ فلا تصدقوا. لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر إلى المغارب؛ هكذا يكون أيضاً مجىء ابن الإنسان. لأنه حيثما تكن الجثة فهناك تجتمع النسور. وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تُظلم الشمس. والقمر لا يُعطى ضوءه، والنجوم تسقط من السماء، وقوات السموات تتزعزع. وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان فى السماء وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض، ويبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير. فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح، من أقصاء السموات إلى أقصائها. فمن شجرة التين تعلموا المَثَل. متى صار غصنها رخصاً وأخرجت أوراقها: تعلمون أن الصيف قريب. هكذا أنتم أيضاً متى رأيتم هذا كله فاعلموا أنه قريب على الأبواب. الحق أقول لكم: لا يمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله، السماء والأرض تزولان ولكن كلامى لا يزول. وأما ذلك اليوم وتلك الساعة، فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات، إلا أبى وحده. وكما كانت أيام نوح، كذلك يكون أيضا مجىء ابن الإنسان. لأنه كما كانوا فى الأيام التى قبل الطوفان يأكلون ويشربون ويتزوجون ويزوجون إلى

اليوم الذى دخل فيه نوح الفلك. ولم يعلموا، حتى جاء الطوفان،وأخذ الجميع. كذلك يكون أيضاً مجيىء ابن الإنسان. حينئذ يكون اثنان فى الحقل. يؤخذ الواحد ويترك الآخر. اثنتان تطحنان على الرحى. تؤخذ الواحدة وتترك الأخرى» [متى ٢٤: ٢٣ ـ ٤١]

لاحظ:

١ ـ كلامه عن «المسيح» وتفريقه بين المسيح الحقيقى والمسحاء الكذبة.

٢ ـ لو كان عيسى هو المسيح؛ لما أعطى علامات لمجيىء المسيح.

٣ ـ وقد أعطى لقب «ابن الإنسان» لهذا المسيح. وهو اللقب الذى أعطاه له النبى دانيال فى الأصحاح السابع.

٤ ـ بين أنه فى حال مجيىء المسيح المنتظر مع أصحابه إلى فلسطين؛ ستنشب حروب بينه وبين أعدائه. ذلك قوله «لأنه حيثما تكن الجثة فهناك تجتمع النسور» والجثة كناية عن اليهود والنسور كناية عن أصحاب المسيح الرئيس.

٥ ـ وفى حالة مجيىء المسيح الرئيس ـ الذى هو ابن الإنسان فى النص ـ مع أصحابه سيأتى على سحاب السماء بقوة ومجد كثير. كناية عن تعظمه وارتفاع شأنه.

٦ ـ وعبر عن أتباعه بلقب الملائكة لشبههم بالملائكة النورانيين فى الطهر والصلاح.

٧ ـ وبين أن مجيىء المسيح سيكون قريباً. ذلك قوله: «فاعلموا أنه قريب على الأبواب»

أمثلة ملكوت السموات

وقد ضرب عيسى المسيح أمثلة لملكوت الله. ونسب الملكوت إلى الله؛ لأنه سيادة شريعته على الأرض، على المؤمنين به، تمييزا لهم عن الذين يقيمون مملكة لهم، ويحكمون أنفسهم بشريعة من أنفسهم ، لا من الله. وكان اليهود يحكمون أنفسهم بشريعة موسى، ويدعون الناس إليها؛ . فلذلك كانوا فى ملكوت الله. وهم من بعد محمد ﷺ مكلفون بالدخول فى دينه. لأن الملكوت انتقل منهم إليه. ذلك قول المسيح عيسى عليه السلام لعلماء بنى إسرائيل: «إن ملكوت الله ينزع منكم، ويعطى لأمة تعمل أثماره»

مثل الكرامين الأردياء:

«كان إنسان رب بيت غرس كرماً، وأحاطه بسياج، وحفر فيه معصرة وبنى برجاً

وسلمه إلى كرامين وسافر. ولما قرب وقت الأثمار أرسل عبيده إلى الكرامين ليأخذ أثماره. فأخذ الكرامون عبيده وجلدوا بعضاً وقتلوا بعضاً ورجموا بعضاً. ثم أرسل أيضاً عبيداً آخرين أكثر من الأولين. ففعلوا بهم كذلك. فأخيراً أرسل إليهم ابنه قائلاً: يهابون ابنى. وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم: هذا هو الوارث. هلموا نقتله، ونأخذ ميراثه. فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم، وقتلوه.

فمتى جاء صاحب الكرم. ماذا يفعل بأولئك الكرامين؟ قالوا له: أولئك الأردياء يهلكهم هلاكاً رديا، ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين، يُعطونه الأثمار فى أوقاتها. قال لهم يسوع: أما قرأتم قط فى الكتب: «الحَجَر الذى رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية. من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا» لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله يُنزع منكم، ويعطى لأمة تعمل أثماره. ومن سقط على هذا الحجر؛ يترضّض، ومن سقط هو عليه؛ يسحقه.

ولما سمع رؤساء الكهنة والفَريسيون أمثاله، عرفوا أنه تكلم عليهم. وإذ كانوا يطلبون أن يُمسكوه؛ خافوا من الجموع؛ لأنه كان عندهم مثل نبى» [متى ٢١]

لاحظ:

١ ـ نزع الملكوت من أمة، إلى أمة.

٢ ـ أن صاحب الملكوت الآتى؛ وهو النبى الأمى الآتى على مثال موسى عليه السلام إذا قصده أعداؤه فى عقر داره؛ لا يقدرون على هزيمته، ويهلكون. وإذا هو قصد ديار أعدائه؛ ينتصر عليهم انتصارا عظيما.

ولاحظ: «إن ملكوت الله» وارجع إلى التوراة لتعرف من هو صاحبه؟ وفى أى زمان سيظهر؟ يقول دانيال: إنه بعد قيام أربعة ممالك على الأرض هى: بابل ـ وفارس ـ واليونان ـ والرومان. سيظهر مثل ابن إنسان وينتصر على الرومان فى الحروب. ويؤسس مملكة لا تنقرض أبدا. ويعطيه الله مجدا «وملكوتا» وتخضع الناس لشريعته.

نص ملكوت السموات من سفر دانيال:

«فى السنة الأولى لبيلشاصر ملك بابل رأى دانيال حلماً ورؤى رأسه على فراشه. حينئذ كتب الحُلم وأخبر برأس الكلام. أجاب دانيال وقال: كنت أرى فى رؤياى ليلاً وإذا بأربع رياح السماء هجمت على البحر الكبير، وصعد من البحر أربعة حيوانات

عظيمة. هذا مخالف ذاك. الأول كالأسد، وله جناحا نَسر. وكنت أنظر حتى انتتف جناحاه، وانتصب عن الأرض، وأوقف على رجلين كإنسان وأعطى قلب إنسان. وإذا بحيوان آخرثان شبيه بالدب، فارتفع على جنب واحد، وفى فمه ثلاث أضلع بين أسنانه. فقالوا له هكذا: قم كل لحماً كثيراً. وبعد هذا كنت أرى وإذا بآخر مثل النَّمِر، وله على ظهره أربعة أجنحة طائر. وكان للحيوان أربعة رءوس، وأعطى سلطانا.

بعد هذا كنت أرى فى رؤى الليل وإذا بحيوان رابع هائل وقوى وشديد جداً، وله أسنان من حديد كبيرة. أكل وسحق وداس الباقى برجليه. وكان مخالفا لكل الحيوانات الذين قبلهُ. وله عشرة قرون. كنتُ متأملاً بالقرون وإذا بقرن آخر صغير طلع بينها، وقُلعت ثلاثة من القرون الأولى من قدامه، وإذا بعيون كعيون الإنسان فى هذا القرن، وفم متكلم بعظائم. كنت أرى أنه وُضعت عروش وجلس القديم الأيام. لباسه أبيض كالثلج، وشعر رأسه كالصوف النقى، وعرشه لهيب نار، وبكراته نار متقدة. نهر نار جرى وخرج من قدامه. ألوف ألوف تخدمه وربوات ربوات وقوف قدامه. فجلس الدِّين وفتحت الأسفار. كنت أنظر حينئذ من أجل صوت الكلمات العظيمة التى تكلم بها القرن. كنت أرى إلى أن قُتل الحيوان وهلك جسمه ودفع لوقيد النار. أما باقى الحيوانات فنزع عنهم سلطانهم، ولكن أعطوا طول حياة إلى زمان ووقت. كنت أرى فى رؤى الليل وإذا مع سحاب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقربوه قدامه. فأعطى سلطانا ومجدا وملكوتا لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول، وملكوته ما لا ينقرض» [دانيال ٧]

لاحظ:

«فأعطى سلطانا ومجدا وملكوتا؛ لتتعبّد له كل الشعوب والأمم والألسنة» من الذى أعطى؟ ومن الذى أعطى؟

العاطى هو الله. والمعطَى هو «ابن الإنسان» وهذا له صلة بوعد الله لإبراهيم عليه السلام وهو: «لنسلك أعطى هذه الأرض. من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات. القَينيّين والقَنزّيين والقدمونيين والحثيين والفرزيين والرفائيين والأموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين [تك ١٥: ١٨ - ٢٠] عشر أمم كان بنو إسرائيل فى أيام بركتهم يحكمون عليهم بشريعة موسى. والكل من نسل إبراهيم. وقد نصت التوراة على أن إسماعيل وارث «بإسحق يدعى لك نسل، وابن الجارية أيضا سأجعله أمة؛ لأنه نسلك» [تك ٢١: ١٢ - ١٣]

ويقول النصارى: إن «ابن الإنسان» هو عيسى عليه السلام ويترجمون ابن الإنسان بالبَرناشا. وقولهم باطل. وذلك: لقول دانيال: «هؤلاء الحيوانات العظيمة هى أربعة ملوك يقومون على الأرض. أما قديسو العلى فيأخذون المملكة، ويمتلكون المملكة إلى الأبد، وإلى أبد الآبدين» [دا ٧: ١٧ ـ ١٨] وهم يقولون: إنه سيأتى فى آخر الزمان ليؤسسها على قلوب أتباعه بالملك الروحى، شبه الرؤى فى عالم الأحلام. وقولهم باطل؛ لأن دانيال قد حدد الزمن بأنه عقب زوال دولة الروم؛ ولأن المملكة شبيهة بالممالك السابقة عليها. تُؤسس بالحرب وفتح البلاد.

يقول القس عبد الأحد داود: «وعلى ذلك نستطيع أن نثبت أن الـ (برناشا) ابن الإنسان، الذى أرسل لتدمير وسحق الإمبراطورية الرومانية لم يكن غيرمحمد ﷺ»اهـ.

نبوءة شيلُون

حينما حضر يعقوب الموت «دعا يَعقوب بنيه، وقال: اجتمعوا لأنبئكم بما يصيبكم فى آخر الأيام. اجتمعوا واسمعوا يا بنى يعقوب، واصغوا إلى إسرائيل أبيكم» ولما وصل إلى يهوذا قال: «لا يزول قضيب من يهوذا، ومشترع من بين رجليه؛ حتى يأتى شيلون. وله يكون خضوع شعوب» والمعنى: أنه فى آخر أيام بركة بنى إسحق، القائم بها نيابة عنهم بنو إسرائيل؛ سيزول ملكهم، وستنسخ شريعتهم على يد «شيلون» نبى السلام. والله قد قسم بركة إبراهيم فى الأمم بين إسحق وإسماعيل. والبركة ملك ونبوة. ذلك قوله تعالى: ﴿وباركنا عليه﴾ على الذبيح إسماعيل ﴿وعلى إسحق. ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين﴾ أى يخرج من النسل نبى بشريعة، ويمكن لها النسل فى البلاد التى يفتحونها. فيكون من النسل أمم وملوك على الشعوب. وقد أتى من إسحق نبى الله موسى بالتوراة. وقام بها بنو إسرائيل خير قيام. وصار لهم بها ملك على الأمم والشعوب. ثم إنهم حرفوها وقعدوا عن الجهاد فى سبيل الله. وأتى من إسماعيل نبى الله محمد بالقرآن. وما يزال بنو إسماعيل يقومون به خير قيام. ولهم به ملك على الأمم والشعوب. ويقول القس عبد الأحد داود: إن الترجمة الحرفية هى: «لا يزول الصولجان[1] من يهوذا، و التشريع من بين قدميه، حتى يأتى شايلوه، ويكون

---

(١) النص فى ترجمة البروتستانت: «لا يزول قضيب من يهوذا، ومشترع من بين رجليه، حتى يأتى شيلون. وله يكون خضوع شعوب. رابطا بالكرامة جحشه، وبالجفنة ابن أتانه. غسل بالخمر لباسه، وبدم العنب ثوبه. مسود العينين من الخمر، ومبيض الأسنان من اللبن» وفى التعليق على كلمة «شيلون» مانصه: أى أمان. وعند البعض معناه: الذى له. انظر حز٢١ : ٢٧»١. هـ.

له خضوع الأمم» والترجمة السريانية المسماة «البشيتّا Peshita » ترجمت الكلمة إلى «الشخص الذى يخصه» أى الشخص الذى يخصه الصولجان والتشريع . وبموجب هذه الترجمة الهامة؛ فإن معنى النبوءة يظهر واضحا ما يلى: «إن صفات السلطان والنبوة لن تنقطع من يهوذا وسلالته، إلى أن يجىء الشخص الذى تخصه هذه الصفات، ويكون له خضوع الأمم»

ومن المعروف: أن اليهود والنصارى مما يعتقدون أن عهد يعقوب هو أحد أبرز التنبؤات المسيّانية عن مجىء المخلّص المنتظر»

ثم يقول ما نصه فى الشرح والبيان:

«أما بالنسبة لعيسى فحتى لو اعترف اليهود ببعثته النبوية، وهو الشىء الذى لم يحدث، فإن مهمته المسيحانية كمخلّص منتظر، لم تكن مقبولة لديهم؛ لأنه لم توجد فيه أى من صفات المسيح[1] التى توقعوها. فاليهودى ينتظر مسيحاً مقاتلاً ذا سلطة دنيوية، وفاتحاً يُعيدُ مملكة داود، مسيحاً يجمع شمل إسرائيل فى أرض كنعان ويُخضعُ الأمم تحت سلطته غير أنه يمكن التأكد من تحقق نبوءة يعقوب حرفيًا فى (محمد) من الحجج التالية:

١ ـ هناك إجماع بين المعلقين على أن التعبيرين المجازيين: (الصولجان) و (التشريع) معناهما: (السلطة الدنيوية و (النبوّة) على التوالى.

٢ ـ إن الترجمة السريانية للكتاب المقدس (البشيتا peshitta) ترجمت كلمة (شايلوه) إلى (الشخص الذى يخصه الصولجان والتشريع) أى الذى يمتلك السلطة وحق التشريع وتخضع له الأمم. فمن يكون هذا السلطان والمشرع العظيم؟

قطعاً ليس موسى، لأنه كان أول منظم لقبائل إسرائيل الاثنى عشر، ولم يكن قبله أى ملك أو نبى من سبط يهوذا أصلاً وحتماً ليس داود لأنه كان أول نبى من نسل يهوذا نفسه. كما أنه ليس عيسى المسيح لأنه أعلن بنفسه أن المسيح الذى تنتظره إسرائيل لن يكون من نسل داود (إنجيل متى ٢٢/ ٤٤ ـ ٤٥، مرقس ١٢/ ٣٥ ـ ٣٧، لوقا ٢٠/ ٤١ ـ ٤٤) أضف إلى ذلك: أن عيسى لم يترك تشريعاً مكتوباً، ولم يفكر بسلطان دنيوى قط. وعلى العكس فقد نصح اليهود أن يخلصوا لقيصر ويدفعوا له الضريبة، وفى إحدى

---

(١) عيسى عليه السلام ليس هو المسيح الرئيس. وما جاء فى القرآن من أنه ﴿المسيح عيسى بن مريم﴾ فهو على أنه لا يعرف فى العالم إلا بمجموع الثلاثة. وهو «مسيح» ولكنه ليس هو ﴿المسيح﴾ والقسيس عبد لأحد داود ـ رحمه الله ـ قال: إن عيسى هو المسيح عيس بن مريم وقال: إن النبوءات لاتنطبق عليه، وإنما تنطبق على محمد عليه السلام .

المناسبات حاولت الجماهير أن تنصبه ملكاً فتنصل منها واختفى، وكان إنجيله محفوظاً فى قلبه وقد بَلّغَ (البشارة السارة) (الإنجيل) شفاهةً وليس كتابةً. علماً أنه لم يبطل شريعة موسى، بل أعلن صراحة أنه قدم لتحقيقها، كما أنه لم يكن آخر الأنبياء.

غير أن محمداً ﷺ جاء بالسلطة الدنيوية، وبالقرآن؛ يحلان محل الصولجان اليهودى المهترىء، والشريعة القديمة غير العملية. وأعلن أنقى الأديان وتوحيد الإله الحق، ووضع أفضل القواعد العملية لأخلاق وسلوك البشر ووحّد بالإسلام أممًا كثيرة لا تشرك بالله شيئاً؛ حتى صارت تطيعه وتحبه وتحترمه؛ ولكنها لا تعبده ولا تقدسه ولا تجعله إلهاً. وقد سحق محمد آخر معاقل اليهود فى قريظة وخيبر، ووضع نهاية لنفوذهم.

٣ ـ إن المعنى الثانى لكلمة شايلوه Shiloh ينصبّ أيضاً لصالح محمد، وهو يعنى: هادىء مسالم أمين وديع. ومن الحقائق المعروفة جيداً فى تاريخ نبىّ بلاد العرب: أنه كان قبل البعثة كثير الهدوء والمسالمة ومحلاً للثقة؛ مما جعل أهل مكة يسمونه (محمد الأمين) وعندما خلع عليه أهل مكة هذا اللقب، لم تكن لديهم أدنى فكرة عن (شايلوه) بهذا المعنى. ومن الإعجاز: أن الرسالة نزلت على العرب الوثنيين الأميين؛ لكى يواجهوا اليهود المتعلمين الذى كان لديهم كتابات مقدسة يعرفون محتوياتهم تماماً.

٤ ـ أما المعنى الثالث لاسم شايلوه Shiloh الذى قد يكون تحريفاً لـ (شلواح Shi-luah) فإنه يتطابق مع لقب النبى العربى الذى يتكرر كثيراً فى القرآن وهو ﴿الرسول﴾ الذى يعنى بالضبط ﴿رسول الله﴾ وهو ما يتكرر فى نداء المؤذن خمس مرات كل يوم عندما يُنادى للصلاة من جميع مآذن العالم.

وأياً من المعانى نختار لتفسير نبوءة يعقوب؛ فإننا مضطرون بحكم تحققها جميعاً فى محمد؛ أن نسلم بأن اليهود ينتظرون عبثاً مجىء شايلوه آخر، وأن النصارى مصرون على خطئهم فى الاعتقاد بأن عيسى كان هو المقصود بشايلوه.

وثمة نقاط فى النبوءة تستحق التفكير:

أولا: من الواضح أن السلطة والتشريع سيظلان فى سبط يهوذا، طالما أن شايلوه لم يظهر. وبما أن اليهود يدّعون أن شايلوه لم يظهر حتى الآن؛ فيفترض أن تكون كلٌّ من السلطة الدنيوية والخلافة النبوية موجودتين لدى سبط يهوذا. فى حين أنهما انقرضتا منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً.

وثانياً: بما إن قبيلة (سبط) يهوذا انقرضت ومعها السلطة الدنيوية والخلافة النبوية

فاليهود مضطرون أن يقبلوا واحداً من خيارين: إما التسليم بأن شايلوه قد جاء من قبل، دون أن يتعرف عليه أجدادهم؛ أو أن يقروا بأن قبيلة يهوذا التي يعتقدون أن شايلوه سينحدر منها؛ لم تعد موجودة.

وثالثاً: إن نبوءة يعقوب تعني بصورة واضحة (ومعاكسة تماماً للاعتقاد المسيحي واليهودي) أن شايلوه يجب أن يكون غريباً تماماً عن قبيلة يهوذا بل عن جميع القبائل الاثنا عشر. إذ تقول النبوءة بوضوح: أنه عندما يجيء (شايلوه) فإن السلطة والتشريع يختفيان من سلالة يهوذا، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا إذا كان شايلوه غريباً عن سلالة يهوذا. فلو كان شايلوه منحدراً من يهوذا؛ فكيف يمكن أن ينقطع هذان الأمران من سلالته؟ كما لا يمكن أن يكون شايلوه منحدراً من قبيلة أخرى من سلالة يعقوب، لأن الصولجان والتشريع كانا لصالح إسرائيل كلها وليس لمصلحة قبيلة واحدة، وهذه الملاحظة تنسف الادعاء المسيحي أيضاً لأن عيسى منحدر من يهوذا من ناحية يوسف خطيب أمه. كما يقولون. وإني لأعجب من سلوك هؤلاء اليهود الضالين. إذ طالما أن بني إسماعيل وبني إسرائيل هم من سلالة إبراهيم، فما الفرق؟ سواء كان شايلوه من يهوذا أو من زبولون؟ من عيسو أو من يساكر[1]؟ من إسماعيل أو من إسحاق؟ ما دام منحدراً من أبيهم إبراهيم؟

ادخلوا الإسلام وأطيعوا شريعته؛ لكي يصبح بإمكانكم أن تعيشوا في الأرض التي سكنها أجدادكم بسلام وأمان؛ [انتهى كلامه بنصه]

نبوءة المعمودية

يقول النصارى: إن يوحنا المعمدان كان يقول لبني إسرائيل: إن النبي الآتي على مثال موسى، سيأتي من بعدي. وإن الذي يريد أن يقبله، يأتي إلى لأغطسه في نهر الأردن. ويقول النصارى: إن يسوع المسيح هو الذي أتى من بعده. نريد أن نبين ههنا:

(١) حسب سفر التكوين فإن يعقوب تزوج ابنتي خاله وهما ليئة وراحيل، وتزوج أيضاً من زلفة جارية ليئة ومن بلهة جارية راحيل، وأعقب منهن اثني عشر ابناً. يطلق عليهم الأسباط وهم:
من ليئة: راوبين ـ شمعون ـ لاوى (الجد الأكبر لموسى ـ ومريم العذراء) ـ يهوذا (منه أخذت كلمة يهود وهو الجد الأكبر لداود وسليمان) يساكر ـ زبولون.
من راحيل: يوسف ـ بنيامين.
من زلفة: جاد ـ أشير.
من بلهة: دان ـ نفتالي.
واعلم: أن مريم من هرون من لاوى. لأنها قريبة لاليصابات.
وهي من هرون: فتكون مريم من هرون. حسب سفر العدد ٣٦.

أن يوحنا المعمدان لم يكن يعمد بالماء، وأن يسوع ليس هو الذى أتى من بعده، بل محمد رسول الله ﷺ وبيان ذلك:

أولا: إن المعمدان مصدق لما بين يديه من التوراة. وليس فى التوراة كلام عن المعمودية. ولا يحق بموجبها لأى نبى منهم أن يزيد عليها أو ينقص منها. ففى الأناجيل: أن كل ما قاله المعمدان أو يسوع. عليه دليل من التوراة. حتى التبشير بمحمد منهما؛ عليه دليل من التوراة. فقد كانا يذكران نص النبوءة منها ويطبقونها على محمد ﷺ ومثال ذلك: أن المعمدان لما صرخ فى برية اليهودية بقوله: «توبوا؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات» أى غيروا أفكاركم عن الملكوت الآتى. واعتقدوا أنه سيكون فى بنى إسماعيل. استدل على قوله هذا بالتوراة.

أ ـ وهو أن دانيال تكلم عن الممالك الأربعة.

ب ـ وهو إن إشعياء النبى قال: «صوت صارخ فى البرية: أعدوا طريق الرب اصنعوا سبله مستقيمة» وقال المعمدان: كما كان يصرخ إشعياء؛ أصرخ أنا. وهذا هو نص كلام إشعياء: «صوت صارخ فى البرية: أعدوا طريق الرب. قوّموا فى القفر سبيلا لإلهنا. كل وطاء يرتفع، وكل جبل وأكمة ينخفض، ويصير المعوج مستقيما، والعراقيب سهلا، فيعلَن مجد الرب، ويراه كل بشر جميعا، لأن فم الرب تكلم» ثم قال عن مجد الرب: «هو ذا السيد الرب بقوة يأتى. وذراعه تحكم له» [إش ٤٠] كناية عن مجىء نبيه بالحرب.

ثانيا: إن التعميد ليس من حق يوحنا المعمدان، وليس من حق عيسى عليه السلام وذلك:

أ ـ لأن حق كل منهما هو الدعوة لاقتراب الملكوت. تماما كما فعل إشعياء.

ب ـ ولأن علماء بنى إسرائيل يعلمون من التوراة: أن التعميد لا يكون إلا من النبى الأمى الآتى على مثال موسى. فقد جاء فى إنجيل يوحنا: أن المعمدان قال عن نفسه: لست أنا ذلك النبى الأمى الآتى. وإنما أنا صوت صارخ فى البرية كما قال إشعياء. فقال له الفريسيون: «فما بالك تعمد. إن كنت لست المسيح، ولا إيلياء، ولا النبى»؟ [يو ١: ١٩ ـ ٢٥] وهذا يدل على أن التعميد لا يكون من نبى من بنى إسرائيل. وأن المعمدان لم يكن يعمد، وإنما كان يهيىء الناس لقبول النبى الأمى الآتى.

ثالثاً: إن عيسى عليه السلام كان يعمد كما كان يعمد المعمدان سواء بسواء. فقد جاء فى إنجيل يوحنا: «وبعد هذا جاء يسوع وتلاميذه إلى أرض اليهودية، ومكث معهم

هناك، وكان يعمد. وكان يوحنا أيضا يعمد فى عين نون بقرب ساليم؛ لأنه كانت هناك مياه كثيرة، وكانوا يأتون ويعتمدون» [يو ٣: ٢٢ - ٢٣] وهذا يدل على أنهما صرخا معا كما صرخ إشعياء من قبل. ويؤكده: أنهما معا دعوا إلى اقتراب ملكوت السموات «من ذلك الزمان، ابتدأ يسوع يكرز ويقول: توبوا؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات» [مت ٤: ١٧] «وفى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز فى برية اليهودية قائلا: توبوا؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات» [مت٣: ١]

رابعا: بينت التوراة أن النبى الأمى الآتى سيأتى بقوة، وسيشن حربا على أعدائه «هو ذا السيد الرب بقوة يأتى، وذراعه تحكم له» ووضح المعمدان هذه الصفة، كما وضحها عيسى عليه السلام فقال: «والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر. فكل شجرة لا تثمر ثمرا جيدا؛ تقطع وتلقى فى النار. أنا أعمدكم بماء للتوبة. ولكن الذى يأتى بعدى هو أقوى منى، الذى لست أهلا أن أحمل حذاءه. هو سيعمدكم بالروح القدس، ونار. الذى رفشه فى يده، وسينقى بيدره، ويجمع قمحه إلى المخزن، وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ» وفى هذا النص تميز بين معمودية يحيى وعيسى، وبين معمودية النبى الآتى. فالنبى الآتى سيعمد «بالروح القدس ونار» وعيسى - الذى يقول النصارى إنه هو الآتى بعد المعمدان - لم يعمد. إلا بالماء كما عمد يوحنا وقال المسيح فى مثل زوال الحقل: إن النبى الآتى - الذى لقبه دانيال بلقب «ابن الإنسان» - سيأتى فى نهاية عالم بركة إسحق، وسيرسل أصحابه الشبيهين بالملائكة النورانيين لإهلاك اليهود الأشرار بالحرب «يرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر، وفاعلى الإثم ويطرحونهم فى أتون النار» [مت ١٣: ١٤ - ٤٢] ولما سئل المسيح عن الحرب ضد روما قال: «أعطوا إذا ما لقيصر لقيصر وما لله لله» [متى ٢٢: ٢١] ولما طلبوه للملك بعد معجزة المائدة السماوية؛ انصرف إلى الجبل وحده [يو ٦: ١٥] ودفع الجزية للرومان [متى ١٧: ٢٧] فقد قال لبطرس: «أعطهم عنى وعنك»

خامساً: عقد المسيح مقارنة بينه وبين معمودية يوحنا. وقال لعلماء بنى إسرائيل: إن الملكوت سينزع منكم، وأن الأمم ستدخل فيه من قبلكم. وإذ هو من بنى إسرائيل؛ فإنه لا يكون هو صاحب الملكوت، ويكون هو مثل يحيى عليه السلام فى تهيئة الناس لقبول غيرهما. ففى إنجيل متى ٢١: «ولما جاء إلى الهيكل تقدم إليه رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب وهو يعلم قائلين: بأى سلطان تفعل هذا؟ ومن أعطاك هذا السلطان؟ فأجاب يسوع وقال لهم: وأنا أيضاً أسألكم كلمة واحدة. فإن قلتم لى عنها، أقول لكم أنا أيضا: بأى سلطان أفعل هذا. معمودية يوحنا من أين كانت؟ من السماء أم من الناس؟

ففكروا فى أنفسهم قائلين: إن قلنا من السماء، يقول لنا: فلماذا لم تؤمنوا به؟ وإن قلنا من الناس، نخاف من الشعب؛ لأن يوحنا عند الجميع مثل نبى. فأجابوا يسوع، وقالوا: لا نعلم. فقال لهم هو أيضا: ولا أنا أقول لكم بأى سلطان أفعل هذا.

ماذا تظنون؟ كان لإنسان ابنان فجاء إلى الأول، وقال: يا ابنى. اذهب اليوم اعمل فى كرمى. فأجاب وقال: ما أريد. ولكنه ندم أخيرا ومضى. وجاء إلى الثانى وقال كذلك. فأجاب وقال: ها أنا يا سيد. ولم يمض. فأى الاثنين عمل إرادة الأب؟ قالوا له: الأول. قال لهم يسوع: الحق أقول لكم: إن العشارين والزوانى يسبقونكم إلى ملكوت الله. لأن يوحنا جاءكم فى طريق الحق؛ فلم تؤمنوا به. وأما العشارون والزوانى فآمنوا به. وأنتم إذ رأيتم لم تندموا أخيرا؛ لتؤمنوا به.

اسمعوا مثلا آخر. كان إنسان رب بيت غرس كرما وأحاطه بسياج. . . إلخ»[متى: ٢١]

البيان:

. إنه كان يصرخ فى الهيكل بكلام إشعياء كما كان يصرخ يوحنا: «أعدوا طريق الرب» وهم لا يريدون منه أن يصرخ. لأنهم يزعمون أن النبى الآتى سيكون من بنى إسرائيل. ولذلك سألوه: هل أرسلك الله بهذا؟

-وأجاب: ولماذا قبلتم صراخ يوحنا؟ يريد أن يقول: أنا نبى مثله. ثم ضرب لهم مثلا يوضح سبب انتقال النبوة منهم إلى بنى إسماعيل - الذين هم فى نظرهم من الأمم - وهو مثل الابنين: قال: إن الابن الثانى - وهو رمز لإسحق - قال لأبيه أنا مستعد أن أنفذ مشيئتك. ولكنه لم ينفذها. ولذلك تركه. وهكذا أنتم يا بنى إسرائيل ائتمنتم على شريعة الله، ولم تقوموا بها. ثم ضرب مثل الكرامين الأردياء لنفس الغرض. وقال لهم: «إن ملكوت الله ينزع منكم، ويعطى لأمة تعمل أثماره» وحيث أن عيسى من بنى إسرائيل؛ فإنه لا يكون هو النبى الذى يصرخ المعمدان من أجله.

سادسا: إن الأصل الآرامى فى ترجمة «اليشيتا» هو «معموديثا» من الفعل «عمد» و «عمد» الذى يعنى الوقوف كالعمود، وفى صيغة السببية «عامد» ومعناه: «ينصب - يقيم - يؤسس - يثبت» وهكذا. مما ليس فيه أية دلالة على التغطيس أو الرش أو الاستحمام والفعل «عمد» فى جميع اللغات السامية، بما فيها العربية يعنى «الوقوف منتصبا كالعمود» ولا يحوى معنى الغسل أو الغطس.

والكلمة اليونانية «بابتيموس» Baptismosi هى المرادف الدقيق لكلمة «اسبعوثا»

الآرامية. و «سبعوثا» تدل على صبغ وتلوين، وكما يعطى «الصباغ» لونا جديدا للثوب بغمسه فى غلاية الصبغ؛ فإن يحيى المعمدان كان يعطى التائب أو المعتنق الجديد للدين، لونا روحيا جديدا.

يقول الله تعالى فى القرآن الكريم:

﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ . فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾

وفى إنجيل متى: «فأجاب يسوع، وقال: لستما تعلمان ما تطلبان. أتستطيعا.أن تشربا الكأس التى سوف أشربها أنا، وأن تصطبغا بالصيغة التى أصطبغ بها أنا؟ قالا له: نستطيع. فقال لهما: أما كأسى فتشربانها، وبالصبغة التى أصطبغ بها أنا؛ تصطبغان.. الخ» [متى ٢٠]

يقول القس عبد الأحد داود: «لقد كانت معمودية يحيى وعيسى رمزا لدخول التائبين فى المجتمع الذى تعهد بالولاء لرسول الله الذى تنبأ كلّ من يحيى وعيسى بقدومه. وكما كان الختان علامة على دين إبراهيم ومن تبعه. كذلك كانت المعمودية (السبعوثا) علامة على مذهب يحيى وعيسى. وكان ذلك تمهيدا؛ لكى يتوقع الجميع النبى الموعود، ويدخلوا دين الإسلام[1]» أ ـ هـ.

يريد أن يقول: إن المعمودية قد حدثت منهما كعلامة تميز أتباعهما عن اليهود كما كان الختان علامة تميز أتباع إبراهيم عن الكفار عبّاد الأوثان. وقوله هنا يدل على أنهما ابتدعا علامة تميز ليس عنها فى التوراة من ذكر. وهما مصدقان لها.

وبعد ذلك تبين:

أ ـ أن داود النبى عليه السلام فى المزمور الثانى تكلم عن محمد ﷺ ولقبه بلقب «ابن الله» على حسب لسان قومه. بمعنى المتسب إلى الله، والداعى إليه، وبين فى أوصافه: أنه سيملك على العالم، وسيفتح بلاد الكفار، وسينتصر عليهم انتصارا حاسما. ذلك قوله: «إنى أخبر من جهة قضاء الرب. قال لى: أنت ابنى. أنا اليوم

---

(١) محمد ـ تأليف البروفسور عبد الأحد داود ـ نهضة مصر بالقاهرة ـ ترجمة/ م. محمد فاروق الزين. سنة ١٩٩٦م.

ولدتك. اسألنى فأعطيك الأمم ميراثا لك، وأقاصى الأرض ملكا لك، تحطمهم بقضيب من حديد مثل إناء خزاف تكسرهم»

ب ـ وأن موسى النبى عليه السلام تكلم عن محمد ﷺ وقال: «له تسمعون فى كل ما يكلمكم به» [تث ١٨: ١٥ ـ ٢٢]

جـ وأن إشعياء النبى تكلم عن محمد ﷺ وقال: «هو ذا عبدى الذى أعضده، مختارى الذى سُرت به نفسى. وضعت روحى عليه؛ فيخرج الحق للأمم. لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع فى الشارع صوته. قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة خامدة لا يطفىء. إلى الأمان يخرج الحق. لا يكل، ولا ينكسر، حتى يضع الحق فى الأرض، وتنتظر الجزائر شريعته» [إش ٤٢: ١ ـ ٤]

لاحظ قوله: «لا يكل ولا ينكسر» أى أنه محارب ومنتصر. وتذكر: أن كعب الأحبار قد طبق هذه النبوءة على محمد .

د ـ وأن محرفى الأناجيل أخذوا «أنت ابنى» وأخذوا «الذى سرت به نفسى» وطبقوا النبوءتين على عيسى عليه السلام والمعمدان يُغطسه فى نهر الأردن وذلك ليقولوا للناس: إن النبى الأمى الذى تنبأت به التوراة ليس هو محمدا وإنما هو عيسى ـ عليهما السلام ـ

هـ ـ وفى التجلى على جبل طابور، ظهر موسى وإيلياء ليسوع «وفيما هو يتكلم. إذا سحابة نيرة ظللتهم، وصوت من السحابة قائلا: هذا هو ابنى الحبيب، الذى به سررت، له اسمعوا» [متى ١٦: ١ ـ ٨] يريدون تطبيق نبوءات داود وموسى وإشعياء على عيسى عليه السلام. وبذلك يقفلون باب النبوة فى وجه محمد من قبل أن يأتى.

اقرأ هذا النص:

«وفى السنة الخامسة عشرة من سلطنة طيباريوس قيصر. إذ كان بيلاطس البنطى واليا على اليهودية وهيرودس رئيس ربع على الجليل. وفيلبس أخوه رئيس ربع على إيطورية وكورة تراخونيتس وليسانيوس رئيس ربع على الأبلية فى أيام رئيس الكهنة حنان وقيافا. كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا فى البرية. فجاء إلى جميع الكورة المحيطة بالأردن يكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا. كما هو مكتوب فى سفر أقوال إشعياء النبى القائل: «صوت صارخ فى البرية: أعدوا طريق الرب اصنعوا سبله مستقيمة. كل واد يمتلىء وكل جبل وأكمة ينخفض وتصير المعوجات مستقيمة، والشعاب طرقا سهلة، ويبصر كل بشر خلاص الله»

وكان يقول للجموع الذين خرجوا ليعتمدوا منه: يا أولاد الأفاعى من أراكم أن

تهربوا من الغضب الآتى؟ فاصنعوا أثماراً تليق بالتوبة. ولا تبتدئوا تقولون فى أنفسكم: لنا إبراهيم أباً. لأنى أقول لكم: إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولادا لإبراهيم. والآن قد وضُعت الفأس على أصل الشجر. فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تُقطع وتلقى فى النار. وسأله الجموع قائلين: فماذا نفعل؟ فأجاب وقال لهم: من له ثوبان فليعط من ليس له، ومن له طعام فليفعل هكذا. وجاء عشارون أيضاً ليعتمدوا فقالوا له: يا معلم ماذا نفعل؟ فقال لهم: لا تستوفوا أكثر مما فرض لكم. وسأله جنديون أيضا قائلين: وماذا نفعل نحن؟ فقال لهم: لا تظلموا أحداً ولا تشوا بأحد، واكتفوا بعلائفكم.

وإذ كان الشعب ينتظر. والجميع يفكرون فى قلوبهم عن يوحنا. لعله المسيح[1] أجاب يوحنا الجميع قائلاً: أنا أعمدكم بماء، ولكن يأتى من هو أقوى منى، الذى لستُ أهلا أن أحلّ سيور حذائه. هو سيعمدكم بالروح القدس ونار. الذى رفشه فى يده، وسينقى بيدره، ويجمع القمح إلى مخزنه. وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ. وبأشياء أخر كثيرة، كان يعظ الشعب ويبشرهم.

أما هيرودس رئيس الربع فإذ توبخ منه لسبب هيروديا امرأة فيلبس أخيه ولسبب جميع الشرور التى كان هيرودس يفعلها. زاد هذا أيضاً على الجميع أنه حبس يوحنا فى السجن. ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضاً. وإذ كان يصلىّ، انفتحت السماء ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة، وكان صوت من السماء قائلا: «أنت ابنى الحبيب، بك سررت» [لو ٣: ١ ـ ٢٢]

أعد قراءة ما تقدم مرة ومرتين وثلاث. وبعد القراءة وفهم المعنى؛ اسأل نفسك هذين السؤالين:

السؤال الأول: هل من صفات المسيح عيسى عليه السلام أنه يحارب أعداءه وينتصر عليهم؟

السؤال الثانى: هل كان ملكا؟

وذلك لأن نبوءات التوراة عن محمد ﷺ قد طبقها النصارى على عيسى عليه السلام وفيها صفتى الملك والحرب: **أما صفة الملك: فإن المسيح عيسى نفسه قد نفاها عن نفسه. ومع ذلك طبقها النصارى عليه بحيلة على النحو التالى:**

---

(١) لاحظ: لعله المسيح ولاحظ: رد المعمدان أن المسيح سيأتى من بعده. والمراد بالمسيح: النبى الأمى الآتى على مثال موسى. وهو محمد ﷺ بلغة أهل الكتاب.

قالوا: إنه دخل أورشليم على حمار فى هيئة ملكية. وفى الصبح جاع ولم يجد ما يأكله. ولم يملك على غيرها من البلاد.

وأما صفة الحرب والانتصار على الأعداء: فإن المسيح عيسى نفسه قد نفاها عن نفسه. ومع ذلك طبقها النصارى عليه بحيلة على النحو التالى:

قالوا: إنه رفع إلى السماء وهو لم يحارب ولم ينتصر. ولذلك سيأتى فى نهاية الزمان ليحارب وينتصر. أى: أنهم ابتدعوا مجيئه فى نهاية الزمان من بعد رفعه إلى السماء؛ لأن الناس يعلمون من سيرته إنه لم يحارب ولم ينتصر. وبيان ذلك:

أولا: فى صفة الملك:

جاء فى إنجيل يوحنا: «فلما رأى الناس الآية التى صنعها يسوع، قالوا: إن هذا هو بالحقيقة النبى الآتى إلى العالم. وأما يسوع. فإذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكا؛ انصرف أيضاً إلى الجبل وحده» [يو ٦: ١٤ ـ ١٥] والمعنى: أن الناس لما اعتقدوا أنه هو النبى الأمى الآتى على مثال موسى؛ صحح لهم اعتقادهم بأنه ليس هو. وذلك برفضه الملك. لأن من أوصاف النبى الآتى أن يكون ملكا. له يسمعون ويطيعون. ومع ذلك وضع محرفو الأناجيل صفة الملك على المسيح بقولهم: إنه دخل أورشليم على هيئة ملكية متواضعة، وطبقوا نبوءة زكريا عليه. فى هذا النص:

فى إنجيل متى:

«ولما قربوا من أورشليم وجاءوا إلى بيت فاجى، عند جبل الزيتون؛ حينئذ أرسل يسوع تلميذين قائلاً لهما:

اذهبا إلى القرية التى أمامكما. فللوقت تجدان أتاناً مربوطة، وجحشاً معها؛ فحلاهما وأتيانى بهما. وإن قال لكما أحد شيئا فقولا: الرب محتاج إليهما؛ فللوقت يرسلهما. فكان هذا كله لكى يتم ما قيل بالنبى القائل: «قولوا لابنة صهيون: هوذا ملكك يأتيك وديعاً راكباً على أتان وجحش ابن أتان» فذهب التلميذان وفعلا كما أمرهما يسوع. وأتيا بالأتان والجحش، ووضعا عليهما ثيابهما. فجلس عليهما. والجمع الأكثر فرشوا ثيابهم فى الطريق. وآخرون قطعوا أغصاناً من الشجر، وفرشوها فى الطريق. والجموع الذين تقدموا، والذين تبعوا كانوا يصرخون قائلين: أوصنّا لابن داود. مبارك الآتى باسم الرب. أوصنا فى الأعالى. ولما دخل أورشليم، ارتجت المدينة كلها قائلة: من هذا؟ فقالت الجموع: هذا يسوع النبى الذى من ناصرة الجليل»

ـ «وفي الصبح إذ كان راجعاً إلى المدينة؛ جاع. فنظر شجرة تين على الطريق وجاء إليها فلم يجد فيها شيئاً إلا ورقاً فقط» [متى ٢١: ١٨]

هذا هو النص الذى وضعه محرف إنجيل متى. عن صفة الملك، ووضع بعده للعقلاء: أنه جاع؛ ليبين لهم أنه ليس ملكا. وأما النص الذى اقتبسه من سفر زكريا؛ فهو: «ابتهجى جداً يا ابنة صهيون. اهتفى يا بنت أورشليم. هو ذا ملكك يأتى إليك. هو عادل ومنصور. وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن آتان. وأقطع المركبة من أفرايم، والفرس من أورشليم. وتُقطع قوس الحرب. ويتكلم بالسلام للأمم. وسلطانه من البحر إلى البحر، ومن النهر إلى أقاصى الأرض» [زكريا ٩: ٩ ـ ١١]

وهذا الاقتباس فى غير موضعه؛ لأنه لم يحارب لقطع المركبة من اليهود السامريين، ولقطع الفرس من اليهود العبرانيين. ولم يكن له سلطان. وهو فى موضعه إذا كان لمحمد عليه السلام.

ثانيا: فى صفة الحرب والانتصار:

إن المسيح عيسى عليه السلام قد حجز بنى إسرائيل عن حرب أهل الروم وذلك بدفعه الجزية لهم هو وبطرس. وقوله: «أعطوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله»

وأن علماء بنى إسرائيل لما قدموه إلى الوالى الرومانى بحجة أنه يطلب الملك، تحقق الوالى من براءته، وقال لهم: «لست أجد علة فى هذا الإنسان» وأخذ ماء، وغسل به يديه. وقال: «إنى برىء من دم هذا البار» ومحرفو الأناجيل ابتدعوا حيلة لتطبيق صفة الحرب والانتصار عليه. وهى أنهم قالوا: إنه سينزل فى آخر الزمان ليرد الملك إلى إسرائيل بالحرب، وسيكمل ملكوت الله، الذى دعا إليه، وأسسه الروح القدس فى عيد الخمسين. ذلك ما قالوه، وأذاعوه فى الناس.

* * *

ولما ظهر دين الإسلام. أدخل فيه النصارى عن طريق الأحاديث التى نسبوها إلى النبى ﷺ هذه العقيدة. أدخلوها عن طريق رواة تظاهروا بالإسلام؛ لغرض هو: أن لا تنطبق صفات النبى الأمى الآتى على مثال موسى المكتوبة عنه فى التوراة، على محمد ﷺ تمام الانطباق. وردّ هذه العقيدة من جهة الإنجيل: يكون بإبراز كلام عيسى عليه السلام المدون فيه، عن أنه لن يأتى إلى العالم من بعد رفعه إلى السماء ورد هذه العقيدة من جهة الأحاديث النبوية: يكون بإبراز كلام علماء أهل الحديث. وهو أن هذه الأحاديث مروية بخبر الواحد. ويكون بإبراز كلام علماء أهل الفقه والعقائد: وهو أن

حديث الآحاد لا يحتج به فى العقائد.

وردْ هذه العقيدة من جهة الأناجيل: هو أن عيسى عليه السلام بين أن أزمنة الأمم الوثنية التى عاقبت بنى إسرائيل؛ لأنهم يجاهدون فى سبيل الله، ستنتهى بمحمد ﷺ وهى أمّة بابل وفارس واليونان والرومان. ولقبه بلقب «ابن الإنسان» وسمى ملكوته بملكوت الله، فقال: «ومتى رأيتم أورشليم محاطة بجيوش؛ فحينئذ اعلموا: أنه قد اقترب خرابها، حينئذ ليهرب الذين فى اليهودية إلى الجبال، والذين فى وسطها؛ فليفروا خارجا. والذين فى الكُور؛ فلا يدخلوها؛ لأن هذه أيام انتقام؛ ليتم كل ما هو مكتوب[1]. وويل للحبالى والمرضعات فى تلك الأيام؛ لأنه يكون ضيق عظيم على الأرض، وسخط على هذا الشعب، ويقعون بفم السيف، ويُسبون إلى جميع الأمم، وتكون أورشليم مدروسة من الأمم؛ حتى تكمل أزمنة الأمم. وتكون علامات فى الشمس والقمر والنجوم. وعلى الأرض كرب أمم بحيرة. البحر والأمواج تضج. والناس يغشى عليهم من خوف وانتظار ما يأتى على المسكونة؛ لأن قوات السموات تتزعزع. وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتيا، فى سحابة بقوة، ومجد كثير. ومتى ابتدأت هذه تكون؛ فانتصبوا، وارفعوا رءوسكم؛ لأن نجاتكم تقترب... إلخ» [لوقا ٢١: ٢٠].

والآن. أنقل مما جاء فى الكتب الإسلامية عن نزول عيسى بن مريم فى آخر الزمان ومن بعد النقل؛ أبين أن عيسى بن مريم عليه السلام لن ينزل فى آخر الزمان. وأنه قد مات موتا طبيعيا، ودفن فى القبر. كما هى سنّة الله فى خلقه أجمعين.

*****

(١) يقول مفسرو الإنجيل: إن قوله ليتم كل ماهو مكتوب. المكتوب موجود فى دانيال ٩: ٢٦ و ٢٧ وزكريا ١١: ٦ وإن قوله حتى تكمل أزمنة الأمم. التكميل موجود فى دانيال ٩: ٢٧، ١٢: ٧ وررومية ١١: ٢٥.

الفصل الثانى

نزول المسيح عيسى من السماء

جاء فى بعض الكتب الإسلامية عن نزول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فى آخر الزمان ما نصه:

«نزول عيسى بن مريم:

نزول عيسى بن مريم - عليهما السلام - ثابت بالكتاب والسنة.

قال الله تعالى: ﴿بل رفعه الله إليه﴾ أى أنه لم يمت ولم يصلب، بل رُفع؛ لينزل مرة أخرى، لكن سينزل عبداً من عباد الله، لا رسولاً بشريعة جديدة؛ فإن محمداً ﷺ خاتم الرسل. ورسالته وشريعته خاتمة للشرائع. وقد قال الله تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً﴾ أى أنه سيموت بعد نزوله.

قتل المسيح للدّجال:

أ - عن النواس بن سمعان الكلابى قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة، فخفض فيه ورفع، حتى ظنناه فى طائفة النخل فقال: «ما غير الدجال أخوفنى عليكم أن يخرج. وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وأن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه. والله خليفتى على كل مسلم»

إنه شاب قطط عينه طافية كأنى أشبهه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف. إنه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يميناً وشمالاً. يا عباد الله فاثبتوا» قلنا: يا رسول الله وما لبثه فى الأرض؟ قال: «أربعون يوماً يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم» فقلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذى كسنة. أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «لا. اقدروا له قدره» قلنا: يا رسول الله وما إسراعه فى الأرض؟ قال: «كالغيث استدبرته الريح فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له» قال: «فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت وتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت درا وأسبغه ضروعاً وأمده خواصر. ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شىء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها:

أخرجى كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه

بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل، يتهلل وجهه يضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ. فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفة. فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله، ثم يأتي عيسى عليه السلام قوم قد عصمهم الله منه فيمسح على وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى عليه السلام: أنى قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد يقاتلهم فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج ﴿وهم من كل حدب ينسلون﴾

فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء ويحضر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم. فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله النغف في رقابهم فيصبحون موتى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب عيسى وأصحابه، فيرسل الله طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطراً لا يكون منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلقة ثم يقال للأرض: أثبتي ثمرك، وردي بركتك. فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها.

ويبارك الله في الرسل أي اللبن، حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس. واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذ بهم تحت آباطهم فيقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها كتهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة» أ هـ.

من أحاديث نزول المسيح عيسى بن مريم:

أ ـ أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل ابن مريم إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً؛ فيكسر ويقتل الخنزير ويرجع السلم ويتخذ السيوف مناجل ويذهب جمة كل ذات جمة، وينزل من السماء رزقها، وتخرج من الأرض بركتها، حتى يلعب الصبي بالثعبان ولا يضره، وترعى الغنم والذئب لا يضرها، ويرعى الأسد والبقر ولا يضرها» أ. هـ.

ب ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع

الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، وحتى تكون السجدة خير من الدنيا وما فيها»

ثم يقول أبو هريرة: واقرءوا[1] إن شئتم: ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً﴾ أ. هـ

ج - وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل عيسى بن مريم فيقتل الخنزير ويمحو الصليب وتجمع له الصلاة ويعطى المال حتى لا يقبل ويضع الخراج فينزل بالروحاء، فيحج منها أو يعتمر أو يجمعهما قال: وتلا أبو هريرة: ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً﴾ أ هـ .

د - وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «الأنبياء أخوة لعلّات أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وإنى أولى الناس بعيسى بن مريم، لأنه لم يكن بينى وبينه نبى، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، إنه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان عصران كأن رأسه يقطر ماء، وإن لم يصبه بلل، فيدق الصليب ويقتل الخنزير، ويضع الجزية ويدعو الناس إلى الإسلام، ويهلك الله فى زمانه الأمم كلها إلا الإسلام، ويهلك الله فى زمانه المسيح الدجال، ثم تقع الأمنة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمور مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيتان. فيمكث أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون» أ - هـ.

صفة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام:

أ - عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليلة أسرى بى لقيت موسى فنعته فإذا رجل مضطرب - أى طويل - رجل الرأس كأنه من رجال شنوءة، قال ولقيت عيسى فنعته، قال فرأيته أحمر كأنه خرج من ديماس، يعنى حماماً» أ - هـ.

ب - وعن ابن عمر قال: ذكر رسول الله ﷺ يوماً بين ظهرانى الناس المسيح الدجال فقال: «إن الله ليس بأعور، ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأن عينيه طافية، وأرانى الله عند الكعبة فى المنام رجلاً آدم كأحسن ما يرى من آدم الرجال. يضرب بين منكبيه، رَجِل الشعر يقطر رأسه ماء واضعاً يديه على منكبى رجلين وهو يطوف بالبيت فقلت: من هذا؟ قالوا: هو المسيح ابن مريم، ورأيت رجلاً وراءه قططاً أعور العين اليمنى كأشبه من رأيت بابن قطن واضعاً يديه على منكبى رجل يطوف بالبيت. فقلت من هذا؟ قالوا: المسيح الدجال»

---

(١) يريد الراوى الناسب الكلام لأبى هريرة أن يقوى كلامه بالقرآن. على مثال الميزان المنسوب إلى عائشة رضى الله عنها وهو : «حسبكم كتاب الله» ويُعرف هذا باقتباسات كُتاب الأحاديث من القرآن. وله نظير عند النصارى وهو اقتباسات كتّاب الأناجيل من التوراة .

قال العلامة ابن كثير بعد سرد أحاديث فى صفته:

«هذا هو الأشهر[1] فى موضع نزوله أنه على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق. وقد رأيت فى بعض الكتب: أنه ينزل على المنارة البيضاء شرقى جامع دمشق. فلعل هذا هو المحفوظ، وتكون الرواية: فينزل على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق متصرف فى التعبير. بحسب ما فهم. وليس بدمشق منارة تعرف بالشرقى سوى التى إلى شرق الجامع الأموى، وهذا هو الأنسب والأليق، لأنه ينزل وقد أقيمت الصلاة فيقول له إمام المسلمين: يا روح الله، تقدم، فيقول: تقدم أنت فإنها أقيمت لك. وفى رواية: بعضكم على بعض أمراء. تكرمة الله هذه الأمة، وقد جدد بناء المنارة فى زماننا فى سنة إحدى وأربعين وسبعمائة من حجارة بيض، وكان بناؤها من أموال النصارى الذين حرقوا المنارة التى كانت مكانها، ولعل هذا يكون من دلائل النبوة الظاهرة حيث قيض الله بناء هذه المنارة البيضاء من أموال النصارى حتى ينزل عيسى بن مريم عليها فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ولا يقبل منهم جزية، ولكن من أسلم قبل منه إسلامه، وإلا قتل، وكذلك حكم سائر كفار الأرض يومئذ. وهذا من باب الإخبار عن المسيح بذلك، والتشريع له بذلك. فإنه إنما يحكم بمقتضى هذه الشريعة المطهرة، وقد ورد فى بعض الأحاديث أنه ينزل ببيت المقدس، وفى رواية بالأردن، وفى رواية بعسكر المسلمين، وهذا فى بعض روايات مسلم. والله أعلم» أ ـ هـ.

مكثه فى الأرض وموته:

ثبت من الأحاديث:

أ ـ أن عيسى عليه السلام يمكث فى الأرض أربعين سنة، ثم يموت، وتكون وفاته بالمدينة النبوية فيصلى عليه هناك ويدفن بالحجرة النبوية أيضاً.

ب ـ وعن محمد ابن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده قال: مكتوب فى التوراة صفة محمد وأن عيسى بن مريم يدفن قال: فقال أبو مودود: «وقد بقى فى البيت موضع قبر».

---

(١) لاحظ: الاختلاف الذى أورده ابن كثير فى موضع نزوله. والإختلاف يدل على أنه ليس من نص قاطع فى الدلالة على نزوله. وإن نزل عيسى عليه السلام فإما أن ينزل بصفته نبيا، وإما أن ينزل بصفته إنسانا عاديا. ويمنع من نزوله نبيا: أن محمدا خاتم النبيين. ويمنع من نزوله إنسانا عاديا. أنه كان مكرما بالنبوة. ولم يفعل مايستحق به هبوط الدرجة والمنزلة. هذا مع ما فى الإنجيل من تصريحه بقوله: «ولست أنا بعدُ فى العالم»

حكمة نزوله عليه السلام:

الثابت: أن عيسى عليه السلام سينزل عبداً من عباد الله متبعاً رسالة محمد ﷺ

فإن قيل: «فما الحكمة من نزوله من ذلك الوقت بالذات»؟

قيل: ذلك أن اليهود ـ لعنهم الله ـ همت بقتله وصلبه فنجاه الله منهم ورفعه إليه، هذا. وقد ضرب الله عليهم الذلة منذ بزوغ فجر الإسلام، حتى قبل مجىء الساعة يبايعون المسيح الدجال فتقوى شوكتهم ويزداد غيظهم من المسلمين فينتقمون منهم، فلما يصبح الأمر كذلك، ينزل الله إليهم منهم من قالوا إنه مات ومن حاربوه وآذوه وقاتلوه، فسيقتل هو رئيسهم. وزعيمهم الدجال ويبيدهم عن آخرهم.

وكذلك فإن عيسى عليه السلام قد وجد فى الإنجيل فضل هذه الأمة الخاتمة فدعا الله أن يكون منهم، وقد ثبت أن موسى عليه السلام دعا الله أن يجعله من أمة محمد ﷺ، ولما كان عيسى عليه السلام هو آخر رسول قبل محمد ﷺ فقد استجاب الله له، فرفعه؛ ويكون من الأمة الخاتمة. والله تعالى أعلم » [تم النص]

* * *

المناقشة:

قوله: إن نزول عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ ثابت من قوله:

﴿بل رفعه الله إليه﴾

الرد عليه: إن اليهود لما أرادوا قتله، قصدوا من القتل إذلاله. والمناسب لرد الإذلال؛ هو الرفعة. والرفعة ههنا مجاز بمعنى علو الدرجة والمنزلة. مثل: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم، والذين أوتو العلم؛درجات﴾ وليس المقصود رفعة الجسد؛ لأن الله فى كل مكان؛ لقوله: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾

وقوله: إن الله تعالى قال على لسان عيسى عليه السلام: ﴿ والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا﴾ اى أنه سيموت بعد نزوله.

الرد عليه: ليس فى هذا القول ما يدل على أنه سيموت بعد نزوله. لأن المعنى هو: والسلام على يوم ولدت من بطن أمى، ويوم أموت وأفارق هذه الحياة الدنيا كسائر البشر، ويوم أبعث مع البشر يوم القيامة. لأن هذه الآية وردت فى حق يحيى عليه السلام ولم يقل أحد أنه سينزل فى آخر الزمان.

قوله: ويبعث الله يأجوج ومأجوج ﴿وهم من كل حدب ينسلون﴾ فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية... الخ.

الرد عليه: هو أن يأجوج ومأجوج. وهم بلاد روسيا فى ذلك الزمان. وأصلهم من «إيران» قد جاء عنهم فى سفر حزقيال: أنه فى آخر أيام بركة إسحق على الأرض، وأول أيام بركة إسماعيل سيفتح المسلمون بلاد يأجوج ومأجوج، وسيدخل الإسلام فى بلادهم. وقد تم هذا فى بدء نبوة محمد ﷺ لقوله: ﴿إذا فتحت يأجوج ومأجوج﴾ اي فتحت بلادهم، وانتشر فيها الإسلام. وقد تم ذلك فى عهد عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ

قوله: إن أبا هريرة راوى الحديث استدل بآية قرآنية على نزول المسيح عيسى فى آخر الزمان. وهى: ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته، ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا﴾

الرد عليه: إن المفسرين مختلفون فى تأويلها. واختلافهم هو دليل على رفضهم لاستدلال أبى هريرة بها فى المعنى الذى ذهب إليه. والمعنى: لا أحد من أهل الكتاب الراسخين فى العلم إلا ليؤمنن بعيسى قبل موته . أى قبل موت الكتابى. وإيمانه هو من العلم المدون إلى الآن، فى التوراة وفى الإنجيل عن مجيء محمد رسول الله الذى كان يبشر به. ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا بواسطة الكلام المدون فى الأناجيل. لأن كلامه المدون عنه فى الأناجيل يحل محله فى الشهادة .ومن كلامه عن محمد ﷺ للحواريين: «ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب. روح الحق الذى من عند الآب ينبثق؛ فهو يشهد لى، وتشهدون أنتم أيضاً؛ لأنكم معى من الابتداء» [يو ١٥: ٢٦ ـ ٢٧]

هذا مع تصريح عيسى عليه السلام فى الإنجيل بأنه لن ينزل فى آخر الزمان.

ومن ذلك قوله:

١ـ «بعد قليل لا يرانى العالم أيضا، وأما أنتم فتروننى» [يو ١٤ :١٩]

يريد أن يقول: إن العالم الذى لا يقرأ فى الإنجيل؛ لأنه غير مؤمن بكتابى؛ لا يقدر على رؤيتى، لأنى سأغادر العالم بجسدى وروحى. أما أنتم فلأنكم مؤمنون بكتابى؛ فإنكم حال قراءتكم فى الإنجيل، كأنكم تسمعون كلامى من فمى، وتروننى.

٢ـ «وأما على برّ؛ فلأنى ذاهب إلى أبى، ولا تروننى أيضا» [يو ١٦: ١٠]

أى لا تروننى جسدا، وإنما تروننى فى كتابى، وأنتم تقرأون فيه.

٣ـ فى إنجيل يوحنا: أن المسيح قال: «لاتبصروننى ثم بعد قليل أيضا تروننى» [يو

١٦ : ١٧] ولما سأله الحواريون عن هذا أجاب: إنه حالة رحيلي عنكم إلى الدار الآخرةستبكون وتنوحون. وهذا هو معنى: «لا تبصروننى» وبعد رحيلي سيأتى النبى الذى أبشر به. وفى حالة ظهوره «تروننى» فى شخصه؛ لأننى أنا وهو واحد فى الهدف، وهو الدعوة إلى الله. ومن رآه؛ فكأنه رآنى. كما قال النبى ﷺ: «لئن كنت صدقتنى يا سلمان؛ فقد لقيت عيسى بن مريم» كما فى سيرة ابن هشام.

ومثل ذلك مثل المرأة التى وهى تلد؛ تتألم، ومتى ولدت؛ تفرح وتنسى ألمها. وأكد على عدم ظهوره بالجسد بقوله: «خرجت من عند الآب، وقد أتيت إلى العالم، وأيضا أترك العالم وأذهب إلى الآب» [١٦ :٢٨]

٤ـ قال المسيح لله تعالى عن الحواريين: « أنا أظهرت اسمك للناس الذين أعطيتنى من العالم. كانوا لك وأعطيتهم لى. وقد حفظوا كلامك. والآن علموا: أن كل ما أعطيتنى؛ هو من عندك. لأن الكلام الذى أعطيتنى قد أعطيتهم. وهم قبلوا وعلموا يقينا: أنى خرجت من عندك، وآمنوا أنك أنت أرسلتنى. من أجلهم أنا أسأل. لست أسأل من أجل العالم، بل من أجل الذين أعطيتنى؛ لأنهم لك. وكل ما هو لى؛ فهو لك. وما هو لك؛ فهو لى، وأنا ممجد فيهم، ولستُ أنا بعدُ فى العالم. وأما هؤلاء فهم فى العالم. وأنا آتى إليك» [يو ١٧: ٦ـ١١]

٥ ـ قال المسيح: «إن الإنسان إنما يفقد الحياة متى فارقته النفس . لأن النفس لا ترجع إلى الجسد إلا بآية» [بر ١٠٦ : ٩] وليس من آية على رد روحه إلى جسده .

وأما عن حال الأحاديث:

فإنها مروية بخبر الواحد. وقد قال ابن الصلاح الحافظ فى مقدمته: «وإن أردت حديثا متواترا؛ أعياك تطلبه» وقال الأستاذ الإمام الشيخ محمد الغزالى ـ رحمه الله ـ: «لا عقيدة تقوم على خبر الواحد»

وفى كتاب ابن قيم الجوزية للدكتور عبد العظيم شرف الدين:«يرى الحنفية: أن عام القرآن قطعى فى دلالته وثبوته. أما حديث الآحاد؛ فإنه ظنى. ولا يصح أن يعارض الظنى قطعيا . وقد احتجوا:

١ـ بما نسب إلى أبى بكر الصديق من أنه جمع الصحابة، وأمرهم برد كل حديث مخالف للكتاب.

٢ـ وبأن عمر رد حديث فاطمة بنت قيس فى المبتوتة. الذى يفيد أنها لا تستحق النفقة وقال: «لا نترك كتاب الله لقول امرأة لا ندرى أصدقت أم كذبت»

٣ـ وردت عائشة حديث تعذيب الميت ببكاء أهله عليه بقوله تعالى: ﴿ ألا تزر وازرة وزر أخرى﴾

ويقول الأستاذ الإمام الشيخ محمد الغزالى ـ رحمه الله ـ : إنه إذا تعارضت الأحاديث فإنه يلزم أن يكون القرآن حكما فيها، لا السند. ومثاله: «إذا التقى الختانان؛ فقد وجب الغسل» و«لا غسل إلا من إنزال» وحديث «لا غسل إلا من إنزال» هو الصحيح؛ لأن القرآن لم ينص على ختان الإناث أو ختان الذكور، ولأن نساء العرب واليهود لا ختان فيهن. كما هو بين فى كتابنا «حكم الختان بين اليهودية والنصرانية والإسلام» وفى التوراة: «يُختن منكم كل ذكر» [تك١٧ : ١٠]

ومن أوصاف زمان محمد ﷺ فى التوراة: أنه يكثر الخير فى المسلمين إلى يوم القيامة، ويحل السلام مكان الخصام. وعبر إشعياء عن هذا المعنى بأسلوب كنائى بديع. فقال: إنه فى زمانه: «الذئب والحمل يرعيان معا، والأسد يأكل التبن كالبقر. أما الحية فالتراب طعامها» كل ذلك كناية عن السلام فى أيامه، وخاصة فى أرض مكة المقدسة. وجاء فى إنجيل لوقا فى ذلك المعنى: « طوبى لمن يأكل خبزا فى ملكوت الله» وهو ملكوت محمد ﷺ ومن أمثلته: ﴿كزرع أخرج شطئه﴾ وهو فى إنجيل متى بمعنى ما فى القرآن.

ووصف السلام قد دخل فى الكتب الإسلامية على أنه سيكون فى أيام عيسى عليه السلام فى مجيئه الثانى. وذلك يدل على أن نبوءات التوراة التى هى لمحمد ﷺ قد طبقها الرواة ـ كما طبقها النصارى ـ على عيسى عليه السلام. وعلى أن علماء الحديث الكبار الذين دونوا، قد خدعهم الرواة.

فقد روى أحمد بن حنبل ـ رضى الله عنه ـ فى مسنده عن عيسى عليه السلام أنه فى مجيئه الثانى «تقع الأمنة على الأرض، حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمور مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات» ورواه أيضا عبد الرزاق فى سننه، وأبو داود عن قتادة. وقال ابن كثير فى النهاية: وهذا إسناده جيد قوى. وفى رواية: «حتى يدخل الوليد يده فى الحية فلا تضره، وتغزّ الوليدة الأسد فلا يضرها، ويكون الذئب فى الغنم كأنه كلبها، وتملأ الأرض من السلم كما يملأ الإناء من الماء»

وهذا منقول من سفر إشعياء ٦٥ وفيه: «الذئب والحمل يرعيان معا. والأسد يأكل التبن كالبقر. أما الحية فالتراب طعامها. لايؤذون ولا يُهلكون، فى كل جبل قدسى »

ومما يدل أيضا على أن أهل الأهواء والبدع من الرواة قد خدعوا علماء الحديث:

هو أن نبوءات التوراة عن محمد ﷺ تدل على أنه سيهدى إلى الله. ولما أرادوا تطبيقها على عيسى عليه السلام ـ كما طبقها النصارى ـ قالوا: إن المهدى هو عيسى وقد وضح غرضهم هذا: من الأحاديث المصرحة بأن عيسى هو المهدى. فقد وقع في كتاب الشهاب: «لا يزداد الأمر إلا شدة ولا الدنيا إلا إدبارا ولا الناس إلا شحا، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق، ولا مهدى إلا عيسى بن مريم» وخرجه أبو الحسين الآجرى، قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن خالد البرذعى فى المسجد الحرام. حدثنا يونس بن عبد الأعلى المصرى... الخ. قال الإمام القرطبى ـ رحمه الله ـ فى كتاب التذكرة: « وذكر أبو الحسن على بن المفضل المقدسى ـ نور ضريحه ـ شيخ أشياخنا. محمد بن خالد الجندى قال: محمد بن خالد الجندى: روى عن إبان بن صالح عن الحسن البصرى وروى عن الإمام بن إدريس الشافعى ـ رضى الله عنه ـ وهو راوى حديث: « لا مهدى إلا عيسى بن مريم» وهو مجهول وقد وثقه يحيى بن معين، وروى له ابن ماجه» وجاء فى أحاديث نزول عيسى عليه السلام: « ويرجع السلام، ويتخذ السيوف مناجل» واتخاذ السيوف مناجل : هو كناية عن السلام فى زمن محمد ﷺ الآتى فى آخر أيام بركة إسحق عليه السلام

ففى الأصحاح الثانى من سفر إشعياء:

« ويكون فى آخر الأيام أن جبل بيت الرب؛ يكون ثابتا فى رأس الجبال، ويرتفع فوق التلال، وتجرى إليه كل الأمم، وتسير شعوب كثيرة ويقولون: هلم نصعد إلى جبل الرب، إلى بيت إله يعقوب؛ فيعلمنا من طرقه، ونسلك فى سبله...

فيقضى بين الأمم، وينصف لشعوب كثيرين؛ فيطبعون سيوفهم سككا، ورماحهم مناجل. لا ترفع أمة على أمة سيفا ولا يتعلمون الحرب فيما بعد..»

وهذا يدل على أن رواة هذه الأحاديث كانوا على علم بنبوءات التوراة عن محمد، واجتهدوا فى صرفها عنه بشتى الحيل. وفى سفر إشعياء: «لا يؤذون ولا يهلكون فى كل جبل قدسى. قال الرب» [إش ٦٥: ٢٥] والجبل المقدس: هو جبل مكة المكورمة، والبيت المقدس: هو الكعبة. كما بينا فى كتابنا «البشارة بنبى الإسلام فى التوراة والإنجيل»

وفى كتابه الفتاوى: يقول الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت، شيخ جامع الأزهر:

«إن القرآن الكريم قد عرض لعيسى عليه السلام فيما يتصل بنهاية شأنه مع قومه فى ثلاث سور:

١- فى سورة آل عمران. قوله تعالى: ﴿فلما أحس عيسى منهم الكفر. قال: من أنصارى إلى الله؟ قال الحواريون: نحن أنصار الله. آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون. ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول؛ فاكتبنا مع الشاهدين. ومكروا ومكر الله. والله خير الماكرين. إذ قال الله: يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة، ثم إلى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون﴾

٢- وفى سورة النساء. قوله تعالى: ﴿وقولهم: إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله. وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم، وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه، ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا، بل رفعه الله إليه. وكان الله عزيزا حكيماً﴾

٣- وفى سورة المائدة. قوله تعالى: ﴿ وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله قال: سبحانك، ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته. تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك، إنك أنت علام الغيوب. ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به: أن اعبدوا الله ربى وربكم. وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد﴾

هذه هى الآيات التى عرض القرآن فيها لنهاية شأن عيسى مع قومه.

والآية الأخيرة (آية المائدة) تذكر لنا شأناً أخروياً يتعلق بعبادة قومه له ولأمه فى الدنيا وقد سأله الله عنها. وهى تقرر على لسان عيسى عليه السلام: أنه لم يقل لهم إلا ما أمره الله به:﴿ اعبدوا الله ربى وربكم﴾ وأنه كان شهيدا عليهم مدة إقامته بينهم، وأنه لا يعلم ما حدث منهم بعد أن توفاه الله.

معنى التوفى:

وكلمة «توفى» قد وردت فى القرآن كثيراً بمعني الموت حتى صار هذا المعنى هو الغالب عليها المتبادر منها، ولم تستعمل فى غير هذا المعنى إلا وبجانبها ما يصرفها عن هذا المعنى المتبادر: ﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم﴾ - ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم﴾ - ﴿ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة﴾ - ﴿توفته رسلنا﴾ - ﴿ومنكم من يتوفى﴾ ﴿حتى يتوفاهن الموت﴾ -﴿توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين﴾

ومن حق كلمة ﴿توفيتنى﴾ فى الآية أن تحمل هذا المعنى المتبادر وهو الإماتة العادية التى يعرفها الناس ويدركها من اللفظ والسياق الناطقون بالضاد. وإذاً فالآية لو لم يتصل بها غيرها فى تقرير نهاية عيسى مع قومه، لما كان هناك مبرر للقول بأن عيسى حى لا

يموت. ولا سبيل إلى القول بأن الوفاة هنا مراد بها وفاة عيسى بعد نزوله من السماء. بناء على زعم من يرى أنه حى فى السماء، وأنه سينزل منها آخر الزمان، لأن الآية ظاهرة فى تحديد علاقته بقومه هو، لا بالقوم الذين يكونون آخر الزمان. وهم قوم محمد باتفاق لاقوم عيسى.

معنى ﴿رفعه الله إليه﴾وهل هو إلى السماء؟

أما آية النساء فإنها تقول: ﴿بل رفعه الله إليه﴾ وقد فسرها بعض المفسرين بل جمهورهم بالرفع إلى السماء، ويقولون: إن الله ألقى شبهه على غيره، ورفعه بجسده إلى السماء، فهو حى فيها وسينزل منها آخر الزمان، فيقتل الخنزير ويكسر الصليب، ويعتمدون فى ذلك:

أولا: على روايات تفيد نزول عيسى بعد الدجال، وهى روايات مضطربة مختلفة فى ألفاظها ومعانيها اختلافاً لا مجال معه للجمع بينها، وقد نص على ذلك علماء الحديث. وهى فوق ذلك: من رواية وهب بن منبه وكعب الأحبار. وهما من أهل الكتاب الذين اعتنقوا الإسلام .وقد عرفت درجتهما فى الحديث عند علماء الجرح والتعديل.

ثانياً: على حديث مروى عن أبى هريرة اقتصر فيه على الإخبار بنزول عيسى، وإذا صح الحديث فهو حديث آحاد. **وقد أجمع العلماء على أن أحاديث الآحاد لا تفيد عقيدة[1] ولا يصح الاعتماد عليها فى شأن المغيبات.**

ثالثاً: على ما جاء فى حديث المعراج من أن محمداً - ﷺ - حينما صعد إلى السماء، وأخذ يستفتحها واحدة بعد واحدة فتفتح له ويدخل، رأى عيسى عليه السلام هو وابن خالته يحيى فى السماء الثانية. ويكفينا فى توهين هذا السند: ما قرره كثير من شراح الحديث فى شأن المعراج، وفى شأن اجتماع محمد ﷺ بالأنبياء، وأنه كان اجتماعا روحياً لا جسمانياً «انظر فتح البارى وزاد المعاد وغيرهما»

ومن الطريف: أنهم يستدلون على أن معنى الرفع فى الآية هو رفع عيسى بجسده إلى السماء بحديث المعراج، بينما نرى فريقاً منهم يستدل على أن اجتماع محمد بعيسى فى المعراج كان اجتماعا جسدياً بقوله تعالى: ﴿ بل رفعه الله إليه﴾ وهكذا يتخذون الآية

---

(١) قول الشيخ محمود شلتوت إن أحاديث الآحاد لاتفيد عقيدة. معلل بأن شهادة الراوى الواحد غير مقبولة فى دين الإسلام. فلماذا لا يؤخذ بهذه العلة فى عدم إفادة الآحاد فى الفقه؟ سواء أكان الحديث منشئا أو مفسرا لقرآن .

دليلا على ما يفهمونه من الحديث حين يكونون فى تفسير الحديث، ويتخذون الحديث دليلا على ما يفهمونه من الآية حين يكونون فى تفسير الآية.

الرفع فى آية آل عمران:

ونحن إذا رجعنا إلى قوله تعالى: ﴿ إنى مُتوفيك ورافعك إلى﴾ فى آيات آل عمران مع قوله: ﴿بل رَفَعَهُ الله إليه﴾ فى آيات النساء وجدنا الثانية إخباراً عن تحقيق الوعد الذى تضمنته الأولى، وقد كان هذا الوعد بالتوفية والرفع والتطهير من الذين كفروا، فإذا كانت الآية الثانية قد جاءت خالية من التوفية والتطهير، واقتصرت على ذكر الرفع إلى الله. فإنه يجب أن يلاحظ فيها ما ذكر فى الأولى جمعاً بين الآيتين. والمعنى، أن الله توفى عيسى ورفعه إليه وطهره من الذين كفروا.

وقد فسر الألوسى قوله تعالى: ﴿ إنى مُتوفيك﴾ بوجوه منها ـ وهو اظهرها ـ: إنى مستوفى أجلك ومميتك حتف أنفك لا أسلط عليك من يقتلك، وهو كناية عن عصمته من الأعداء وما هم بصدده من الفتك به عليه السلام؛ لأنه يلزم من استيفاء الله أجله وموته حتف أنفه ذلك. وظاهر أن الرفع ـ الذى يكون بعد التوفية ـ هو رفع المكانة لا رفع الجسد، خصوصاً وقد جاء بجانبه قوله: ﴿ومُطَهِّركَ من الذين كفروا﴾ مما يدل على أن الأمر أمر تشريف وتكريم. وقد جاء الرفع فى القرآن كثيراً بهذا المعنى: ﴿ فى بيوت أذن الله أن تُرفع﴾ ـ ﴿نرفع درجات من نشاء﴾ ـ ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ ـ ﴿ورفعناه مكانا علياً﴾ ـ ﴿يرفع الله الذين آمنوا﴾ . . . الخ. وإذاً فالتعبير بقوله ﴿ ورَافعك إلى﴾ وقوله ﴿بل رفعه الله إليه﴾ كالتعبير فى قولهم لحق فلان بالرفيق الأعلى وفى ﴿إن الله معنا﴾ وفى ﴿عند مليك مقتدر﴾ وكلها لا يفهم منها سوى معنى الرعاية والحفظ والدخول فى الكنف المقدس. فمن أين تؤخذ كلمة السماء من كلمة ﴿إليه﴾؟ اللهم إن هذا لظلم للتعبير القرآنى الواضح خضوعا لقصص وروايات لم يقم على الظن بها ـ فضلا عن اليقين ـ برهان ولا شبه برهان .

الفهم المتبادر من الآيات:

وبعد. فما عيسى إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، ناصبه قومه العداء، وظهرت على وجوههم بوادر الشر بالنسبة إليه، فالتجأ إلى الله ـ شأن الأنبياء والمرسلين ـ فأنقذه الله بعزته وحكمته وخيب مكر أعدائه. وهذا هو ما تضمنته الآيات: ﴿ فلما أحس عيسى منهم الكفر. قال: من أنصارى إلى الله؟﴾ إلى آخرها، بين الله فيها قوة مكره بالنسبة إلى مكرهم، وأن مكرهم فى اغتيال عيسى؛ قد ضاع أمام الله فى حفظه

وعصمته إذ قال: ﴿يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا﴾ فهو يبشره بإنجائه من مكرهم ورد كيدهم فى نحورهم، وأنه سيستوفى أجله حتى يموت حتف أنفه من غير قتل ولا صلب، ثم يرفعه الله إليه.

وهذا هو ما يفهمه القارىء للآيات الواردة فى شأن نهاية عيسى مع قومه، متى وقف على سنة الله مع أنبيائه، حين يتألب عليهم خصومهم، ومتى خلا ذهنه من تلك الروايات التى لا ينبغى أن تحكم فى القرآن. ولست أدرى كيف يكون إنقاذ عيسى بطريق انتزاعه من بينهم، ورفعه بجسده إلى السماء؛ مكراً؟ وكيف يوصف بأنه خير من مكرهم مع أنه شىء ليس فى استطاعتهم أن يقاوموه؟ شىء ليس فى قدرة البشر. الا إنه لا يتحقق مكر فى مقابلة مكر، إلا إذا كان جاريا على أسلوبه، غير خارج عن مقتضى العادة فيه. وقد جاء مثل هذا فى شأن محمد ﷺ ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك. ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾

* * *

رفع عيسى ليس عقيدة يكفر منكرها:

والخلاصة من هذا البحث:

١ـ أنه ليس فى القرآن الكريم، ولا فى السنة المطهرة مستند يصلح لتكوين عقيدة يطمئن إليها القلب بأن عيسى رُفع بجسمه إلى السماء، وأنه حى إلى الآن فيها، وأنه سينزل منها آخر الزمان إلى الأرض.

٢ـ أن كل ما تفيده الآيات الواردة فى هذا الشأن: هو وعد الله عيسى بأنه متوفيه أجله ورافعه إليه وعاصمه من الذين كفروا وأن هذا الوعد قد تحقق؛ فلم يقتله أعداؤه ولم يصلبوه، ولكن وفاه الله أجله ورفعه إليه.

٣ـ أن من أنكر أن عيسى قد رفع بجسمه إلى السماء، وأنه فيها حى إلى الآن، وأنه سينزل منها آخر الزمان؛ فإنه لا يكون بذلك منكرا لما ثبت بدليل قطعى، فلا يخرج عن إسلامه وإيمانه، ولا ينبغى أن يحكم عليه بالردة، بل هو مسلم مؤمن، إذا مات فهو من المؤمنين، يصلى عليه كما يصلى على المؤمنين، ويدفن فى مقابر المؤمنين، ولا شية فى إيمانه عند الله . والله بعباده خبير بصير «اهـ

الفصل الثالث

المسيح الدجال

كل نبى [1] صادق أو كاذب هو فى لسان بنى إسرائيل «مسيح» فيقال: موسى المسيح، هارون المسيح، داود المسيح، سليمان المسيح، عيسى المسيح. وهكذا. ففى مسح طالوت عليه السلام: «فأخذ صموئيل قنينة الدهن، وصب على رأسه، وقبّله وقال: أليس لأن الرب قد مسحك على ميراثه رئيساً؟» [١ صم ١٠:١] «وقال صموئيل لشاول: إياى أرسل الرب لمسحك ملكا على شعبه إسرائيل» [صم ١٥:١] وفى مسح داود عليه السلام: «فقال الرب: قم امسحه؛ لأن هذا هو. فأخذ صموئيل قرن الدهن، ومسحه فى وسط إخوته» [١صم ١٦: ١٢ ـ ١٣] ويطلق على الممسوح «مسيح الرب» فعن داود: «ولكننى أشفقت عليك، وقلت: لا أمد يدى إلى سيدى؛ لأنه مسيح الرب هو» [١صم ٢٤: ١٠] وعن مسح اليسع عليه السلام: «وامسح أليشع بن شافاط، من آبل محولة ؛ نبياً، عوضك عنك» [١مل ١٩:١٦]

وفى التوراة عن محمد ﷺ: «يقيم لك الرب إلهك: نبيا، من وسطك، من إخوتك، مثلى، له تسمعون. . .» [تثنية ١٨:١٥ ـ٢٢]

وقد أعطاه بنو إسرائيل لقب «المسيح» لا «مسيح» على عادتهم فى تلقيب أنبيائهم بهذا اللقب. ويشر به المسيح عيسى بن مريم بلقب «المسيح» فقال فى كلام طويل: «إن قال لكم أحد: هو ذا المسيح هنا أو هناك؛ فلا تصدقوا؛ لأنه سيقوم مسحاء كذبة» [متى ٢٤: ٢٣ ـ ٢٤] وزعم علماء بنى إسرائيل أن «المسيح المنتظر» الذى هو محمد ﷺ سيأتى من نسل داود من سبط يهوذا. فبين لهم: أنه لن يكون من اليهود. فى قوله: «ماذا تظنون فى المسيح؟ ابن من هو؟ قالوا له: ابن داود. قال لهم. . . الخ»

وقد طبق النصارى كل نبوءات التوراة عن محمد ﷺ على عيسى عليه السلام. فاصبح عيسى بالتطبيق هو «المسيح» لا «مسيح» هو «النبى» لا «نبى» ففى سفر أعمال الرسل مكتوب: أن بطرس بين لليهود وغيرهم: أن عيسى هو الذى كتب عنه موسى. ذلك قوله : «فإن موسى قال للآباء: إن نبيا مثلى سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم. له تسمعون فى كل ما يكلمكم به. ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبى؛ تُباد من

---

(١) راجع كتاب البشارة بنبى الإسلام فى التوراة والإنجيل ـ نشر دار البيان العربى بالقاهرة ودار الجيل ببيروت.

الشعب. وجميع الأنبياء أيضاً من صموئيل فما بعده. جميع الذين تكلموا؛ سبقوا، وانبأوا بهذه الأيام، أنتم أبناء الأنبياء، والعهد الذى عاهد به الله آباءنا قائلا لإبراهيم: «وبنسلك تتبارك جميع قبائل الأرض» إليكم أولا. إذ أقام الله فتاه يسوع، أرسله يباركم برد كل واحد منكم عن شروره» [أ ع٣: ٢٢ ـ ٢٦]

ويتطبيق بطرس هذا؛ أقفل باب النبوة فى وجه محمد ﷺ من قبل مجيئه. وإذا جاء وقال: إن التوراة قد كتبت عنى. يقولون له: إنها قد كتبت عن عيسى. وقد جاء. وبذلك لا تشهد التوراة له، ولا يشهد له الإنجيل؛ فلا يصدقه أحد فى دعوى النبوة.

وبُولُس الذى حرف النصرانية. يعلم من تبشير عيسى عليه السلام بمحمد ﷺ أن محمدا سيأتى بعد مملكة الروم ليزيلها، وسيؤسس ملكوت السموات على الأرض. وذلك لأن دانيال فى الأصحاح السابع أنبأ عن قيام ممالك أربعة على الأرض هى بابل وفارس واليونان وأهل الروم. وبعد الرابعة يتأسس ملك إلهى على الأرض، على يد إنسان من البشر. وقال عيسى في تبشيره لبنى إسرائيل: «توبوا؛ فإنه قد اقترب ملكوت السموات» وعلى علمه هذا؛ فإنه إذا جاء محمد، وانطبقت أوصاف النبوءات عليه؛ فإن كل جهود أهل الكتاب فى اللغو فى نبوته، من أيام سبى بابل؛ ستكون هباء منثورا.

لذلك رأى بولس أن يقول للناس: إن المدة من عيسى فى مجيئه الأول إلى مجيئه الثانى. سيظهر فيها مدعى نبوة كاذب دجال. وذلك لأنه لو ظهر محمد ﷺ ولم يقل بولس أو يوحنا بهذا؛ فإن الناس سيدخلون فى دينه بسهولة. أما إذا قالا من قبل ظهوره: إنه سيظهر نبى دجال. ويظهر كما قالا، ويشوش أنصاره عليه بأنه هو الدجال الذى قال عنه بولس من قبل مجيئه؛ فإن الناس تتحير فى الأمر. ولا يكون الإنجيل كاذبا فى نظر الأميين.

ويؤكد هذا: أن عيسى عليه السلام ولد بعد ثلاث وستين سنة من احتلال الروم لفلسطين. والنبى محمد ﷺ على حسب كلام التوراة فى سفر دانيال وعلى حسب كلام الأناجيل الأربعة سيظهر ليمحو دولة الروم من فلسطين.

وعيسى فى نظر بولس لن يكون مجيئه الثانى فى هذه المدة، ولا من بعدها. لقوله: «ولست أنا بعد فى العالم» [يو ١٧: ١١] فالمدة من ٦٣ ق.م إلى ٥٧٠ ب م سنة ولادة محمد ﷺ لن يظهر فيها عيسى بن مريم عليه السلام فمن الحاجز له عن الظهور؟

لو أن أميا من الأميين اعتقد فى المجىء الثانى لعيسى عليه السلام. فما هو الحاجز

له عن المجيء؟ إنه وجود دولة الروم. لأن النبوءات تذكر أنه سيظهر النبي المماثل لموسى بعد دولة الروم. فإذا هي الحاجزة عن ظهور عيسى عليه السلام. وإذا زالت من الوجود؛ زال الحاجز، وبالتالي يظهر عيسى عليه السلام.

هذا هو رأى بولس. وقد عبر عن محمد ﷺ بلقب «المسيح الدجال» ليبعد عنه الناس من جميع الأمم والملل والنحل.

وهذا هو نص كلامه من رسالته الثانية إلى أهل تسالونيكي:

«ثم نسألكم أيها الأخوة من جهة مجيء ربنا يسوع المسيح، واجتماعنا إليه؛ أن لا تتزعزعوا سريعا عن ذهنكم، ولا ترتاعوا. لا بروح، ولا بكلمة، ولا برسالة كأنها منا. أى أن يوم المسيح قد حضر. لا يخدعنكم أحد على طريقة ما. لأنه لا يأتى إن لم يأت الارتداد أولا، ويُستعلن إنسان الخطية، ابن الهلاك. المقاوم والمرتفع على كل ما يدعى إلها أو معبودا، حتى أنه يجلس فى هيكل الله، كإلـه مظهرا نفسه أنه إله. أما تذكرون أنى وأنا بعد عندكم كنت أقول لكم هذا؟ والآن تعلمون ما يحجز، حتى يُستعلن فى وقته، لأن سر الإثم الآن يعمل فقط، إلى أن يرفع من الوسط الذى يحجز الآن. وحينئذ سيستعلن الأثيم، الذى الرب يبيده بنفخة فمه، ويبطله بظهور مجيئه. الذى مجيئه بعمل الشيطان بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة، وبكل خديعة الإثم فى الهالكين؛ لأنهم لم يقبلوا محبة الحق، حتى يخلصوا ولأجل هذا سيرسل إليهم الله عمل الضلال، حتى يصدقوا الكذب؛ لكى يُدان جميع الذين لم يصدقوا الحق، بل سروا بالإثم» [٢تس ٢: ١ ـ١٢]

لاحظ:

أن قول بولس: «مظهرا نفسه أنه إله» على المسيح الدجال ـ الذى هو محمد ﷺ فى نظر بولس لعنه الله ـ قد دخل فى الإسلام عن طريق الرواة. فقد أخرج أبو بكر بن شيبة عن سمرة بن جندب عن النبى ﷺ وذكر الدجال. قال: «وأنه متى، يخرج. فإنه يزعم أنه الله. فمن آمن به، واتبعه، وصدقه. فليس ينفعه صالح من عمل سلف. ومن كذبه وكذبه فليس يعاقب لشىء من عمل سلف، وأنه سيظهر على الأرض كلها إلا الحرم وبيت المقدس، وأنه يحصر المؤمنين فى بيت المقدس» أ ـ هـ

وجاء فى الأحاديث: ما يدل على أن اليهود شىء، والدجال شىء آخر.

فقد خرج مسلم عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «سمعتم بمدينة، جانب منها فى البر، وجانب فى البحر؟» قالوا: نعم يا رسول الله. وقال: «لا تقوم الساعة حتى

يغزوها ألفا من بنى إسحق، فإذا جاءوا؛ نزلوا يقاتلوا بسلاح، ولم يوموا بسهم. قالوا: لا إله إلا الله. والله أكبر. فيسقط أحد جانبيها» قال ثور: لا أعلمه.

قال: «إلا الذى فى البحر. ثم يقولون الثانية: لا إله إلا الله. والله أكبر. فيسقط جانبها الآخر. ثم يقولون الثالثة: لا إله إلا الله. والله أكبر. فيخرج لهم؛ فيدخلونها؛ فيغنمون. فبينما هم يقتسمون الغنائم. إذ جاءهم الصريخ. فقال: إن الدجال قد خرج فيتركون كل شيء ويرجعون»

يريد الراوى أن يقول: إن الدجال سيظهر من غير اليهود، وسيظهر واليهود مجاهدون فى سبيل الله، وقائمون بالشريعة خير قيام. وفى هذا لمز وغمز بأهل الإسلام. كأنه يقول: إن شريعة موسى معنا، وبها نجاهد أهل الكفر، فلماذا أتيتم بشريعة؟ ولماذا تجاهدون؟ ليس غرضكم إلا التسلط علينا وأخذ الملك منا، والمشاغبة فى شريعتنا. وقد فات على الراوى: أن اليهود قد قصروا الدعوة على جنسهم. واستبعدوا الأمم من الدخول فى دينهم، من سبى بابل سنة ٥٨٦ ق.م.

وجاء فى الأحاديث: أن الذى سيقتل الدجال؛ هو المسيح عيسى بن مريم عليه السلام. وغرض الرواة من ذلك: هو موافقة النصارى فى اعتقادهم فيه. وذلك لأن نبوءات التوراة كلها تدل على نبى واحد هو محمد رسول الله ﷺ ومن أوصافه: الجهاد فى سبيل الله لفتح البلاد، والملك على أهلها، والنصارى لما سرقوا النبوءات، ووضعوها على عيسى عليه السلام؛ لم تنطبق عليه صفة الملك؛ لأنه قال: «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله» فلذلك ابتدعوا له بدعة المجىء الثانى فى آخر الزمان؛ ليوهموا أتباعه بأن كل الأوصاف قد تحققت فيه. وقد وضع بولس لهم فى كتبهم مسيحا دجالا إلها. ووضع لهم: أنه بعد تعظمه، وارتفاعه؛ سيخرج عيسى لقتله، ويرد الملك إلى بنى إسرائيل.

وهو قد اقتبس هذه الفكرة من كاتب سفر أعمال الرسل. فإنه كتب وقال: إن يسوع المسيح بعدما صلب وقتل ؛ ظهر أربعين يوما وتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله «أما هم المجتمعون فسألوه قائلين: يارب. هل فى هذا الوقت ترد الملك إلى إسرائيل؟ فقال لهم: ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التى جعلها الآب فى سلطانه» [أ ع ١: ٦ ـ ٧]

والنصارى مختلفون فى المجىء الثانى لعيسى عليه السلام فمنهم من يقول سيجيء وسيحكم ألف سنة، ويقيم مملكة ظاهرة على الأرض كمملكة داود وسليمان ـ عليهما

السلام - ومنهم من يقول: إنه عند نهاية الزمان يقوى إيمان أتباعه ويشتد. وعندما يقوى الإيمان ويشتد، يملك المسيح على قلوبهم ملكا روحيا، ويسلم الملك إلى الله، وتنتهى الحياة الدنيا. والرأى الألفى لا يقول به الكاثوليك والأرثوذكس.

والواقع التاريخى متناقض مع أحاديث خروج الدجال.

فقد روى الرواة: أنه سيخرج عند فتح «القسطنطينية» وقد تم فتح القسطنطينية فى أيام السلطان التركى محمد الفاتح رضى الله عنه. وقد مدحه النبى ﷺ بظهر الغيب ومدح جنوده ومدح قومه وأثنى عليهم، وحكم لهم بالجنة. ذلك قوله عليه السلام: «لتفتحن القسطنطينية. فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش جيشها» أو كما قال.

* * *

وجاء فى بعض الكتب الإسلامية فى باب الدجال ما نصه:

«فتح القسطنطينية علامة خروج الدجال» أخرج الإمام مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق. فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ فإذا تصافوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبو منّا نقاتلهم. فيقول المسلمون: لا والله لا نخلى بينكم وبين الذين هم إخواننا فيقتلونهم فيهزم الثلث لا يتوب الله عليهم أبداً ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله، ويفتح الثلث لا يفتتنون أبداً فيفتحون القسطنطينية فبينما هم يقتسمون الغنائم وقد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم فى أهليكم فيخرجون. وذلك باطل. فإذا جاءوا الشام. خرج فبينما هم يعدون القتال ويسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى بن مريم فأمهم فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح فى الماء. فلو تركه لذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه فى حربته» أ.هـ

لماذا لم يذكر الدجال فى القرآن؟

منذ أن جاءت الآثار والأحاديث النبوية تذكر الدجال. والناس يتساءلون: لماذا لم يذكر الدجال فى القرآن، رغم شره وفتنته؟

والجواب:

الأول: أن الحق سبحانه أشار إلى ذكره فى قوله: ﴿يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا﴾. وقد روى الترمذى

حديثاً فى تفسير هذه الآية عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «ثلاث إذا خرجن لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً: الدجال، والدابة، وطلوع الشمس من المغرب. أو من مغربها» أ. هـ وقال: حديث حسن صحيح.

والثانى: أن عيسى عليه السلام ينزل من السماء الدنيا؛ فيقتل الدجال، وقد جاء ذكر نزوله فى كتاب الله، حيث يقول: ﴿وقولهم: إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله. وما قتلوه. وما صلبوه. ولكن شبه لهم. وإن الذين اختلفوا فيه؛ لفى شك منه. ما لهم به من علم إلا اتباع الظن. وما قتلوه يقينا. بل رفعه الله إليه. وكان الله عزيزاً حكيما. وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته. ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا﴾

وفى التفسير: قيل: إن الضمير فى قوله: ﴿قبل موته﴾ عائد إلى عيسى. أى سينزل إلى الأرض، ويؤمن به أهل الكتاب، الذين اختلفوا فيه اختلافا كثيرا. وعلى هذا يكون ذكر نزول المسيح بن مريم؛ إشارة إلى ذكر المسيح الدجال.

الثالث: إنه لم يذكر اسمه فى القرآن؛ احتقارا لشأنه. حيث يدعى الإلهية، وهو ليس شيئا» [انتهى بنصه]

* * *

المناقشة:

قولهم: إن الله أشار إلى خروج المسيح الدجال فى قوله: ﴿يوم يأتى بعض آيات ربك﴾ هذا القول مردود. بأن الآية فى الكفار والعصاة حينما يفجأهم الموت على غير إيمان أو توبة. وهى نظير قوله تعالى: ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات، حتى إذا حضر أحدهم الموت، قال: إنى تبت الآن، ولا الذين يموتون وهم كفار﴾ ومثال ذلك: لو أن سارقا يستعمل يديه فى السرقة ولا ينزجر ولا يرعوى ولا يكف عن السرقة. وهو يسمع كلام الله فى حكمها. تصادف وهو سادر فى غيه، أن قطعت يداه فى حادثة من الحوادث، التى تجرى فى الحياة على غير رغبة الناس. وبعدما قطعت يداه وأصبح غير قادر على السرقة: لم يكن أمامه إلا التوبة. فهل تقبل توبته؟ إنها لن تقبل.

وقولهم: إن الله أشار إلى الدجال فى قوله: ﴿وقولهم: إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله﴾ هذا القول مردود. بأن عيسى بشر. والله يقول: ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد﴾ ولو سلمنا جدلا بما قالوا؟ فإنه لا يلزم التلازم بين نزول عيسى ونزول الدجال. وقال الإمام القرطبى ـ رحمه الله ـ ما نصه:

«وكنت بالأندلس قد قرأت أكثر كتب المقرىء الفاضل أبى عمر عثمان بن سعيد بن

عثمان توفى سنة أربع وأربعين وأربعمائة. ومن تأليفه: «كتاب السنن الواردة بالفتن وغوائلها والأزمنة وفسادها والساعة وأشراطها» وهو مجلد مزج فيه الصحيح بالسقيم، ولم يفرق فيه بين نسر وظليم، وأتى بالمعلومات، وأعرض عما ثبت من الصحيح المسموع، فذكر الدابة فى الباب الذى نصه «باب ما روى أن الواقعة التى تكون بالزوراء وما يتصل بها من الوقائع والآيات والملاحم والطوام»

وأسند ذلك عن عبد الرحمن، عن سفيان الثورى، عن قيس بن مسلم، عن ربعى بن خراش، عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «تكون وقيعة بالزوراء» قالوا: يا رسول الله وما الزوراء؟ قال: «مدينة بالمشرق بين أنهارها يسكنها شرار خلق الله وجبابرة من أمتى تعذب بأربعة أصناف من العذاب» ثم ذكر حديث خروج السفيانى فى ستين وثلاثمائة راكب، حتى يأتى دمشق. ثم ذكر خروج المهدى قال واسمه محمد بن عبد الله، وذكر خروج الدابة. قال: قلت يا رسول الله: وما الدابة؟ قال: «ذات وبر وريش عظمها ستون ميلاً ليس يدركها طالب ولا يفوتها هارب» وذكر يأجوج ومأجوج وأنهم ثلاثة أصناف: صنف مثل الأرز الطوال، وصنف آخر منهم عرضه وطوله سواء: عشرون ومائة ذراع. فى عشرين ومائة ذراع هم الذين لا تقوم لهم الحديد، وصنف يفترش إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى»

وهذه الأسانيد عن حذيفة فى عدة أوراق، ظاهرة الوضع والاختلاف، وفيها ذكر مدينة يقال لها (المقاطع) وهى على البحر الذى لا يحمل جارية. قال: لأنه ليس له قعر.

إلى أن قال حذيفة: قال عبد الله بن سلام: والذى بعثك بالحق إن صفة هذه. فى التوراة طولها ألف ميل وعرضها خمسمائة ميل. قال رسول الله ﷺ: «لها ستون وثلاثمائة باب يخرج من كل باب منها مائة ألف مقاتل»

قال الحافظ أبو الخطاب رضى الله عنه: ونحن نرغب عن تسويد الورق بالموضوعات فيه، ونثبت الصحيح الذى يقربنا من إله الأرضين والسموات، فعبد الرحمن الذى يرويه عن الثورى: هو ابن هانىء أبو نعيم النخعى الكوفى. قال يحيى بن معين: كذاب. وقال أحمد: ليس بشىء، وقال ابن عدى: عامة ما يرويه لا يتابعه الثقات عليه. وقد رواه عن الثورى؛ عمر بن يحيى، بالسند المذكور آنفا، وقال: «تعذب بأربعة أصناف بخسف ومسخ وقذف»

قال البرقانى: ولم يذكر الرابع. وعن ابن يحيى متروك الحديث.

وقد روى حديث الزوراء محمد بن زكريا الغلابى، وأسنده عن على رضى الله عنه، عن رسول الله ﷺ وقال: أما أن هلاكها على يد السفيانى كأنى والله بها قد صارت خاوية على عروشها، ومحمد بن زكريا الغلابى قال أبو الحسن الدارقطنى: كان يضع الحديث على رسول الله ﷺ وعظم هذه الدابة المذكورة، وطول يأجوج ومأجوج على تلك الصورة، يدل على وضع هذا الحديث بالتصريح، ويقطع العاقل بأنه ليس بصحيح، لأن مثل هذا القدر فى العظم والطول يشهد على كذب واضعه فى المنقول. وأى مدينة تسع طرقاتها، دابة عرضها ستون ميلاً ارتفاعًا؟ وأى سبيل يضم يأجوج ومأجوج، وأحدهم طولاً وعرضا مائتا وأربعون ذراعا؟ لقد اجترأ هذا الفاسق على الله العزيز الجبار، بما اختلقه على نبيه المختار، فقد صح عنه بإجماع من أئمة الآثار أنه قال: «من كذب علىّ متعمداً؛ فليتبوأ مقعده من النار» ثم يتطرق إلينا تكذيب اليهود لنا فيما نقلناه عن توراتهم، ويكذبوننا بسبب ذلك فى كل حال» أ.هـ.

وقال الإمام القرطبى ـ رحمه الله ـ:

إن أبا الحسين أحمد بن جعفر بن المنادى. ألف كتابا اسمه «الملاحم» وذكر أشياء كثيرة. الله أعلم بصحتها. أخذها من كتاب دانيال فيما زعم.

قال الإمام القرطبى ما نصه:

«وذكر أشياء كثيرة. الله أعلم بصحتها. أخذها من كتاب دانيال. فيما زعم.

قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية: ودانيال نبى من أنبياء بنى إسرائيل. كلامه عبرانى وهو على شريعة موسى بن عمران، وكان قبل عيسى بن مريم بزمان، ومن أسند مثل هذا إلى نبى عن غير ثقة أو توقيف من نبينا ﷺ فقد سقطت عدالته، إلا أن يبين وضعه لتصح أمانته. وقد ذكر فى هذا الكتاب من الملاحم وما كان من الحوادث وما سيكون، وجمع فيه التنافى والتناقض بين الضب والنون، وأغرب فيما أغرب فى روايته عن ضرب من الهوس والجنون، وفيه من الموضوعات ما يكذب آخرها أولها ويتعذر على المتأول لها تأويلها. وما يتعلق به جماعة الزنادقة من تكذيب الصادق المصدوق محمد ﷺ أن فى سنة ثلاثمائة يظهر الدجال من يهود أصبهان، وقد طعنا فى أوائل سبعمائة فى هذا الزمان وذلك شىء ما وقع ولا كان. ومن الموضوع فيه المصنوع والمتهافت الموضوع: الحديث الطويل الذى استفتح به كتابه، فهلا اتقى الله وخاف عقابه، وإن من أفضح فضيحة فى الدين نقل مثل هذه الإسرائيليات عن المتهودين. فإنه لا طريق فيما ذكر عن دانيال إلا عنهم، ولا رواية تؤخذ إلا منهم.

وقد روى البخارى فى تفسير سورة البقرة، عن أبى هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا» ا.هـ.

ومما يدل على الاضطراب والتناقض فى أحاديث الدجال:

أن فى الأحاديث أحاديثا تدل على أنه قد كان الدجال فى زمان محمد ﷺ وأنه قابله، ورآه، وتحدث معه، ولم يأمر بقتله. ومن هذه الأحاديث: ما أخرجه البزار عن محمد بن المنكدر قال: رأيت جابر بن عبد الله يحلف بالله: أن ابن صياد؛ هو الدجال. فقلت له: أتحلف على ذلك؟ قال: إنى سمعت عمر يحلف بالله على ذلك، عند النبى ﷺ فلم ينكره عن النبى ﷺ وأخرجه أيضا: أبو داود فى سننه. وما أخرجه أبو داود عن نافع قال: كان ابن عمر يقول: والله ما أشك أن المسيح الدجال؛ ابن صياد.

وما أخرجه مسلم عن أبى سعيد الخدرى قال: خرجنا حجاجا أو عمارا، ومعنا ابن صياد. وعن ابن عمر قال: لقيت ابن صياد مرتين.

وعمر بن الخطاب لما قال للنبى ﷺ: ذرنى يا رسول الله أضرب عنقه. قال له رسول الله ﷺ: «إن يكنه فلن تُسلط عليه، وإن لم يكنه، فلا خير لك فى قتله»

وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الدجال من بنى آدم، وأنه على دينكم معشر اليهود»

المسيح فى سفر دانيال

وقال الإمام القرطبى ـ رحمه الله ـ:

إن أبا الحسين أحمد بن جعفر بن المنادى، ألف كتابا اسمه «الملاحم» وذكر أشياء كثيرة. الله أعلم بصحتها. أخذها من كتاب دانيال. فيما زعم. قال الإمام القرطبى ما نصه: «وذكر أشياء كثيرة. الله أعلم بصحتها. أخذها من كتاب دانيال فيما زعم. قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية: ودانيال نبى من أنبياء بنى إسرائيل. كلامه عبرانى، وهو على شريعة موسى بن عمران. وكان قبل عيسى بن مريم بزمان. ومن أسند مثل هذا إلى نبى عن غير ثقة أو توقيف من نبينا ﷺ فقد سقطت عدالته، إلا أن يبين وضعه، لتصح أمانته. وقد ذكر فى هذا الكتاب من الملاحم. وما كان من الحوادث وما سيكون...»

هذا هو كلام الإمام القرطبى يرحمه الله بنصه. فأعد قراءته، وتأمل فيه جيدا.

إنه يقول: «وذكر أشياء كثيرة. الله أعلم بصحتها. أخذها من كتاب دانيال»

والملاحم التى ذكرها دانيال هى عن نبينا محمد ﷺ بلقب «المسيح الرئيس» ففى الأصحاح الثانى ذكر تمثال الحجر الذى قُطع بغير يدين، وضرب التمثال فحطمه. وفى إظهار الحق لرحمت الله الهندى - رحمه الله - أن الحجر رمز لمحمد ﷺ وفى الأصحاح السابع الكلام عن ملكوت ابن الإنسان الذى يتأسس بعد مملكة الروم، وفى نفس الكتاب: أن ابن الإنسان هو محمد ﷺ وفى الأصحاح الثامن الكلام عن هزيمة المسلمين فى فلسطين سنة ألف وتسعمائة وسبعة وستين. وفى نفس الكتاب اختلاف علماء اليهود والنصارى فى نص دانيال عن هزيمة المسلمين. وفى الأصحاح التاسع سنة ولادة محمد ﷺ ذلك قوله: «سبعون أسبوعا قُضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية وتتميم الخطايا وليؤتى بالبر الأبدى ولختم الرؤيا والنبوة ولمسح قدوس القدوسين. فاعلم وافهم: أنه من حين خروج الأمر لتجديد أورشليم وبنائها إلى المسيح الرئيس سبعة أسابيع... الخ» وهذا النص مشروح فى كتاب فتح الملك العلام فى البشائر بدين الإسلام على محمد ﷺ وكل هذه النبوءات مذكورة ومشروحة فى كتابنا «البشارة بنبى الإسلام فى التوراة والانجيل»

وذلك يؤكد صحة ما ذهبنا إليه من أن «المسيح» المكتوب أنه من علامات الساعة هو محمد ﷺ ويلقبه اليهود بالمسيح وبالمهدى. ويلقبه النصارى بالمسيح الدجال اقتداء بالمأثور عن يوحنا وبولس. وكل ذلك منهم للغو فى نبوة محمد ﷺ

مشابهة كلام يوحنا لكلام بولس في أن محمدا ﷺ هو المسيح الدجال:

قال بولس: إن الحاجز عن ظهور عيسى عليه السلام لتكميل ملكوته: هو وجود الدولة الرومانية، وأنها إذا زالت عن فلسطين؛ يكون «ملكوت الله» قائما. وغرضه من هذا القول: هو أن عيسى عليه السلام قد قال: إن النبى الآتى الملقب من دانيال بـ «ابن الإنسان» سيؤسس «ملكوت الله» على الأرض مع زوال الدولة الرومانية. وعليه. فإنه سيظهر «ابن الإنسان» الذى هو محمد ﷺ والدولة الرومانية قائمة. ليزيلها بالقوة. وبولس يعلم أن عيسى عليه السلام لن يظهر مرة أخري؛ لقوله: «ولست أنا بعد فى العالم» ولو أن بولس لم يقل أن نبيا دجالا سيظهر: لكان الناس سيسارعون إلى الدخول فى دين محمد إذا ظهر فى حينه. وهو يريد عدم دخول الناس فى دينه. فلذلك وصفه بالدجال. وقال للناس: إن عيسى لن يظهر مرة أخرى إلا إذا ظهر قبله هذا النبى الدجال - يعنى محمد ﷺ وهو قد قال للناس هذا الكلام، لأنه متأكد من ظهور محمد ليزيل دولة الروم، ولأنه متأكد من عدم ظهور عيسى مرة أخرى. وغرضه من قوله هذا: هو

اللغو فى نبوة محمد، وصرف الناس عن دينه. أعد قراءة قوله: «ثم نسألكم أيها الأخوة من جهة مجئ ربنا يسوع المسيح، واجتماعنا إليه؛ أن لا تتزعزعوا سريعا عن ذهنكم، ولا ترتاعوا. لا بروح، ولا بكلمة، ولا برسالة كأنها منّا، أى أن يوم المسيح قد حضر. لايخدعنكم أحد على طريقة مّا. لأنه لا يأتى إن لم يأت الارتداد أولا ويستعلن إنسان الخطية ابن الهلاك . . . .»

إنه جعل لظهور عيسى مرة أخرى علامتين. العلامة الأولى: ارتداد الناس عن المسيحية إلى الدين الجديد. وهو دين الإسلام . لأنه متأكد من ظهوره على يد محمد ﷺ. والعلامة الآخرة: هى ظهور محمد نفسه . المعبر عنه فى النص بإنسان الخطية ابن الهلاك. فهل محمد هو «إنسان الخطية» الذى سيظهر من قبل ظهور عيسى؟ يقول مفسرو الإنجيل: إن إنسان الخطية هو المشار إليه فى الرسالة الأولى ليوحنا ٢: ١٨ وفى سفر رؤيا يوحنا ١٣: ١١ الخ وأن «ابن الهلاك» هو المشار إليه فى سفر رؤيا يوحنا ١٣: ٦ ولقّبه يوحنا بلقب «ضد المسيح» أى ضد عيسى عليه السلام وقال مفسرو الإنجيل: إن «ضد المسيح» هو المشار إليه فى رسالة بولس الثانية إلى أهل تسالونيكى بلقب «إنسان الخطية»

ونص يوحنا ٢: ١٨ هو: «أيها الأولاد هى الساعة الأخيرة. وكما سمعتم أن ضد المسيح يأتى، قد صار الآن أضداد للمسيح كثيرون. من هنا نعلم أنها الساعة الأخيرة»

ولقب «إنسان الخطية» عند يوحنا فى سفر الرؤيا هو «الوحش» وقال يوحنا عن الوحش: «ففتح فمه بالتجديف على الله؛ ليجدّف على اسمه ومسكنه، وعلى الساكنين فى السماء» [رؤيا ١٣: ٦] وقال: «وأعطى أن يصنع حربا مع القديسين ويغلبهم، وأعطى سلطانا على كل قبيلة ولسان وأمّة» [رؤيا ١٣: ٧]

وقال يوحنا عن الوحش: «ثم رأيت وحشا آخر طالعا من الأرض. وكان له قرنان شبه خروف، وكان يتكلم كتنّين، ويعمل بكل سلطان الوحش الأول أمامه، ويجعل الأرض والساكنين فيها يسجدون للوحش الأول، الذى شُفى جرحه المميت، ويصنع آيات عظيمة حتى أنه يجعل نارا تنزل من السماء على الأرض، قدام الناس. ويضل الساكنين على الأرض بالآيات التى أُعطى أن يصنعها أمام الوحش قائلا للساكنين على الأرض: أن يصنعوا صورة للوحش الذى كان به جرح السيف، وعاش. وأعطى أن يعطى روحا لصورة الوحش حتى تتكلم صورة الوحش، ويجعل جميع الذين لايسجدون لصورة الوحش؛ يقتلون. ويجعل الجميع الصغار والكبار والأغنياء والفقراء والأحرار والعبيد؛ تُصنع لهم سِمة على يدهم اليمنى، أو على جبهتهم ، وأن لايقدر

أحد أن يشترى أو يبيع إلا من له السمة، أو اسم الوحش، أو عدد اسمه. هنا الحكمة من له فهم؛ فليحسب عدد الوحش؛ فإنه عدد إنسان وعدده ست مئة وستة وستون « [رؤيا ١٣: ١١ ـ ١٨]

والدليل على أن الوحش موضوع بدل محمد ﷺ هو:

فى سفر رؤيا يوحنا اللاهوتى. حذف النصارى اسم «محمد» من الإنجيل. ووضعوا بدله كلمة «الوَحْش» وكتبوا : إنك لو حسبت كلمة «الوحش» بحساب الجمَّل؛ يكون العدد ستمائة وستة وستين. وكتبوا أن «الوحش» رمز لإنسان. وكلمة «الوَحْش» لو حسبتها لاتكون ٦٦٦ ولو أنك حسبت جملة «محمد بن عبد الله العربى بمكة» يكون الحساب ٦٦٦ فيكون مؤلف سفر الرؤيا قد تعمد حذف اسم «محمد» وتعمّد الرمز إلى اسمه بكلمة «الوحش»

ومفسرو الإنجيل فى حيرة من هذا الأمر. والنص هو : «من له فهم فليحسب عدد الوحش. فإنه عدد إنسان. وعدده ست مئة وستة وستون» [رؤيا ١٣: ١٨] والحساب هكذا :

أ ب ج د ـ هـ و ز ـ ح ط ي ـ ك ل م .ن ـ س ع ف
١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ٢٠ ٣٠ ٤٠ ٥٠ ٦٠ ٧٠ ٨٠

ص ـ ق ر ش ت
٩٠ ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠

وحساب «الوحش» هكذا أ = ١ ـ ل = ٣٠ ـ و = ٦ ـ ح = ٨ ـ ش = ٣٠٠ الجملة = ٣٤٥

وحساب «محمد بن عبد الله العربى بمكة» هكذا م = ٤٠، ح = ٨، م = ٤٠، د = ٤، ب = ٢، ن = ٥٠ ، ع = ٧٠ ، ب = ٢، د = ٤، أ = ١ ، ل = ٣٠، ل = ٣٠، هـ = ٥، أ = ١، ل = ٣٠، ع = ٧٠، ر = ٢٠٠، ب = ٢، ى = ١٠، ب = ٢ ، م = ٤٠ ، ك = ٢٠ ، هـ = ٥ الجملة = ٦٦٦

*****

الفصل الرابع

المهدى المنتظر

. جاء فى الكتب: أن المهدى سيخرج فى آخر الزمان قبل ظهور المسيح عيسى بن مزيم عليه السلام.

وفى مذهب الشيعة الإمامية: أنه خرج فى بدء الإسلام، ودخل سردابا فى مدينة «سامراء» وهو فى الخامسة من عمره، وسوف يخرج من السرداب فى آخر الزمان. وفى مذهبهم: أنه حيٌ يُرزق، من حين دخوله فى السرداب إلى حين خروجه. وعنده عسل وماء. وفى كلّ ليلة يسير رجل منهم إلى السرداب، ومعه دابة عليها عسل وماء، وينادي عليه بالخروج، ثم ينصرف.

وفى ذلك يقول الشاعر عن المهدى المنتظر. الذى هو محمد بن الحسن العسكرى رضى الله عنه:

ألا إن الأئمة من قريش	ولاة الحق. أربعة سواء
عليّ. والثلاثة من بنيه	هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط إيمان وبر	وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت	حتى يقود الخيل. يقدمه اللواء
تغيب. لا يُرى فيهم زمانا	برضوى. عنده عسل وماء

ويتفق جميع أهل السنة والشيعة، عدا الراسخين فى العلم منهم، على أنه إذا خرج المهدى؛ فإنه سيملأ الأرض عدلا، بعدما ملئت جورا وظلما. وأنه سيفتح البلاد لنشر الإسلام فيها. وأنه سيكون من بنى إسماعيل عليه السلام. وسيكون اسمه «محمد»

وهذه العقيدة مقتبسة من علماء اليهود والنصارى، وذلك لأن فى التوراة نبوءات عن نبى سيظهر فى آخر الزمان هو محمد ﷺ وسيمتد دينهُ إلى انتهاء الحياة الدنيا، ويفتح الله على يديه بلاد الكفر، وينشر فيها الإسلام. ويكثر الخير فى أيامه، ويسود العدل، وينمحى الظلم. لدرجة أن كل حيوان مؤذى؛ سينسى طبعه. كناية عن كثرة السلام.

انظر إلى هذا النص من سفر إشَعياء. وفيه يقارن إشعياء بين أمتّين: أمة بنى إسرائيل، وأمة بنى إسماعيل. فيقول: إن أمة بنى إسرائيل لم تسمع لكلام الله، ولم

تعمل بشريعته، ولذلك سيرفضها الله. وأما أمة بنى إسماعيل. وهم عبيد الله. فإنهم سيأكلون ويشربون ويفرحون ويترغون. لأنهم هم الشعب المختار لهواية الشعوب إلى الله بشريعة محمد، فى المستقبل من الزمان، بدل اليهود الملاعين الذين كانوا مختارين لهداية الشعوب إلى الله بشريعة موسى. ثم تركوا الله، ورتبوا للسعد الأكبر مائدة، وشربوا الخمر فى بيوت الأصنام. وأن بنى إسماعيل سيبنون بيوتا، ويسكنون فيها، وسيغرسون كروما ويأكلون أثمارها؛ لأنهم نسل مباركى الرب. وذريتهم معهم. وفى أيامهم «الذئب والحمل يرعيان معا، والأسد يأكل التبن كالبقر. أما الحية فالتراب طعامها. لا يؤذون ولا يُهلكون فى كل جبل قدسى» كناية عن كثرة السلام.

النص:

«أصغيتُ إلى الذين لم يسألوا. وُجدت من الذين لم يطلبونى. قلت: ها أنذا لأمة لم تسم باسمى. بسطت يدى طول النهار إلى شعب متمرد سائر فى طريق غير صالح وراء أفكاره. شعب يغيظنى بوجهى دائما يذبح فى الجنات ويبخر على الآجر. يجلس فى القبور ويبيت فى المدافن يأكل لحم الخنزير وفى آنيته مرق لحوم نجسة. يقول: قف عندك. لا تدن منى لأنى أقدس منك. هؤلاء دخان فى أنفى. نار متقدة كل النهار. ها قد كتب امامى. لا أسكت بل أجازى. أجازى فى حضنهم. آثامكم وآثام آبائكم معا. قال الرب. الذين بخروا على الجبال وعيرونى على الآكام فأكيل عملهم الأول فى حضنهم.

هكذا قال الرب. كما أن السلاف يوجد فى العنقود فيقول قائل: لا تهلكه لأن فيه بركة. هكذا أعمل لأجل عبيدى حتى لا أهلك الكل. بل أخرج من يعقوب نسلا ومن يهوذا وارثاً لجبالى فيرثها مختارى وتسكن عبيدى هناك. فيكون شارون مرعى غنم ووادى عخور مربض بقر لشعبى الذين طلبونى.

أما أنتم الذين تركوا الرب ونسوا جبل قدسى ورتبوا للسعد الأكبر مائدة وملأوا للسعد الأصغر خمرا ممزوجة؛ فإنى أعينكم للسيف وتجثون كلكم للذبح لأنى دعوت فلم تجيبوا. تكلمت فلم تسمعوا بل عملتم الشر فى عينى واخترتم ما لم أسر به. لذلك هكذا قال السيد الرب. هوذا عبيدى يأكلون وأنتم تجوعون. هوذا عبيدى يشربون وأنتم تعطشون. هوذا عبيدى يفرحون وأنتم تخزون. هوذا عبيدى يترنمون من طيبة القلب وأنتم تصرخون من كآبة القلب. ومن انكسار الروح تولولون. وتخلفون اسمكم لعنة لمختارىّ فيميتك السيد الرب ويسمى عبيده اسما آخر. فالذى يتبرك فى الأرض يتبرك

بإله الحق والذى يحلف فى الأرض يحلف بإله الحق لأن الضيقات الأولى قد نسيت ولأنها استترت عن عينى.

لأنى هأنذا خالق سموات جديدة وأرضا جديدة. فلا تذكر الأولى ولا تخطر على بال. بل افرحوا وابتهجوا إلى الأبد فى ما أنا خالق؛ لأنى هأنذا خالق أورشليم بهجة وشعبها فرحا. فابتهج بأورشليم وأفرح بشعبى ولا يُسمع بعد فيها صوت بكاء ولا صوت صراخ. ولا يكون بعد هناك طفل أيام ولا شيخ لم يكمل أيامه؛ لأن الصبى يموت ابن مئة سنة، والخاطئ يلعن ابن مئة سنة. ويبنون بيوتا ويسكنون فيها ويغرسون كروما ويأكلون أثمارها. لا يبنون وآخر يسكن ولا يغرسون وآخر يأكل، لأنه كأيام شجرة، أيام شعبى؛ ويستعمل مختارى عمل أيديهم، لا يتعبون باطلا ولا يلدون للرعب لأنهم نسل مباركى الرب وذريتهم معهم. ويكون أنى قبلما يدعون؛ أنا أجيب وفيما هم يتكلمون بعد أنا أسمع. الذئب والحمل يرعيان معا والأسد يأكل التبن. كالبقر. أما الحية فالتراب طعامها. لا يُؤذون ولا يهلكون فى كل جبل قدسى. قال الرب» [إش ٦٥]

* * *

ويعرف اليهود من هذا النص وغيره: أن أياما ستأتى. يكثر فيها الخير، ويعم فيها السلام. وتبدأ هذه الأيام بظهور نبى صاحب شريعة؛ تميز بين الحق والباطل، وبين العدل والظلم. وبه يهدى الله من اتبع رضوانه سبل السلام. فيكون هذا النبى هاديا ومهديا. ويعرف اليهود من التوراة: أن هذا النبى الهادى سيكون من بنى إسماعيل عليه السلام. وذلك لأن الله بارك فى إسماعيل والبركة: ملك ونبوة. ففى التوراة:

أ - أن الله عقد عهدا بينه وبين إبراهيم فى أن يسير إبراهيم أمامه فى جميع البلاد لدعوة الناس إلى دينه، ولمحو عبادة الأصنام بالقوة.

ب - وإذا التزم إبراهيم؛ فإن الله ينصره على أعدائه، ويملكه هو ونسله على البلاد التى يفتحونها.

ج - ومن بعد موت إبراهيم يسير نسل إسحق أمام الله بشريعة موسى عليه السلام

د - وبعد مدة من الزمان يسير نسل إسماعيل أمام الله بشريعة محمد ﷺ

هـ - فتكون مدة لإسحق. وقد قام بها بنو إسرائيل؛ نيابة عن جميع نسل إسحق. وتكون مدة لإسماعيل. وقد قام بها بنو قيدار؛ نيابة عن جميع نسل إسماعيل.

و ـ وعلى ذلك. تكون أمتان. أمة بنى إسرائيل. وأمة بنى إسماعيل.

ومن النصوص الدالة على ذلك:

١ ـ «ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة؛ ظهر الرب لأبرام، وقال له: أنا الله القدير. سر أمامى، وكن كاملا؛ فأجعل عهدى بينى وبينك، وأكثرك كثيرا جدا. فسقط أبرام على وجهه. وتكلم الله معه قائلا: أما أنا فهو ذا عهدى معك، وتكون أبا لجمهور من الأمم؛ فلا يُدعى اسمك بعد أبرام، بل يكون اسمك إبراهيم؛ لأنى أجعلك أبا لجمهور من الأمم، وأثمرك كثيرا جدا، وأجعلك أمما، وملوك منك يخرجون، وأقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك، فى أجيالهم عهدا أبديا. لأكون إلها لك ولنسلك من بعدك. وأعطى لك ولنسلك من بعدك؛ أرض غربتك كل أرض كنعان ملكا أبديا. وأكون إلههم» [تك ١٧: ١ ـ ٨]

لاحظ فى هذا النص:

أن نسل إبراهيم سيرث أرض كنعان، التى هى أرض فلسطين؛ لنشر دين الله فيها. وأن من نسله ستكون ملوك على الشعوب.

والسير أمام الله، أو الحياة فى طاعته، أو العيش أمامه. لا يدل على عدم موت. فإن السائر سيموت. والحياة ستنقضى، والعيش سيفنى. فيكون المعنى: سيره وسير نسله من بعده، والحياة فى طاعته؛ له ولنسله من بعده. والعيش؛ له ولنسله من بعده.

٢ ـ «وقال: إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك: فقال الله: بل سارة امرأتك، تلد لك ابنا، وتدعو اسمه إسحق. وأقيم عهدى معه عهدا أبديا، لنسله من بعده. وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه، وأثمره، وأكثّره كثيرا جدا. اثنى عشر رئيسا يلد، وأجعله أمّة كبيرة. ولكن عهدى أقيمه مع إسحق، الذى تلده لك سارة فى هذا الوقت فى السنة الآتية» [تك ١٧: ١٨ ـ ٢١]

قول الكاتب: إن العهد الذى هو فى هذا النص هو بالنبوة إلى الأبد فى نسل إسحق. وقوله بعد ذلك أنه هو المأمور بذبحه. قولان متناقضان. لأنه لو ذبح بالفعل فإنه لا يتحقق الوعد. ويلزم على عدم تحققه؛ الخلف فى وعود الله، وهذا باطل. وقوله يعيش أمامك. يدل على معنى هو غير استمرار الحياة العادية. لأنه بالشريعة سيستمر نسله، وبعدمها سيتمر نسله. وعليه يكون معنى يعيش أمامك؛ هو أنه يطلب له شريعة فى نسله، ويمكن لها بالملك. وقد طلب إبراهيم من الله أن يعيش نسل إسماعيل. أى يكون من نسله من يدعو إلى دينه، بشريعة، يفتح بها البلاد للملك على أهلها. وقد

استجاب الله لطلبه «قال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك: فقال الله. . .» و «كثيرا جدا» فى اللغة العبرانية «بماد ماد» وهى تساوى بحساب الجمّل كلمة «محمد» وكلمة «محمد» هى تفسير لـ «المشتهى» الأمم فى سفر حَجّى.

وعلى ذلك. فاليهود ينتظرون نبيا من نسل إسماعيل. اسمه محمد؛ يملأ الأرض عدلا، بعدما ملئت جوْرا وظلما. ولكنهم لا يصرحون بذلك. ويصرحون بقولهم: نحن ننتظر نبيا منا على مثال موسى، على يديه نفتح البلاد، ونملك على أهلها، وهذا النبى سيكون ممكنا للحق وللعدل وهاديا إلى كل بر وخير. ولما ظهر الإسلام. وهذه العقيدة عنهم معروفة لأهل العالم. قالوا: ما زلنا فى انتظار المهدى. النبى الآتى منا. ثم تقووا بالمسلمين. وذلك بوضع الفكرة فيهم. ولأنهم يعرفون أنه من إسماعيل، ولا يصرحون. لفقوا العقيدة على أمرين: الأمر الأول: أنه لم يظهر بعد. وهذا هو ما يصرحون به. والأمر الثانى: أنه سيكون من بنى إسماعيل. وهذا هو ما لا يصرحون به. وهذا التلفيق قد بثوه فى المسلمين، فى صورة أحاديث نبوية. ووضعوا فيها تفسيرا لآيات قرآنية غير صحيح؛ ليبعدوا المسلمين عن التفكير فى معناها الصحيح.

فساد بنى إسرائيل وعلوهم الكبير فى الأرض مرتين:

ففى سورة الإسراء: أن الله تعالى قضى على بنى إسرائيل فى الكتاب أنهم سيفسدون فى أرض فلسطين مرتين، وسيعلون علوا كبيرا. وقال: إنه سيعذبهم فى كل مرة من المرتين. والمرتان مذكورتان فى سفر دانيال. والأولى تتم فى سنة ألف وتسعمائة وسبعة وستين من الميلاد. فسر اليهود المرة الأولى تفسيرا غير صحيح يبين أنهما كانا من قبل الإسلام؛ لئلا يتنبه المسلمون ويستعدوا لقتالهم.

وراوى الحديث ذكر فيه: كيفية بناء هيكل سليمان. . وأن ملك بابل أخذ ذهبه وفضته إلى بابل، وأن ملك الروم استردها. . .الخ . وهذا يدل على الصنعة فى الحديث.

يقول دانيال فى الأصحاح الثامن عن المرة الأولى: «ومن واحد منها خرج قرن صغير، وعظم جدا نحو الجنوب ونحو الشرق ونحو فخر الأراضى وتعظم حتى إلى جند السموات، وطرح بعضا من الجند والنجوم إلى الأرض وداسهم، وحتى إلى رئيس الجند، تعظم. وبه أبطلت المحرقة الدائمة وهدم مسكن مقدسه، وجعل جند على المحرقة الدائمة بالمعصية، فطرح الحق على الأرض وفعل ونجح. فسمعت قدوسا واحدا يتكلم، فقال قدوس واحد لفلان المتكلم: إلى متى الرؤيا من جهة المحرقة الدائمة، ومعصية الخراب لبذل القدس، والجند مدوسين؟ فقال لى: إلى ألفين وثلاث مئة صباح

ومساء؛ فيتبرأ القدس» [دا ٨: ٩ ـ ١٤] ٢٣٠٠ ـ ٣٣٣ سنة دخول الإسكندر الأكبر أرض فلسطين = ١٩٦٧م وهذا فى كتاب إظهار الحق، وهو مبين فى كتاب بيان فساد بنى إسرائيل وعلوهم الكبير فى الأرض مرتين. ويقول دانيال عن المرة الآخرة: «ومن وقت إزالة المحرقة الدائمة وإقامة رجس المخرب ألف ومائتان وتسعون يوما. طوبى لمن ينتظر ويبلغ إلى الألف والثلاث مئة، والخمسة والثلاثين يوما» [دا ١٢: ١١ ـ ١٢] وهذا هو نص الحديث الموضوع فى هذا الشأن؛ لئلا يتنبه المسلمون إلى الفساد والعلو فى المرتين:

فى كتاب التذكرة للقرطبى:

«باب ما جاء أن المهدى يملك جبل الديلم والقسطنطينية ويستفتح رومية وأنطاكية وكنيسة الذهب، وبيان قوله تعالى: ﴿فإذا جاء وعد أولاهما﴾ الآية.

ابن ماجة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم؛ لطوله الله عز وجل حتى يملك رجل من أهل بيتى جبل الديلم والقسطنطينية» إسناده صحيح.

وروى من حديث حذيفة عن النبى ﷺ وفيه بعد قوله ﴿ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم﴾: ثم إن المهدى ومن معه من المسلمين يأتون إلى مدينة أنطاكية وهى مدينة عظيمة على البحر، فيكبرون عليها ثلاث تكبيرات فيقع سورها من البحر بقدرة الله عز وجل، فيقتلون الرجال ويسبون النساء والأطفال، ويأخذون الأموال ثم يملك المهدى أنطاكية، ويبنى فيها المساجد ويعمر عمارة أهل الإسلام، ثم يسيرون إلى الرومية والقسطنطينية وكنيسة الذهب، فيقتحمون القسطنطينية ورومية ويقتلون بها أربعمائة ألف مقاتل، ويفتضون بها سبعين ألف بكر، ويستفتحون المدائن والحصون ويأخذون الأموال، ويقتلون الرجال ويسبون النساء والأطفال ويأتون كنيسة الذهب فيجدون فيها الأموال التى كان المهدى أخذها أول مرة، وهذه الأموال هى التى أودع فيها ملك الروم قيصر حين غزا بيت المقدس، فوجد فى بيت المقدس هذه الأموال فأخذها واحتملها على سبعين ألف عجلة إلى كنيسة الذهب بأسرها كاملة، كما أخذها. ما نقص منها شيئاً فيأخذ المهدى تلك الأموال فيردها إلى بيت المقدس، قال حذيفة: قلت يا رسول الله: لقد كان بيت المقدس عند الله عظيماً جسيم الخطر عظيم القدر. فقال رسول الله ﷺ: هو من أجل البيوت ابتناه الله لسليمان بن داود عليهما السلام من ذهب وفضة ودر وياقوت وزمرد، وذلك أن سليمان بن داود سخر الله له الجن فأتوه بالذهب

والفضة من المعادن، وأتوه بالجواهر والياقوت والزمرد من البحار يغوصون. كما قال الله تعالى: ﴿كل بناء وغواص﴾ فلما أتوه بهذه الأصناف بناه منها، فجعل فيه بلاطاً من ذهب وبلاطاً من فضة، وأعمدة من ذهب، وأعمدة من فضة وزينه باللدر والياقوت والزمرد، وسخر الله تعالى له الجن حتى بنوه من هذه الأصناف. قال حذيفة: فقلت: يا رسول الله وكيف أخذت هذه الأشياء من بيت المقدس؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن بني إسرائيل لما عصوا وقتلوا الأنبياء سلط الله عليهم بخت نصَّر وهو من المجوس فكان ملكه سبعمائة سنة وهو قوله تعالى: ﴿فإذا جاء وعد أولاهما؛ بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار. وكان وعدا مفعولا﴾ فدخلوا بيت المقدس وقتلوا الرجال وسبوا النساء والأطفال وأخذوا الأموال وجميع ما كان في بيت المقدس من هذه الأصناف، واحتملوها على سبعين ألف عجلة حتى أودعوها أرض بابل، وأقاموا يستخدمون بني إسرائيل ويستملكونهم بالخزي والعقاب والنكال مائة عام، ثم إن الله عز وجل رحمهم فأوحى الله إلى ملك من ملوك فارس أن يسير إلى المجوس في أرض بابل يستنقذ ما في أيديهم من بني إسرائيل، فسار إليهم ذلك الملك حتى دخل أرض بابل، فاستنقذ من بقي من بني إسرائيل من أيدي المجوس واستنقذ ذلك الحلي الذي كان في بيت المقدس ورده إليه كما كان أول مرة، وقال لهم: يا بني إسرائيل: إن عدتم إلى المعاصي عدنا عليكم بالسبي والقتل، وهو قوله تعالى: ﴿عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا﴾ يعني: إن عدتم إلى المعاصي؛ عدنا عليكم بالعقوبة، فلما رجعت بنو إسرائيل إلى بيت المقدس عادوا إلى المعاصي، فسلط الله عليهم ملك الروم قيصر وهو قوله تعالى: ﴿فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا﴾ فغزاهم في البر والبحر فسباهم وقتلهم وأخذ أموالهم ونساءهم وأخذ حلي جميع بيت المقدس، واحتمله على سبعين ألف عجلة حتى أودعه كنيسة الذهب فهو فيها إلى الآن حتى يأخذه المهدي ويرده إلى بيت المقدس، ويكون المسلمون ظاهرين على أهل الشرك، فعند ذلك يرسل الله عليهم ملك الروم - وهو الخامس من آل هرقل - على ما تقدم من تمام الحديث، والله أعلم » أ. هـ

***

هذا. وأنقل من كتاب «قصة الحضارة» ما يلي:

«مدينة القسطنطينية»

كان اسمها قبلا مدينة «بيزنطة» وفي عام ثلثمائة وأربعة وعشرين ميلادية، سار «قسطنطين» الأكبر قيصر روما، على رأس جماعة من قواد جنده، ومعه مهندسين

وقساوسة إلى مرفأ بيزنطة، واجتاز ما حوله من التلال؛ ليرسم حدود العاصمة التى كان يعتزم إنشاءها ولما عجب بعضهم من اتساع رقعتها. رد على هؤلاء بقوله: «سأواصل السير حتى يرى الله - الذى لا تدركه الأبصار - أن من الخير أن أقف» ثم بنى المدينة وأعلن أنها عاصمة للدولة الرومانية الشرقية فى اليوم الحادى عشر من شهر مايو سنة ثلثمائة وثلاثين ميلادية، وبنى فيها كنيسة «آيا صوفيا» أى الحكمة القدسية. وظلت من بعده عشرة قرون. لم تسقط إلا مرة واحدة فى أيدى الصليبيين المسيحيين، الذين كان حبهم للذهب، يزيد قليلا على حبهم للدين. وظلت بعد ظهور الإسلام ثمانية قرون تصد جيوش المسلمين. التى اكتسحت أمامها آسيا، وافريقية، وأسبانيا، وفيها ظلت الحضارة اليونانية قائمة لا ينضب معينها تحتفظ للعالم بشعلة، أنقذته فيما بعد من الهمجية، وعضت بالنواجذ على كنوزها القديمة، حتى أسلمتها آخر الأمر إلى إيطاليا فى عصر النهضة، ومنها إلى العالم الغربى»

ويقول الأستاذ محمد بدران مترجم قصة الحضارة لول وايريل ديورانت: «لما استولى الأتراك على القسطنطينية فى عام ١٤٥٣م غطوا فسيفساء «آيا صوفيا» بالجص، لكراهيتهم ما عليها من صور منحوته، يعدونها من عبادة الأصنام. ولكن الحكومة التركية قد أذنت منذ قليل إلى طائفة من العمال من العهد البيزنطى، بـ «بوسطن» بولاية مسشوستس أن يكشفوا عن هذه النماذج الفنية من أعمال الفسيفساء، التى لا تسمو عليها نماذج أخرى فى العالم كله. وكاد الفاتحون الأتراك يكفرون عما فعلوه بهذه الكنيسة بإقامة أربع مآذن رشيقة تتناسب أتم التناسب مع أشكال القباب»[1] أ.هـ.

ومن ذلك تعلم: أن القسطنطينية قد تم فتحها على يد السلطان العثمانى التركى محمد الفاتح فى سنة ألف وأربعمائة وثلاث وخمسين من الميلاد. ونحن الآن فى سنة ثمان وتسعين وألف وتسعمائة. ولم يظهر المهدى. فيلزم إما أن الحديث موضوع، وإما أن الواقع التاريخى كاذب. والواقع التاريخى يشهد بأن المسلمين قد فتحوها وما يزالون فيها. فإذاً الحديث موضوع.

* * *

واعتقاد الشيعة فى المهْدِى. هو مثل اعتقاد النصارى فى عيسى عليه السلام. وذلك لأن النصارى أخذوا نبوءات التوراة عن محمد ﷺ ووضعوها على عيسى عليه السلام ولما لم تنطبق عليه تمام الانطباق، قالوا: إن ما لم ينطبق عليه من النبوءات فى حياته،

---

(١) ص٢٦٥ ج٣ قصة الحضارة.

سوف ينطبق عليه فى مجيئه الثانى. والشيعة يقولون: إن المهدى له ظهوران. والظهور الأول قد وقع ثم اختفى كما اختفى عيسى عليه السلام ويظهر مرة ثانية فى نهاية الزمان. فالشيعة والنصارى متفقون فى أ ـ الظهور الأول ب ـ والظهور الثانى. ج ـ والاختفاء.

واعتقاد أهل السنة فى المهدى. هو مثل اعتقاد اليهود فى «النبى الأمى الآتى على مثال موسى» يقول اليهود: نحن ننتظر النبى الهادى المهدى، وإلى الآن لم يظهر. وأهل السنة يقولون: نحن ننتظر «المَهْدِى» ولم يظهر بعد، وليس مختفيا. واتفاق اليهود والنصارى والشيعة وأهل السنة هو على أمرين: الأول: أن المهدى اسمه محمد. والثانى: أنه من نسل إسماعيل عليه السلام. ثم يفترقون على التصريح وعدم التصريح. وهذا يدل على أن عقيدة المهدى قد دخلت فى المسلمين عن طريق أهل الكتاب.

والواقع التاريخى لا يشهد بصحة أحاديث المَهْدِى.

فقد روى مسلم عن أبى هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا؛ نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لا تخلى بينكم وبين الذين هم إخواننا فيقاتلونهم فيهزم الثلث لا يتوب الله عليهم أبداً، ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله، ويفتح الثلث لا يفتتنون أبداً فيفتحون القسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم وقد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم فى أهلكم؛ فيخرجون. وذلك باطل، فإذا جاءوا الشام؛ خرج فبينما هم يعدون للقتال ويسوون الصفوف. إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى بن مريم فأمّهم فإذا رآه عدو الله؛ ذاب كما يذوب الملح فى الماء. فلو تركه لذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه فى حربته»

انظر إلى قوله: «فيفتحون القسطنطينية؛ فبينما هم يقتسمون الغنائم...» وارجع إلى كتب التواريخ هل تجد فيها أن عيسى بن مريم قد ظهر هو والمسيح الدجال عند قسمة الغنائم؟ إن القسطنطينية قد فتحت وقسمت غنائمها. وإلى هذا اليوم ينتظر أهل السُّنة المسيح الدجال وعيسى بن مريم. وفى بعض كتبهم: أن المهدى هو عيسى. وعلى أن المهدى هو عيسى؛ يلزم أن الأحاديث ضعيفة؛ لأن المهدى لم يظهر حال قسمة الغنائم. وهم إلى هذا اليوم ينتظرونه.

فتح الأندلس:

وقد فتح المسلمون فى الصدر الإسلامى الأول مدينة «الأندلس» ومدن الساحل

الإفريقى. مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب، وعبروا مضيق جبل طارق. وأسسوا مدنا عظيمة. منها قرطبة وإشبيلية وبلنسية. والقائد الفاتح طارق بن زياد - رضى الله عنه - معروف جهاده فى الإسلام فى هذه الفتوحات.

وجاء فى كتب أهل السنة عن المهدى:

وروى من حديث معاوية بن أبى سفيان فى حديث فيه طول، عن النبى ﷺ أنه قال: «ستفتح بعدى جزيرة تسمى بالأندلس فيتغلب عليهم أهل الكفر، فيأخذون من أموالهم وأكثر بلادهم ويسبون نساءهم وأولادهم ويهتكون الأستار ويخربون الديار ويرجع أكثر البلاد فيافى وقفاراً، وتنجلى أكثر الناس عن ديارهم وأموالهم. فيأخذون الجزيرة ولا يبقى إلا أقلها، ويكون فى المغرب الهرج والخوف، ويستولى عليهم الجوع والغلاء، وتكثر الفتنة ويأكل الناس بعضهم بعضاً، فعند ذلك يخرج رجل من المغرب الأقصى من أهل فاطمة بنت رسول الله ﷺ وهو المهدى القائم فى آخر الزمان وهو أول أشراط الساعة» أ.هـ.

وقد تم فتح الأندلس فى الصدر الأول للإسلام، ولم يخرج المهدى، ولم تقم القيامة. وقد مر على هذا الفتح أكثر من ثلاثة عشر قرنا من الزمان.

* * *

ومما يدل على معرفة الرواة بحقيقة «المهدى» وحقيقة «الدابة»:

هو قولهم: إن «المهدى» سيكون فى «مكة المكرمة» عند الكعبة البيت الحرام، وإن «الدابة» ستكون فى «مكة المكرمة» عند الكعبة البيت الحرام. ففى تفسير القرطبى:

«واختلف من أى موضع تخرج، فقال عبد الله بن عمر: تخرج من جبل الصفا بمكة، يتصدع فتخرج منه. قال عبد الله بن عمرو؛ نحوه . وقال: لو شئت أن أضع قدمى على موضع خروجها لفعلت. وروى فى خبر عن النبى ﷺ: «إن الأرض تنشق عن الدابة وعيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون من ناحية المسعى وأنها تخرج من الصفا فتسم بين عينى المؤمن؛ هو مؤمن. سمة كأنها كوكب درى. وتسم بين عينى الكافر؛ نكتة سوداء .كافر» أ.هـ.

وما هى حقيقة «المهدى»؟ وما هى حقيقة «الدابة»؟

إن «المهدى» هو النبى الأمى الآتى إلى العالم ليوصِّل القول لبنى إسرائيل. وما هو القول الذى سيوصله إليهم؟هو: « فيكلمهم بكل ما أوصيه به» فى هذه النبوءات: « أقيم

لهم: نبيا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامى فى فمه؛ فيكلمهم بكل ما أوصيه به . . . إلخ» [تث١٨: ١٥ ـ ٢٢]

وهل فى كتب أهل الكتاب ما يدل على أن بنى إسرائيل يطلقون لقب «المهدى» على النبى الآتى وأتباعه والصالحين من علمائهم؟

أ ـ بدء إنجيل فيلبُّس هو: «الرجل العبرانى ينجب أولادا عبرانيين. وهؤلاء الناس يلقبون بالمهديين. والمهدى لا ينجب مهديين. وقد أتى بعض الناس إلى الوجود عن طريق الإنجاب. وهؤلاء ينجبون أولادا، وبعض الناس يكتفون بأنهم قد أتوا إلى العالم، ولا يفكرون فى إنجاب نسل»

ب ـ وفى إنجيل نيقود يموس: «ونحن لم نصدق هؤلاء المهديين والتلاميذ الملتصقين به أكثر من غيرهم. ونادى بيلاطس على أناس، وكياس. وقال لهم: من هم المهديون؟ فأجابوا: إنهم كانوا من أولاد اليونان، والآن هم يهود» ـ نحن لسنا مهديين، وإنما نحن من أبناء اليهود»

*****

قتال يأجوج ومأجوج
ومعـــركة هرمَجَدّون
والمهْـــــدِى المنتظــر

وعند النصارى سِفر يسمى بسفر الرؤيا، يقولون: إن كاتبه هو يوحنا كاتب الإنجيل. ويقولون: إنه رموز ورؤى أحلام. ومكتوب فيه:

النص من ترجمة دار المشرق:

«ورأيت ثلاثة أرواح خبيثة، مثل الضفادع، خارجة من فمّ التنين ومن فم الوحش، ومن فم النبى الكذاب. فهى أرواح شيطانية تأتى بالخوارق وتذهب إلى ملوك المعمور كله. تجمعهم للحرب. فى ذلك اليوم العظيم. يوم الله القدير (هاءنذا آت كالسارق. فطوبى للذى يسهر ويحفظ ثيابه؛ لئلا يسير عريانا؛ فترى عورته) فجمعتهم فى المكان الذى يقال له بالعبرية هَرمَجدّون. وصب السابع كوبه فى الجو، فخرج من الهيكل صوت جهير، أتى من عند العرش. وكان يقول: قضى الأمر. وحدثت بروق وأصوات ورعود، وحدث زلزال شديد لم يحدث مثله بهذه الشدة، منذ وجد الإنسان على الأرض، وصارت المدينة العظيمة ثلاثة أقسام، وانهارت مدن الأمم»[رؤ ١٦: ١٣ ـ ١٩]

وفى تفاسيرهم: أن هذه المعركة ستكون فى ظهور «المسيح الرئيس» الذى يلقبه اليهود بالمهْدِى المنتظر. وفى تفاسيرهم: أن معركة هَرمَجَدّون: هى نفسها معركة يأجوج ومأجوج. وظهور المسيح الدجال الذى هو محمد فى نظرهم؛ سيكون فى أيام يأجوج ومأجوج.

كأن اليهود يريدون أن يقولوا: إن النبى الأمى الآتى على مثال موسى، الملقب بلقب «المسيح الرئيس» ويلقب «المهْدِى» سيظهر لقتال الروم؛ لأنه هو الذى سيزيلها طبقا لنبوءة دانيال فى الأصحاح السابع، وسيفتح بلاد يأجوج ومأجوج.

وكأنّ النصارى يريدون أن يقولوا: إن هذا النبى الأمى الآتى، الملقب بلقب «المسيح الرئيس» وهو فى زعمنا يسوع المسيح؛ سيأتى ليسلّم الملك إلى الله الآب، عقب هذه المعركة التى سيكون «المسيح الدجال» طرفا فيها. وسينهى الحياة الدنيا؛ ليؤسس ملكوته فى السماء. والرواة الذين بثوا هذه العقائد فى المسلمين. وضعوا فى الروايات: حرب الروم على يد المهْدِى؛ ليعرفوا أهل الكتاب بغرضهم. وذلك لأنهم يعرفون أن محمدا سيزيل الدولة الرومانية، من سفر دانيال. ومن هذه الروايات:

«لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق، أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة، من خيار أهل الأرض يومئذ. فإذا تصافُّوا؛ قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سَبَوْا منا؛ نقاتلهم. فيقول المسلمون: لا. والله. لا نخلى بينكم وبين إخواننا. فإذا جاءوا الشام[1]. خرج. أى الدجال. فبينما هم يُعِدُّون للقتال، يسوون الصفوف. إذ أقيمت الصلاة؛ فينزل عيسى بن مريم عليه السلام»

لاحظ:

١ ـ خروج الجيش من «المدينة المنورة» يثرب.

٢ ـ وأن المعركة فى فلسطين. مع الروم. واليهود معهم. والنصارى على مذهب أهل الروم.

٣ ـ وإذا وصل جيش المهدى إلى الشام، خرج المسيح الدجال.

٤ ـ وأثناء تسوية الصفوف للقتال؛ ينزل عيسى بن مريم عليه السلام.

وكل هذا تم فى فتح المسلمين لفلسطين فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه. وكل مسلم هو نائب عن النبى ﷺ وقائم مقامه.

ويريد الراوى أن يجمع الحقائق كلها فى رواية واحدة. وعلى كل فريق أن يعرف منها رأيه.

١ ـ فخروج الجيش من «يثرب» مع المهدى. هذا للنصارى؛ ليعرّفوا أتباعهم بظهور محمد ﷺ.

٢ ـ إذا وصل جيش المهدى، يخرج الدجال. هذا للنصارى بحسب اعتقاد النصارى فى النبى محمد ﷺ يريدون أن يؤكدوا على ظهوره فى ذلك الزمان، بحسب اعتقادهم فيه.

٣ ـ ينزل عيسى بن مريم عليه السلام. هذا للنصارى، بحسب اعتقادهم أن النبى الأمى هو عيسى.

٤ ـ قتال المسلمين للروم. هذا للمسلمين. طبقا لنبوءات دانيال. وفيها أن الذى سيزيل المملكة الرابعة التى هى مملكة الروم؛ هو محمد ﷺ وقد أيد القرآنُ الواقع، والنبوءة؛ موجودة فى أول سورة الروم.

---

(١) يقصد بجاءوا الشام: المهدى المنتظر.

ويقدر المسلمون على معرفة الحق فى ما قلنا: من تصريح النصاوى بأن الأدلة على ظهور المسيح الدجال ـ فى نظرهم ـ هى من قول عيسى عليه السلام فى الإنجيل: «الحق أقول لكم: لا يمضى هذا الجيل، حتى يكون هذا كله. السماء والأرض تزولان، ولكن كلامى لا يزول» [متى ٢٤]

اقرأ من أول سؤال الحواريين عن زمن خراب الهيكل وأورشليم وانقضاء دهر الملك والنبوة فى بنى إسرائيل. إلى آخر العلامات التى بين أنها ستكون من قبل الخراب. وأن الخراب سيكون على يد ابن الإنسان صاحب ملكوت السموات. وفى حديثه هذا: طبق نبوءة دانيال عن الممالك الأربعة على محمد ﷺ وقال: إنه من قبل ظهوره، سينتشر الإنجيل فى العالم شهادة لهم وللأمم وستحدث أوبئة وزلازل من قبل ظهوره، وسينتشر الإنجيل فى العالم شهادة لهم وللأمم وستحدث أوبئة وزلازل ومجاعات، وسيساق أتباعه وهم مضطهدون أمام ولاة وملوك، وسيقوم مسحاء كذبة، ثم بعد ذلك يأتى المنتهى ويبصرون ابن الإنسان آتيا على سحاب السماء. كناية عن تعظمه وارتفاعه.

وعلى ذلك. فقول النصارى: إن معركة هرمجدون هى التى جاء عنها فى الإنجيل عن «ابن الإنسان» فى متى ٢٤ هو قول صحيح. ولكن قولهم: إن المعركة لم تظهر بعد، وإنها ستكون عند انتهاء الحياة الدنيا هو قول باطل. لأن القتال مع الروم قد تم ووقع فى بدء ظهور الإسلام كما أنبأ دانيال، والمسيح عيسى عليه السلام. وقال مؤرخو النصارى: أن البطريرك صفرنيوس لما رأى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى أورشليم. قال: لقد تمت فى شخصه نبوءة دانيال.

وفى تفسير الكنز الجليل: «هرمجدون: أى جبل مجدون. وهو جبل مجاور يزرعيل، المعروف اليوم بمرج ابن عامر: [قض ٤: ١٢ و١٤] اشتهر فى تاريخ الإسرائليين بالوقائع العظيمة. وأشهرها ما كان فى أيام قيادة دبورة وباراق. بدليل: ما جاء فى سفر القضاة. وهو قوله: «حينئذ حارب ملوك كنعان فى تعنك على مياه مجدّو» [قض ٥: ١٩] ولا نعلم أى حرب سُمّى بها: إنما نعلم أنه يشير إلى وقائع قوية وهلاك سريع للمحاربين»

وفى قاموس الكتاب المقدس للدكتور بطرس عبد الملك. بعدما ذكر ما فى تفسير الكنز الجليل: «وتقع مجدو فى مرج ابن عامر. وزاد فى قيمتها الاستراتيجية: أنها كانت على خط المواصلات بين القسمين الشمالى والجنوبى من فلسطين، وأنها كانت على طريق الفاتحين المصريين وغيرهم من الفاتحين»

عمر أمة اليهود:

وقد جاء فى بعض الكتب: أن موسى عليه السلام كان قبل عيسى عليه السلام بنحو ألف وخمسمائة وإحدى وسبعين سنة، وأن عمر أمة اليهود ينتهى بظهور أمة النصارى. وأن عمر أمة النصارى مقدر بستمائة سنة. وهذا باطل. فإن النصارى لا عمر لأمتهم، ولا زمن لدولتهم. وذلك لأنهم طائفة من اليهود بنى إسرائيل. وهم واليهود أمة واحدة. بنص القرآن. فقد بين أن عيسى لم ينسخ الناموس ولم ينقضه. فيكون عمر اليهود ٢٤٤١ سنة. وقد بينا فى كتابنا نقد التوراة: أن تواريخ التوراة مشكوك فيها وليس من اتفاق على عمر الآباء فى السامرية والعبرانية واليونانية، وأن عمر يهوذا ودينا ويوسف وجميع الأسباط متناقض مع العقل. والنصوص متعارضة فى بيان الأعمار.

وجاء فى بعض الكتب الإسلامية إن عمر أمة الإسلام تزيد على الألف. ولا تبلغ الزيادة خمسمائة أصلا.

ومعنى هذا:

١ - أنه إذا كان عمر اليهود ٢٤٤١ + ١٥٠٠ = ٣٩٤١ يكون عمر المسلمين على جهة التقريب ثلاثة آلاف وتسعمائة وإحدى وأربعون سنة.

٢ - أو لا داع للكلام فى عمر اليهود. ويكون عمر المسلمين ١٥٠٠ تقريبا.

وكل ذلك باطل. وبيان ذلك:

أولا: أن كل ما فى التوراة والإنجيل عن المعركة الفاصلة بين اليهود والمسلمين هو فى قتال المسلمين لأهل الروم. وقد تمت المعركة فى حينها، فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

ومن الأمثلة التى ضربها عيسى عليه السلام لملكوت السموات، الذى أسسه عمر رضى الله عنه:

«فإن ملكوت السموات يشبه بإنسان رب بيت خرج فى الصباح الباكر ليستأجر عمالاً لكَرْمه، واتفق مع العمال على أن يدفع لكل منهم ديناراً فى اليوم، وأرسلهم إلى كرمه، ثم خرج نحو الساعة التاسعة صباحاً، فلقى فى ساحة المدينة عمالاً آخرين بلا عمل، فقال لهم: اذهبوا أنتم أيضاً. ونحو الساعة الثانية عشرة ظهراً، ثم نحو الثالثة بعد الظهر، أرسل مزيداً من العمال إلى كرمه، ونحو الساعة الخامسة بعد الظهر، خرج أيضاً فلقى عمالاً آخرين فقال: اذهبوا أنتم أيضاً إلى كرمى.

وعندما حل المساء، قال رب الكرم لوكيله: ادع العمال وادفع الأجرة مبتدئا

بالآخرين ومنتهياً إلى الأولين، فجاء الذين عملوا من الساعة الخامسة وأخذ كل منهم ديناراً، فلما جاء الأولون ظنوا أنهم سيأخذون أكثر، ولكن كل واحد منهم نال ديناراً واحداً، وفيما هم يقبضون الدينار تذمّروا على ربّ البيت قائلين: هؤلاء الآخرون عملوا ساعة واحدة فقط، وأنت قد ساويتهم بنا نحن الذين عملنا طوال النهار تحت حر الشمس! فأجاب واحداً منهم: يا صاحبي، أنا ظلمتك؟! ألم تتفق معى على دينار؟ خذ ما هو لك وامض فى سبيلك، فأنا أريد أن أعطى هذا الأخير مثلك. أما يحق لى أن أتصرف بمالى كما أريد؟ أم عينك شريرة لأننى أنا صالح؟ فهكذا يصير الآخرون أولين والأولون آخرين»[متى ٢٠: ١ـ١٦]

ثانيا: إن اليهود والنصارى يشككون فى زمان هذه المعركة الحقيقى بأنها ستحدث فى هذا الزمان الذى أؤلف فيه هذا الكتاب. وذلك؛ للغو فى نبوة محمد ﷺ وذلك لأن أتباعهم يسألون عن هذه المعركة. وهم لا يريدون لهم الشك فى الكتاب.

ثالثا: إن عمر أمة الإسلام طويل جدا، ونحن فى بدئه. ولن ينتهى إلا بعد مرور ملايين من السنين أو بلايين، يقدرها علماء الجيولوجيا والفلك.

رابعا: جاء فى القرآن الكريم عن إفساد بنى إسرائيل وعلوهم الكبير فى أرض فلسطين: أن واحدة ستظهر فى سنة ١٩٦٧م طبقا لما قضى به فى كتاب دانيال. وقد ظهرت. وأن المرة الآخرة ستظهر بعد أزيد من ألف سنة ـ طبقا لما فى كتاب دانيال.

خامسا: جاء فى القرآن الكريم أنه لن تقوم القيامة إلا بعد دخول الإسلام فى جميع بلاد العالم ﴿ليظهره على الدين كله﴾ وهذا لم يتم بعد. وسيتم بعد ملايين وبلايين من السنين.

* * *

وأذكر نص تعليق الآباء اليسوعيين على كلام حزقيال فى يأجوج ومأجوج وسيظهر منه الارتباط بينه وبين معركة هرمجدون؛ وهو:

«بعد ان استوفى النبى كلامه على مُلك الكنيسة المحفوف بالسلام يذكر هنا الحروب التى ستندفع عليها فى آخر الزمن فيعبر عن ذلك بتعديد شعوب يأتون من كل أوب يتحالفون على إسرائيل ويزحفون لقتالهم فى عدد لا يُحصى. وفى مقدمتهم جوج ملك مأجوج فيضربهم الرب ضربة هائلة ويقرضهم عن آخرهم فيسقطون بجملتهم فى موضع يسمى وادى العابرين فى شرق البحر الميّت ما وراء تخم إسرائيل. وأمّا جوج ومأجوج فلا شك أن مأجوج اسم بلادٍ أو شعبٍ فى الشمال وجوج كلمة بلسان أولئك

الشعب بمعنى قائد أو ملك. وهى كلها ألفاظٌ رمزية تشير إلى أعداء الكنيسة وما سيقع لها معهم. على ما سنوضحهُ. وما حاولهُ بعضهم من تطبيق هذه النبوءة على سقوط الكلدانيين أو جيش كمبيز وانطيوكس الشهير لا يوافقهُ التاريخ. وفى كلام حزقيال ما يعارضهُ. والصحيح فى ذلك ما قدمناه. ويؤيدهُ: ما أورده يوحنا فى رؤياهُ (٢٠: ٧ ـ ١٠) من إيضاح هذه النبوءة والنصّ على أنها لا تتمّ إلاّ فى مُنتهى الدهر. والذى ذهب إليه القديس أوغسطينس وأجمع عليه أكثر معلّمى الكاثوليك أن جوجًا رمزٌ إلى شخص الدجال أو إلى كبير وزرائه وإسرائيل رمزٌ إلى الكنيسة. والمراد بكون الوادى الذى تقع فيه هذه المقتلة من وراء البحر الميّت: الإشارة إلى أنها تحدث فى خارج الأرض المقدسة فى موضع مُبتذَل» أ. هـ.

.. لاحظ:

أن المعركة فى منتهى الدهر.

ما معنى «منتهى الدهر»؟

ليس المراد به انتهاء الحياة الدنيا. وذلك لأن «ابن الإنسان» سيأتى ليؤسس ملكوته الذى سينزع من اليهود إلى أمة أخرى تعمل أثماره. والدهر دهران. دهر الملك والنبوة فى بنى إسرائيل. ودهر الملك والنبوة فى بنى إسماعيل. لأنهما بركتان وأمّتان وشعبان. لكل منهما مدّة من الدهر. وغرضه من منتهى الدهر: هو انقضاء دهر بركة بنى إسرائيل، وظهور محمد ﷺ ببركة بنى إسماعيل عليه السلام. وهذا هو معنى قول الكاثوليك: «والصحيح فى ذلك: ما قدمناه. ويؤيده: ما أورده يوحنا فى رؤياه ٢٠: ٧ ـ ١٠ من إيضاح هذه النبوءة، والنص على أنها لا تتم إلا فى منتهى الدهر» أ. هـ وكل ذلك يؤكد ما قلناه فى أن هَرْمجدون Armageddon أى جبل الوادى فى فلسطين. هى المعركة التى تمت بين المسلمين وبين الروم فى زمان عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه وأرضاه[1].

ونص كلام يوحنا هو: «ثم متى تمت الألف سنة، يَحلُّ الشيطان من سجنه، ويخرج ليضل الأمم، الذين فى أربع زوايا الأرض. يأجوج ومأجوج. ليجمعهم للحرب، الذين عددهم مثل رمل البحر. فصعدوا على عرض الأرض، وأحاطوا بمعسكر القديسين وبالمدينة المحبوبة؛ فنزلت نار من عند الله من السماء وأكلتهم. وإبليس

(١) راجع فتح الملك العلام فى البشائر بدين الإسلام.
ـ البشارة بنبى الإسلام فى التوراة والإنجيل. ـ اقتباسات كتاب الأناجيل من التوراة. ـ المسيا المنتظر.

الذى كان يضلهم؛ طرح فى بحيرة النار والكبريت. حيث الوحش والنبى الكذاب. وسيعذبون نهار وليلا، إلى أبد الآبدين» [رؤ ٢٠:٧ - ١٠]

والسؤال ههنا هو: ما هى المناسبة لذكر الوحش والنبى الكذاب عند ذكر معركة هرمجدون؟

وقال مؤلف كتاب عمر أمة الإسلام كلاما يشبه كلامنا، هو ناقله من كتب أهل الكتاب. وهو غير عارف بمعناه. ونذكر منه ما يتعلق بغرضنا. ونحيل فى فهم معناه إلى كتاب فتح الملك العلام وكتاب البشارة وكتاب المنيا. يقول ما نصه:

«متى بالضبط ستكون هذه الحرب؟

والإجابة: الله أعلم.

أهل الكتاب - أو كثير منهم - يقولون: إن هذه المواجهة لابد أن تكون قبل سنة ٢٠٠٠ ميلادية. أى فى غضون ثلاث سنوات، لأنهم ينتظرون مُخلّصاً أو مسيحا يأتيهم أو ينزل إليهم لخلاصهم.

أما اليهود فينتظرون هذا المخلّص أو الملك الملهم ويُسمونه (مَسِيًّا) Messiah والذى يقودهم لزعامة العالم وهم يُؤَقّتون لذلك زمناً معيناً فيزعمون أنه إبريل ١٩٩٨، أى بعد خمسين سنة (جيل)[1] من قيام دولة إسرائيل. وفى هذا التوقيت؛ سيقام المسيح الكذاب[2] بواسطة أتباعه فى الهيكل الجديد (هيكل سليمان) ويقدم مع رئيس الكهنة ذبيحة المحرقة ويلتف أتباعه حول الذبيحة مصلين لله وسائلينه أن يرسل عليها ناراً من السماء فتحرقها، كعلامة على قبول قربانهم ويمكثون هناك سبعة أيام لا يُلْتَفتُ إليهم. ومن الملاحظ أن أعياد الشرائع الثلاثة - الإسلام واليهودية والنصرانية - والخاصة بالذبح ستجتمع كلها فى النصف الأول من إبريل ١٩٩٨م. فعيد الأضحى للمسلمين سيكون

---

(١) يقول مؤلف عمر أمة الإسلام:

«جاء ذلك فى بحث بعنوان (نظرات فى سفر دانيال) للأنبا ديسقورس ما نصه: (ظهور دولة إسرائيل ثم ظهور المسيح الكذاب.. أوضح الرب المسافة الزمنية بقوله: «الحق أقول لكم: لا يمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله..» إنجيل متى ٢٤، ٣٥، ٣٤.. نزمن ظهور المسيح الكذاب يساوى زمن ظهور دولة إسرائيل الحديثة + ٥٠ سنة (مايو ٤٨ + ٥٠ سنة = أبريل ١٩٩٨) أهـ.

(٢) يطلق النصارى لفظ (المسيح الكذاب) أو (معصية الخراب) أو (رجسة الخراب أو Anti Christ على مخلص اليهود أو ملكهم الذى ينتظرونه، ويقولون إنه بادعائه الربوبية سيكون سبباً لخراب العالم [مؤلف عمر أمة الإسلام]

من ٥ ـ ٨ أبريل، وعيد الفصح موعده من ١٠ ـ ١٧ أبريل ١٩٩٨م، فهذا التوقيت ـ أبريل ١٩٩٨م ـ عند اليهود هو زمن ظهور مسيحهم أو مخلصهم الذى سيقودهم للخلاص من الأمم الفاسدة ـ بزعمهم ـ أو ﴿الأميين﴾ على حد تعبير القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ .

أما النصارى فينتظرون نزول المسيح من السماء عند الحرب المدمرة القادمة (هرمجدون) ويكون ذلك. بزعمهم ـ إنه فى خريف ٢٠٠١م فإذا نزل فإنه ـ بزعمهم ـ سيرفع أتباعه فوق السحاب حتى لا يعانوا أهوال تلك الحرب المدمرة فهو نازل لتطويب الصالحين . أى أتباعه» أ. هـ.

* * *

وهذا هو نص دانيال الذى يتكلم فيه عن خراب أورشليم على يد المسلمين فى معركة هرمجدون. وعن سنة ميلاد محمد ﷺ ومن بعده نص كلام عيسى عليه السلام الذى استدل فيه بكلام دانيال عن الخراب:

١ ـ نص دانيال:

«فى السنة الأولى لداريوس بن أحشويروش من نسل المادين، الذى مُلّك على مملكة الكلدانيين فى السنة الأولى من ملكه. أنا دانيال فهمت من الكتب عدد السنين التى كانت عنها كلمة الرب إلى إرميا النبى لكمالة سبعين سنة على خراب أورشليم فوجهت وجهى إلى الله السيد طالبا بالصلاة والتضرعات بالصوم والمسح والرماد وصليت إلى الرب إلهى واعترفت وقلت: أيها الرب الإله العظيم المهوب حافظ العهد والرحمة لمحبيه وحافظى وصاياه. أخطأنا وأثمنا وعملنا الشر وتمردنا عن وصاياك وعن أحكامك. وما سمعنا من عبيدك الأنبياء الذين باسمك كلموا ملوكنا ورؤساءنا وآباءنا وكل شعب الأرض. لك يا سيد البرّ. أما لنا فخزى الوجوه. كما هو اليوم لرجال يهوذا ولسكان أورشليم ولكل إسرائيل القريبين والبعيدين فى كل الأراضى التى طردتهم إليها من أجل خيانتهم التى خانوك إياها. يا سيد لنا خزى الوجوه. لملوكنا لرؤسائنا ولآبائنا لأننا أخطأنا إليك. للرب إلهنا المراحم والمغفرة لأننا تمردنا عليه. وما سمعنا صوت الرب إلهنا لنسلك فى شرائعه التى جعلها أمامنا عن يد عبيده الأنبياء. وكل إسرائيل قد تعدى على شريعتك وحادوا لئلا يسمعوا صوتك. فسكبت علينا اللعنة والحلف المكتوب فى شريعة موسى عبد الله لأننا أخطأنا إليه. وقد أقام كلماته التى تكلم بها علينا وعلى قضاتنا الذين قضوا لنا ليجلب علينا شرا عظيما . ما لم يجر تحت السموات كلها كما

أجرى على أورشليم، كما كتب فى شريعة موسى قد جاء علينا كل هذا الشر ولم نتضرع إلى وجه الرب إلهنا لنرجع من آثامنا ونفطن بحقك. فسهر الرب على الشر وجلبه علينا لأن الرب إلهنا بار فى كل أعماله التى عملها إذ لم نسمع صوته. والآن أيها السيد إلهنا الذى أخرجت شعبك من أرض مصر بيد قوية، وجعلت لنفسك اسما. كما هو هذا اليوم قد أخطأنا عملنا شرا. يا سيد حسب كل رحمتك اصرف سخطك وغضبك عن مدينتك أورشليم جبل قدسك إذ لخطايانا ولآثام آبائنا صارت أورشليم وشعبك عارا عند جميع الذين حولنا. فاسمع الآن يا إلهنا صلاة عبدك وتضرعاته وأضىء بوجهك على مقدسك الخرب. من أجل السيد. أمل أذنك يا إلهى واسمع. افتح عينيك وانظر خربنا والمدينة التى دعى اسمك عليها لأنه لا لأجل برنا نطرح تضرعاتنا أمام وجهك بل لأجل مراحمك العظيمة. يا سيد اسمع. يا سيد اغفر. يا سيد اصغ واصنع. لا تؤخر من أجل نفسك يا إلهى لأن اسمك دعى على مدينتك وعلى شعبك.

وبينما أنا أتكلم وأصلى وأعترف بخطيتى وخطية شعبى إسرائيل وأطرح تضرعى أمام الرب إلهى عن جبل قدس إلهى وأنا متكلم بعد بالصلاة إذا بالرجل جبرائيل الذى رأيته فى الرؤيا فى الابتداء مطار، واغفا،لمسنى عند وقت تقدمة المساء. وفهمنى وتكلم معى وقال: يا دانيال إنى خرجت الآن لأعلمك الفهم. فى ابتداء تضرعاتك خرج الأمر وأنا جئت لأخبرك لأنك أنت محبوب. فتأمل الكلام وافهم الرؤيا: سبعون أسبوعا قُضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية وتتميم الخطايا ولكفارة الإثم وليؤتى بالبر الأبدى ولختم الرؤيا والنبوة ولمسح قدوس القدوسين. فاعلم وافهم أنه من خروج الأمر لتجديد أورشليم وبنائها إلى المسيح الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعا يعود ويبنى سوق وخليج فى ضيق الأزمنة. وبعد اثنين وستين اسبوعا يقطع المسيح وليس له. وشعب رئيس آت يخرب المدينة والقدس وانتهاؤه بغمارة وإلى النهاية حرب وخرب قضى بها. ويثبت عهدا مع كثيرين فى أسبوع واحد وفى وسط الأسبوع يبطل الذبيحة والتقدمة. وعلى جناح الأرجاس مخرب حتى يتم ويصب المقضى على المخرب» [دا ٩]

٢ ـ نص كلام عيسى عليه السلام؟

الأصحاح الرابع والعشرون من متى:

«ثم خرج يسوع ومضى من الهيكل. فتقدم تلاميذه لكى يروه أبنية الهيكل. فقال لهم يسوع: أما تنظرون جميع هذا؟ الحق أقول لكم: إنه لا يترك ههنا حجر على حجر

لا ينقض. وفيما هو جالس على جبل الزيتون تقدم إليه التلاميذ على انفراد قائلين: قل لنا متى يكون هذا؟ وما هى علامة مجيئك وانقضاء الدهر؟ فأجاب يسوع وقال لهم: انظروا لا يضلكم أحد. فإن كثيرين سيأتون باسمى قائلين: أنا هو المسيح ويضلون كثيرين. وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب. انظروا لا ترتاعوا . لأنه لابد أن تكون هذه كلها. ولكن ليس المنتهى بعد. لأنه تقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل فى أماكن. ولكن هذه كلها مبتدأ الأوجاع. حينئذ يسلمونكم إلى ضيق ويقتلونكم، وتكونون مبغضين من جميع الأمم لأجل اسمى، وحينئذ يعثر كثيرون ويسلمون بعضهم بعضا ويبغضون بعضهم بعضا. ويقوم أنبياء كذبة كثيرون ويضلون كثيرين. . ولكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين. ولكن الذى يصبر إلى المنتهى؛ فهذا يخلص. ويكرز ببشارة الملكوت هذه فى كل المسكونة شهادة لجميع الأمم. ثم يأتى المنتهى. فمتى نظرتم رجسة الخراب التى قال عنها دانيال النبى قائمة فى المكان المقدس. ليفهم القارىء. فحينئذ ليهرب الذين فى اليهودية إلى الجبال. والذى على السطح فلا ينزل ليأخذ من بيته شيئا. والذى فى الحقل فلا يرجع إلى ورائه ليأخذ ثيابه. وويل للحبالى والمرضعات فى تلك الأيام. وصلوا لكى لا يكون هربكم فى شتاء ولا سبت. لأنه يكون حينئذ ضيق عظيم لم يكن مثله منذ ابتداء العالم إلى الآن ولن يكون. ولو لم تقصر تلك الأيام لم يخلص جسد. ولكن لأجل المختارين تُقصر تلك الأيام. حينئذ إن قال لكم أحد: هوذا المسيح هنا أو هناك؛ فلا تصدقوا. لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضا. ها أنا قد سبقت وأخبرتكم. فإن قالوا لكم: ها هو فى البرية. فلا تخرجوا. ها هو فى المخادع فلا تصدقوا. لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر إلى المغارب؛ هكذا يكون أيضا مجئ ابن الإنسان. لأنه حيثما تكون الجثة فهناك تجتمع النسور. وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس والقمر لا يُعطى ضوءه والنجوم تسقط من السماء وقوات السموات تتزعزع. وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان فى السماء. وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض.

ويبصرون ابن الإنسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير. فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت. فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء السموات إلى أقصائها. فمن شجرة التين تعلموا المثل. متى صار غصنها رخصا وأخرجت أوراقها تعلمون أن الصيف قريب. هكذا أنتم أيضا متى رأيتم هذا كله.

فاعلموا: أنه قريب على الأبواب. الحق أقول لكم : لا يمضى هذا الجيل ، حتى

يكون هذا كله. السماء والأرض تزولان ولكن كلامى لا يزول. وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات إلا أبى وحده. وكما كانت أيام نوح كذلك يكون أيضا مجىء ابن الإنسان. لأنه كما كانوا فى الأيام التى قبل الطوفان يأكلون ويشربون ويتزوجون ويزوجون إلى اليوم الذى دخل فيه نوح الفلك. ولم يعلموا حتى جاء الطوفان وأخذ الجميع. كذلك يكون أيضا مجىء ابن الإنسان. حينئذ يكون اثنان فى الحقل. يؤخذ الواحد ويترك الآخر. اثنتان تطحنان على الرحى. تؤخذ الواحدة وتترك الأخرى. اسهروا إذاً لأنكم لا تعلمون فى أية ساعة يأتى ربكم. واعلموا هذا: أنه لو عرف رب البيت فى أى هزيع يأتى السارق؛ لسهر ولم يدع بيته ينقب. لذلك كونوا أنتم أيضا مستعدين لأنه فى ساعة لا تظنون يأتى ابن الإنسان. فمن هو العبد الأمين الحكيم الذى أقامه سيده على خدمه ليعطيهم الطعام فى حينه. طوبى لذلك العبد الذى إذا جاء سيده يجده يفعل هكذا. الحق أقول لكم: إنه يقيمه على جميع أمواله. ولكن إن قال ذلك العبد الردئ فى قلبه: سيدى يبطىء قدومه. فيبتدىء يضرب العبيد رفقاءه ويأكل ويشرب مع السكارى. يأتى سيد ذلك العبد فى يوم لا ينتظره وفى ساعة لا يعرفها. فيقطعه ويجعل نصيبه مع المرائين. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان» [متى٢٤]

البيان:

١ ـ يحدد دانيال انتهاء زمن النبوة والملك فى بنى إسرائيل بقوله: «سبعون أسبوعا قُضيت على شعبك، وعلى مدينتك المقدسة؛ لتكميل المعصية،وتتميم الخطايا، ولكفارة الإثم، وليؤتى بالبِرِّ الأبدى، ولختم الرؤيا والنبوة، ولمسح قدوس القدوسين .. » الخ.

ويقول النصارى: إن الذى سيأتى بالبر الأبدى. هو المسيح عيسى عليه السلام لا محمد ﷺ وقولهم باطل . وذلك لأن عيسى عليه السلام من شعب بنى إسرائيل.

٢ ـ ويحدد المسيح عيسى عليه السلام انتهاء زمن النبوة والملك فى بنى إسرائيل؛ بقوله: «إنه لا يُترك ههنا حجر على حجر؛ لا يُنقض» ثم شرع فى ذكر أحداث تحدث فى العالم، ومن بعدها يظهر النبى الذى به ينتهى زمن النبوة والملك فى بنى إسرائيل. ومنها: قيام حروب بين الأمم، وحدوث مجاعات وأوبئة وزلازل، واضطهاد اليهود والأمم لأتباع عيسى المسيح، وظهور أنبياء كذبة، وانتشار الإنجيل فى العالم شهادة لجميع الأمم. «ثم يأتى المنتهى. فمتى نظرتم رجسة الخراب التى قال عنها دانيال النبى قائمة فى المكان المقدس»

إنه استدل على زوال الرؤيا والنبوة فى بنى إسرائيل؛ بكلام دانيال. وبين أن أزمنة الأمم التى قال دانيال إنها ستنتهى فى مجىء «ابن الإنسان» صاحب «ملكوت» السموات ستنتهى إذا ظهر الملكوت، وأزمنة الأمم هى ١ ـ زمان مملكة بابل ٢ ـ زمان مملكة فارس

٣ ـ زمان مملكة اليونان ٤ ـ زمان مملكة الرومان. وكل أمة كانت وثنية تعبد الأصنام، كانت تحارب اليهود عباد الله رب العالمين .. وإذا كمل زمان الأمم الوثنية، يظهر بعد كمال زمانها مملكة لله على الأرض على يد النبى الأمى الآتى على مثال موسى عليه السلام.

٣ ـ وقبل أن يحدد عيسى عليه السلام انتهاء زمن النبوة والملك فى بنى إسرائيل بقليل. قال لعلماء بنى إسرائيل: «ما تظنون فى المسيح»؟ أى ما هو اعتقادكم فى المسيح الرئيس «ابن من هو؟» أى من أى نسل سيأتى؟ أمن اليهود أم من بنى إسماعيل؟ فقالوا له: من اليهود من نسل داود.

ورد عليهم بقوله: لو كان من اليهود لما قال داود عليه السلام: إنه سيده . لأن النسل القائم بالبركة كلهم سادة. وإذا انتهت البركة من اليهود، وتسلمها بنو إسماعيل؛ فإن بنى إسماعيل سيكونون هم السادة. ولذلك قال داود عن النبى الآتى إنه سيده؛ لأنه سيكون من بنى إسماعيل. وداود والمسيح عيسى ـ عليهما السلام ـ يعلمان أن لإسماعيل بركة منصوص عليها فى سفر التكوين .

ولذلك اتفقا على أن النبى الآتى سيكون منه، وسيكون سيدا ورئيسا على كل نسل إبراهيم. فقد جاء فى إنجيل متى: «وفيما كان الفريسيون مجتمعين؛ سألهم يسوع قائلا: ماذا تظنون فى المسيح؟ ابن من هو؟ قالوا له: ابن داود. قال لهم: فكيف يدعوه داود بالروح ربا، قائلا: «قال الرب لربى: اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك. يرسل الرب قضيب عزك من صهيون. تسلط فى وسط أعدائك. شعبك منتدب فى يوم قوتك . فى زينة مقدسة. من رحم الفجر؛ لك طل حداثتك..» [مزمور ١١٠: ١ ـ]

وفى تعليق الكتاب المقدس دار الكتاب المقدس فى الشرق الأدنى على هذا النص: قال الرب = وحى الرب. قال الرب لربى = قال الرب لسيدى.

والسؤال المطلوب إجابته من أهل الكتاب هو: لماذا قال داود عن النبى الآتى إنه سيده؟ ألا يدل بسيده على انتهاء البركة فى بنى إسرائيل؟

*****

المهـــدى المنتظر

والمسيح الرئيس

بين

المسلمين واليهود

ألف شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية كتابا حسنا أسماه «هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى» وذكر فيه نبوءة التوراة - التى هى الأسفار الخمسة - عن النبى الأمى الآتى على مثال موسى عليه السلام وهى: «يقيم لك الرب إلهك: نبيا من وسطك من إخوتك مثلى له تسمعون. . .الخ» وطبقها على محمد ﷺ ببيان حسن. ولأن كتب تفاسير التوراة فى زمانه لم تكن من الكثرة كما فى زماننا هذا؛ لم يتنبه إلى أن اليهود والنصارى يُطلقون على هذا النبى الذى تتكلم عنه هذه النبوءة، لقب «المسيح الرئيس» بحسب لسان بنى إسرائيل فى التعبير عن النبى والعالم والملك. دلالة على أنه مصطفى من الله لأداء رسالة سامية. وتنبه العلماء فى زماننا هذا إلى أن «المسيح الرئيس» الذى ينتظره اليهود إلى هذا اليوم هو محمد ﷺ من كتب تفسير التوراة، ومن إنجيل برنابا، ومن كتب تفاسير الأناجيل الأربعة. ولعدم انتباهه؛ فرق بين «النبى الأمى» وبين «المسيح الرئيس» المنتظر. وقال: إن النبى الأمى هو محمد ﷺ وأن «المسيح» لم يأت بعد فى نظر اليهود، وهو عيسى بن مريم عليه السلام فى نظر المسلمين.

يقول فى كتابه «إغاثة اللهفان»: «ومن تلاعبه بهم: أنهم ينتظرون قائما من ولد داود النبى. إذا حرك شفتيه بالدعاء، مات جميع الأمم. وأن هذا المنتظر؛ هو المسيح، الذى وُعدوا به. وهم فى الحقيقة إنما ينتظرون مسيح الضلالة. الدجال؛ فهم أكثر أتباعه، وإلا فمسيح الهدى؛ عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام يقتلهم، ولا يبقى منهم أحدا»[1]

ذلك هو قوله. وصحته: هو أن اليهود العبرانيين ينتظرون قائما من ولد داود. وأن هذا المنتظر هو المسيح بلغتهم، وهو محمد بلغة أهل الإسلام. وقد وُعدوا به. ولما ظهر لم يؤمنوا به. وعدم إيمانهم به مع انتظاره؛ يدل على أن المنتظر لن يأتى. وإذا ظهر إنسان وادعى أنه هو؛ فإنه يكون مسيحا دجالا.

وليس مسيح الهدى هو عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام. فإنه هو محمد وقد

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ج٢ ص ٣٣٢.

جاء حسبما بشر به المسيح عيسى بن مريم.

هذا هو الصحيح.

ولأن النصارى زعموا: أن المسيح الرئيس، وهو النبي الأمي، وهو الهادي والمهدي؛ قد جاء. وهو عيسى بن مريم، فإنه لا يظهر من النصارى من يزعم أنه «المهدي» أو «المسيح» أو «النبي» لأن من عقائدهم: أن المهدي هو نفسه المسيح الرئيس، وهو نفسه النبي الأمي وقد جاء. ولأن اليهود فتحوا باب النبوة، ولم يقفلوه. بقولهم: نحن إلى اليوم في انتظار النبي الأمي، الذي هو المهدي، وهو نفسه المسيح الرئيس؛ فإنه سيظهر من اليهود في أجيال كثيرة من يزعم أنه «المسيح الرئيس» ولأن اليهود قد بثوا عقيدتهم هذه في أهل الإسلام، وقبلوها؛ فإنه سيظهر من المسلمين في أجيال كثيرة من يزعم أنه «المهدي»

انظر في تاريخ بني إسرائيل؛ تجد كثيرين قد ظهروا، وكل واحد يزعم أنه «المسيح الرئيس» وكتب السموءل بن يحيى في كتابه «بذل المجهود في إفحام اليهود» عن واحد منهم كلاما كثيرا. وانظر في تاريخ أهل الإسلام؛ تجد كثيرين قد ظهروا، وكل واحد يزعم أنه «المهدي المنتظر» وهذا يدل على دخول هذه العقيدة في أهل الإسلام من اليهود؛ لغرض اللغو في نبوة محمد ﷺ

ومما تقوله الشيعة الإمامية في المهدي:

أن الإمام الثاني عشر. وهو محمد بن الحسن العسكري. المولود سنة مائتين وست وخمسين من الهجرة. دخل في سرداب بمدينة «سر من رأى» - التي هي سامراء - وهو في الخامسة من عمره، وانقطع عن الشيعة. وعيّن واحدا من أتباعه، يكون واسطة بينه وبينهم في نقل الرسائل وتبليغ الأوامر. ولما مات هذا الوسيط عيّن غيره وغيره وغيره. أربعة علماء على التوالي هم: عثمان بن سعيد وابنه محمد. وأبو القاسم الحسن بن روح، وأبو الحسن علي بن محمد السمري. وبعد موت الرابع؛ انقطعت الوسائط. ويسمعون مدة الوسائط بمدة الغيبة الصغرى. والمدة من موت الرابع إلى ظهور المهدي تسمّى بالغيبة الكبرى.

ومما جاء في كتب التاريخ عن «المهدي»:

١ - محمد بن الحنفية. قيل: إنه المهدي. وتوفي سنة ٨١هـ.

٢ - محمد النفس الزكية. قيل: إنه المهدي كان في سنة ١٥٤هـ.

٣ ـ عبد الله بن ميمون القداح. توفى سنة ٣٢٢هـ.

٤ ـ محمد بن تومرت. توفى سنة ٥٢٤هـ.

٥ ـ الحسن بن زكرويه القرمطى ٢٩١هـ.

٦ ـ قرمط. وكان فى مدة خلافة المعتمد العباسى فى الكوفة.

٧ ـ على بن محمد .كان فى البصرة سنة ٢٥٥هـ.

٨ ـ الجيلى النصيرى. ظهر فى سنة ٧١٧هـ.

٩ ـ محمد المهدى السنوسى. ظهر فى بلاد المغرب سنة ١٢٥٣ هـ.

١٠ ـ محمد أحمد المهدى السودانى. وخليفته التعايشى. فى العصر الحديث.

١١ ـ محمد بن عبد الله القحطانى. فى المملكة العربية السعودية وخليفته؛ جيهمان بن سيف العتيبى سنة ١٤٠٠هـ.

ومن ذلك يعلم: أن العقائد الفاسدة؛ تحدث الشر فى الأرض.كما قال تعالى: ﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه، والذى خبث لا يخرج إلا نكدا﴾

*****

الفصل الخامس
يأجوج ومأجوج

مما جاء عن يأجوج ومأجوج فى الكتب الإسلامية:

أنهم سيخرجون فى أيام عيسى - عليه السلام - بعد قتله المسيح الدجال: فيهلكهم الله ببركة دعائه فى ليلة واحدة. ومعنى هذا الذى هو فى الكتب: أن الذى سيفتح بلاد يأجوج ومأجوج هم المسيحيون، لا المسلمون. أتباع محمد ﷺ ومعنى هذا أيضا: أن النبى المنتظر الملقب من اليهود بلقب «المسيح الرئيس» هو عيسى عليه السلام. وعلى هذين المعنيين يكون الغرض من وضع علامات الساعة فى الكتب الإسلامية هو اللغو فى نبوة محمد ﷺ لأنه جاء فى التوراة: أنه فى أول أيام ظهور النبى الأمى المماثل لموسى؛ سيفتح الله على يديه بلاد يأجوج ومأجوج، وسيملك على أهلها، وسينشر فيها دين الإسلام. وقد جاء فى القرآن الكريم عن ذلك: ﴿حتى إذا فُتحت يأجوج ومأجوج. وهم من كل حدب ينسلون. واقترب الوعد الحق﴾ أى اقترب وعد الله بفتحها على يد النبى الأمى محمد ﷺ وهذا الوعد المعلوم والمعهود والمعروف. مكتوب فى التوراة فى سفر حزقيال. وقد اقترب تحققه. وقد تحقق على يد الصحابة الأجلاء فى بدء ظهور الإسلام. وكل واحد منهم هو نائب عن النبى ﷺ

* * *

وأنقل أولا بعض ما جاء فى الكتب عن يأجوج ومأجوج: الذين هم من ولد «يافث» بن نوح النبى عليه السلام. وهو:

ذكر الله يأجوج ومأجوج فى آيتين: الأولى فى سورة الكهف، والثانية فى سورة الأنبياء. قال الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ أ. هـ.

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾

---

(١) جاء فى الكتب مسيخ بالخاء المعجمة وجاء أيضا مسيح بالحاء المهملة. وليس فى كتب اليهود والنصارى مسيخ بالخاء المعجمة. بل مسيح بالحاء المهملة.

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾

وفي التفسير في قصة ذي القرنين وخبر بنائه للسد: أنه من حديد ونحاس بين جبلين، فصار ردماً واحداً، وقال: ﴿هذا رحمة من ربي﴾: أن يحجز بين هؤلاء القوم المفسدين في الأرض وبين الناس،، فإذا جاء وعد ربي أي الوقت الذي قدر انهدامه فيه؛ جعله دكاً. أي مساوياً للأرض، ﴿وكان وعد ربي. حقا﴾ أي هذا شيء لابد من كونه، ﴿وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض﴾ يعني بذلك يوم انهدامه، يخرجون على الناس فيمرحون فيهم وينسلون، أي يسرعون المشي من كل حدب، ثم يكون النفخ في الصور للفزع قريباً من ذلك الوقت. كما قال في الآية الأخرى في سورة الأنبياء: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾

وفي حديث زينب بنت جحش: «أن رسول الله ﷺ نام عندها ثم استيقظ محمراً وجهه. وهو يقول: لا إله إلا الله. ويل للعرب من شر قد اقترب. فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه. وحلّق بين أصابعه» وفي رواية: وعقد سبعين أو تسعين. قال: قلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ فقال: نعم إذا كثر الخبث» أ. هـ.

- وأخرج ابن ماجة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن يأجوج ومأجوج يحفران كل يوم، حتى إذا كادوا يردون شعاع الشمس. قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء الله، فيرجعون إليه وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشفون الماء، ويتحصن الناس منهم في حصونهم، فيرمون سهامهم إلى السماء. فيرجع إليها الدم، الذي احتفظ. فيقولون: قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء. فيبعث الله نغفا في أقفائهم فيقتلون. قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إن دواب الأرض تسمن وتشكر شكراً من كثرة ما تأكل من لحومهم»

- وعن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تفتح يأجوج

ومأجوج، فيخرجون كما قال الله تعالى: ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ ينفش الناس وينحازون عنهم إلى مدائنهم وحصونهم ويضمون إليهم مواشيهم، فيشربون ويشربون مياه الأرض، حتى أن بعضهم ليمر بذلك النهر، فيقول: «قد كان ههنا ماء مرّة»، حتى إذا لم يبق من الناس أحداً، إلا أخذ فى حصن أو مدينة، قال قائلهم: هؤلاء أهل الأرض، قد فرغنا منهم، بقى أهل السماء: قال: ثم يهز أحدهم حربته، ثم يرمى بها إلى السماء، فترجع إليهم مخضبة وماء البلاد والفتنة، فبينما هم على ذلك إذ بعث الله عليهم داء فى أعناقهم كنغف الجرا الذى يخرج فى أعناقه، فيصبحون موتى لا يسمع لهم حس، فيقول المسلمون: ألا رجل يشرى لنا نفسه فينظر ما فعل هذا العدد؟ قال فينجرد رجل فيهم محتسباً نفسه، قد أوطنها على أنه مقتول، فينزل فيجدهم موتى بعضهم على بعض، فينادى: يا معشر المسلمين ألا أبشروا؟ إن الله قد كفاكم عدوكم، فيخرجون من مدائنهم وحصونهم، ويسرحون مواشيهم فما يكون لها مرعى إلا لحومهم فتشكر عنهم فاحش ما شكرت عن شىء من النبات أصابته؟»! هـ.

- وعن عمرو بن حرملة عن خالته، قالت: خطب رسول الله ﷺ وهو عاصب إصبعه من لدغة عقرب فقال: «إنكم تقولون لا عدو لكم، إنكم لا تزالون تقاتلون عدواً حتى يخرج يأجوج ومأجوج عراض الوجوه صغار العيون صهب. من كل حدب ينسلون. كأن وجوههم المجان المطرقة» أ. هـ.

قال ابن كثير معقباً: «قلت: يأجوج ومأجوج طائفتان من الترك من ذرية آدم عليه السلام كما ثبت فى الصحيح، يقول الله تعالى يوم القيامة: «يا آدم فيقول: لبيك وسعديك فينادى بصوت: ابعث بعث النار فينادى بصوت ابعث بعث النار فيقول: كم؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسع وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة، فيومئذ يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها، فيقال: أبشروا، فإنه فى يأجوج ومأجوج لكم فداء»

وفى رواية فيقال: إن فيكم أمتين ما كانتا فى شىء إلا كثرتاه، يأجوج ومأجوج ثم هم من حواء عليها السلام وقد قال بعضهم: من آدم لا من حواء. وذلك أن آدم احتلم فاختلط منيه بالتراب فخلق الله من ذلك الماء يأجوج ومأجوج وهذا مما لا دليل عليه ولم يرد عن من يجب قبول قوله من هذا. والله تعالى أعلم.

وهو من ذرية نوح عليه السلام، من سلالة يافث أبى الترك وقد كانوا يعيشون فى الأرض ويؤذون، فحصرهم ذو القرنين فى مكانهم داخل السد، حتى يأذن الله

بخروجهم على الناس . فيكون من أمرهم ما ذكرنا فى الأحاديث.

قال كعب الأحبار: «إن يأجوج ينقرون بمناقرهم السد حتى إذا كادوا يخرجوا قالوا: نرجع إليه غداً، وقد عاد كما كان، فإن بلغ الأمر الذى على بعض أن يقولوا: نرجع إن شاء الله غداً فنفرغ منه.

قال: فيرجعون إليه وهو كما تركوه فيخرقونه ويخرجون، فيأتى أولهم البحيرة فيشربون ما فيها من ماء، ويأتى أوسطهم عليها فيلمسون ما كان فيها من طين، ويأتى آخرهم فيقولون: قد كان لنا ههنا ماء ثم يرون نبياً لهم نحو السماء فيقولون: قد قهرناهم فى الأرض وظهرنا على من فى السماء. قال: فيصب الله عليهم دواب يقال لها النغف فيأخذ فى أقفائهم فيقتلهم النغف حتى تنتن الأرض من ريحهم، ثم يبعث الله عليهم طيراً فتنقل أبدانهم إلى البحر فيرسل الله السماء أربعين، فتنبت الأرض حتى إن الرمانة لتشبع السكن. قيل لكعب: وما السكن؟ قال: أهل البيت، قال: ثم يسمعون الصيحة» أ. هـ.

قال العلامة ابن كثير عن صفة يأجوج ومأجوج:

«وهم يشبهون الناس كأبناء جنسهم من الأتراك المخروقة عيونهم الزلف أنوفهم الصهب شعورهم على أشكالهم وألوانهم، ومن زعم أن منهم الطويل الذى كالنخلة السحوق أو أطول، ومنهم القصير الذى هو كالشىء الحقير، ومنهم من له أذنان يتغطى بإحداهما ويتوطىء بالأخرى، فقد تكلف ما لا علم له به، وقال ما لا دليل عليه.

وقد ورد فى حديث: «أن أحدهم لا يموت حتى يرى من نسله ألف إنسان» والله أعلم بصحته» أ. هـ.

هذا ويكون خروجهم أيام عيسى بن مريم عليه السلام بعد قتله المسيح الدجال فيهلكهم الله ببركة دعائه فى ليلة واحدة» أ. هـ.

المناقشة :

أولا : إن الله تعالى قال عن إسماعيل وإسحق ـ عليهما السلام ـ : ﴿ وباركنا عليه وعلى إسحق ﴾ أى أن الله قسم بركة إبراهيم على إسماعيل وإسحق ثم قال عن إسماعيل خاصة : ﴿ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ﴾ وقال عن محمد الآتى للبركة ﴿ إنه حميد مجيد ﴾ . البركة : هى أن يكون فى نسل إسحق مُلك على الأمم والشعوب ؛ ليمكنوا لشريعة الله التى ينزلها على نبى

من النسل. وهى شريعة واحدة تظل مع النسل، يفتح بها البلاد ويمكن لها. إلى أن تظهر بركة النسل الآخر. وكل بركة لها بداية ونهاية. ونهاية البركة الأولى هى بداية للبركة الأخرة.

وقد بدأت بركة بنى إسحق من نبى الله موسى. فقد أنزل عليه التوراة. ومن حين نزولها ابتدأ ملك بنى إسحق فى العالم. فقد ملكوا على سيناء فى أيام موسى، وملكوا على فلسطين فى أيام طالوت وداود، وملكوا على اليمن فى أيام سليمان. ويستمر ملكهم إلى ظهور محمد ﷺ وظهوره هو آخر أيام بركتهم، وهو نفسه أول أيام بركة بنى إسماعيل به. ففى التوراة: «وقال الله لإبراهيم: وأثمرك كثيرا جدا، وأجعلك أمما، وملوك منك يخرجون» [تك ١٧ : ٦] - «وهؤلاء هم الملوك الذين ملكوا فى أرض أدوم، قبلما ملك ملك لبنى إسرائيل» [تك: ٣٦: ٣٢] أى تحقق الوعد بملك نسل إبراهيم على الأمم - «وأقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك، فى أجيالهم عهدا أبديا» [تك ١٧ : ٧] - «وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه. وأثمره وأكثره كثيرا جدا» - «بإسحق يدعى لك نسل، وابن الجارية أيضا؛ سأجعلك أمة؛ لأنه نسلك»

وإذا ظهر النبى الأمى المماثل لموسى من بنى إسماعيل؛ فإنه سيفعل مثلما كان يفعل موسى. وسيفعل قومه، كما كان يفعل قوم موسى. وقد بين التاريخ ذلك. فقد ملك بنو إسماعيل أرض سيناء، وفلسطين واليمن، ويستمر ملكهم إلى يوم القيامة على شريعة محمد ﷺ

وفى القرآن الكريم: أن محمدا ﷺ فتح بلاد الكفر وحكم أهلها بشريعته، وأن الفتح سيستمر إلى يوم القيامة، إلى أن يدخل الناس فى دين الله أفواجا. وفتح أى بلد من بلاد الكفار هو نقمة ومصيبة على قوم، وهو نعمة ومنّة على قوم. فهلاك المحاربين فى أرض المعركة ليصدوا عن الدين هو نقمة ومصيبة. ودخول من بقى فى البلد فى دين الإسلام هو نعمة ومنة. وفى هذا المعنى يقول الله تعالى: **﴿وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا. كان ذلك فى الكتاب مسطورا﴾** أى وإن من قرية كافرة إلا نحن مهلكو رئيسها وجندها الصادّين فيها عن الدين. وإن نحن أهلكنا الكافرين، فإن الباقين ينجون ويدخلون فى دين الله أفواجا.

وفى التوراة هذا المعنى. عن أورشليم، وعن بنى عمون، وعن موآب، وعن سعير، وعن فلسطين، وعن صور، وعن صيدون، وعن مصر، وعن جوج، وعن ماجوج. وكل هذه المدن حاربها بنو إسماعيل وفتحوها على دين الإسلام. وما يزال الإسلام فيها إلى هذا اليوم. وقد عبر الله عن فتح بلاد يأجوج ومأجوج - الذين هم

الروس . فى أيامنا هذه، وأصل الروس من إيران ـ بقوله تعالى: ﴿حتى إذا فُتحت يأجوج ومأجوج﴾ اى فتح بنو إسماعيل بلادهم وملكوها على شريعة القرآن الكريم. وقد جاء الفتح فى القرآن الكريم بهذا المعنى: ومن ذلك ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾ ـ ﴿إذا جاء نصر الله والفتح. ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا؛ فسبح بحمد ربك، واستغفره. إنه كان توابا﴾ ـ ﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا﴾ وفى كتب التفاسير والحديث والسيرة والفقه تجد: باب فتح خيبر ـ باب فتح مكة ـ الفتوحات الإسلامية . . وهكذا.

* * *

ويدء حديث التوراة عن فتح بلاد يأجوج ومأجوج على يد المسلمين هو:

«وكان إلىّ كلام الرب قائلا: يا ابن آدم. اجعل وجهك على جوج أرض ماجوج. رئيس روش. ماشك وتوبال. وتنبأ عليه. وقل: هكذا قال السيد الرب: هأنذا عليك ياجوج. رئيس روش. ماشك وتوبال. . .»[حز ٣٨: ١ـ٣] .

وفى ترجمة:

«وكانت إلىّ كلمة الرب قائلا: يا ابن الإنسان. اجعل وجهك نحو جوج؛ فى أرض ماجوج. رئيس وقائد ماشك وتوبل، وتنبأ عليه» [حز ٣٨ ـ ١ ـ ٢]

وفى ترجمة:

«وكانت إلى كلمة الرب قائلا: يا ابن البشر اجعل وجهك نحو جوج أرض ماجوج رئيس رُوش وماشَك وتوبل. وتنبأ عليه. وقل هكذا قال السيد الرب: هاءنذا إليك ياجوج رئيس جوج وماشك وتوبل»

ويضع المترجم فى أسفل الصحيفة كلمة «أوراس» مكان «روش» وفى نفس السفر، يستبعد النبى الكاتب له. أمة بنى إسرائيل من السير أمام الله والجهاد فى سبيله، ويقول: إن أمة أخرى ستخلفها فى السير أمام الله. ذلك قوله: «وأنت أيها النجس الشرير رئيس إسرائيل الذى قد جاء يومه، فى زمان إثم النهاية. هكذا قال السيد الرب. انزع العمامة. ارفع التاج. هذه لا تلك. ارفع الوضيع، وضع الرفيع. منقلبا. منقلبا. منقلبا أجعله. هذا أيضا لا يكون، حتى يأتى الذى له الحكم؛ فأعطيه إياه» [حز ٢١: ٢٥ ـ ٢٧]

وقد وضع المترجم فى هامش الصفحة علامة (م) على قوله: «الذى له الحكم» ورمز إليه برمز هو [مز ٢: ٦ و٧٢: ٧و١٠]

أ ـ والمزمور الثانى هو نبوءة عن محمد ﷺ وفيه: «أما أنا فقد مسحت ملكى على صهيون جبل قدسى. . اسألنى فأعطيك الأمم ميراثا لك، وأقاصى الأرض ملكا لك. تحطمهم بقضيب من حديد. مثل إناء خزاف تكسرهم. .» [مز ٢: ٦ ـ]

ب ـ والمزمور ٧٢ هو نبوءة عن محمد ﷺ وفيه: «يشرق فى أيامه الصدّيق، وكثرة السلام إلى أن يضمحل القمر. ويملك من البحر إلى البحر، ومن النهر إلى أقاصى الأرض. أمامه تجثو البرية، وأعداؤه يلحسون التراب. ملوك ترشيش والجزائر يرسلون تقدمة. ملوك شبا وسبإ يقدمون هدية. . .» [مز ٧٢: ٧ ـ ١٠]

وقد رمز المترجم عند ذكره نبوءة يعقوب إلى أن لها صلة بنبوءة حزقيال هذه. فقد وضع على كلمة «شيلون» رقم ٢ وكتب فى أسفل الصفحة: «أى أمان. وعند البعض معناها: «الذى له» انظر حز ٢١: ٢٧» أهـ.

ونبوءة يعقوب عليه السلام عن محمد ﷺ هى:

«لا يزول قضيب من يهوذا، ومشترع من بين رجليه، حتى يأتى شيلُون. وله يكون خضوع شعوب. رابطا بالكرمة جحشه، وبالجفنة ابن أتانه. غسل بالخمر لباسه، وبدم العنب ثوبه. مسود العينين من الخمر، ومبيض الأسنان من اللبن»(1) [تك ٤٩: ١٠ ـ ١٢].

---

(1) كتّاب أسفار الأنبياء فهموا من قوله: «رابطا بالكرمة جحشه، وبالجفنة ابن أتانه، غسل بالخمر لباسه، وبدم العنب ثوبه. . . الخ» أن هذا القول يدل على كثرة الخيرات ووفرة المال فى زمان «شيلون» الذى هو «المسيح الرئيس» والذى هو محمد رسول الله ﷺ. فلذلك كتبوا فى أسفار الأنبياء عن كثرة الخيرات ووفرة المال كثيرا من النصوص. وعمدتهم فيما كتبوا: هو كتاب موسى. ومن هذه النصوص:

١ ـ «تكون حفنة برّ فى الأرض فى رءوس الجبال؛ تتمايل مثل لبنان ثمرتها، ويزهرون من المدينة مثل عشب الأرض» [مز ٧٢: ١٦].

٢ ـ «عوضا عن الشوك ينبت سرو، وعوضا عن القريس يطلع آس» [إش ٥٥: ١٣].

٣ ـ «لأنه تتحول إليك ثروة البحر، ويأتى إليك غنى الأمم» [إش ٦: ٥]

وكتبوا عن السلام والأمن:

١ ـ «عوضا عن النحاس آتى بالذهب، وعوضا عن الحديد آتى بالفضة وعوضا عن الخشب بالنحاس، وعوضا عن الحجارة بالحديد، وأجعل وكلاءك سلاما وولاتك برا. لا يُسمع بعد ظلم فى أرضك، ولا خراب أو سحق فى تخومك، بل تسمين أسوارك خلاصا، وأبوابك تسبيحا. لا تكون لك بعدُ الشمس نورا فى النهار، ولا القمر ينير لك مضيئا، بل الرب يكون لك نورا أبديا، وإلهك زينتك. لا تغيب بعد شمسك وقمرك لا ينقص؛ لأن الرب يكون نورا أبديا وتكمل أيام نوحك، وشعبك كلهم أبرار. إلى الأبد يرثون الأرض غصن غرسى عمل يدى؛ لأتمجد. الصغير يصير ألفا. والحقير أمة قوية. أنا الرب فى وقته أسرع به. روح السيد الرب علىّ؛ لأن الرب مسحنى؛ لأبشر المساكين، أرسلنى لأعصب منكسرى القلب. . .» [إش. ٦: ١٧ ـ]

يريد أن يقول: إن الملك على الأمم لن يزول من اليهود، وإن الشريعة التى من جلها كان الوعد بالملك، ستظل معهم إلى أن يأتى «شيلون» ويفتح البلاد ويملك عليها بالشريعة الجديدة، وتخضع الشعوب لشريعته.

ثم كنّى عن كثرة الخيرات فى أيام شريعة شيلون بقوله: إن الجحش الذى من عادة الناس أن يطعموه عشب الأرض ومرعاها؛ سيطعمونه أوراق العنب وسيسقونه عصير العنب. من كثرته. وأن الجحش سيطعمونه من الثريد؛ كناية عن كثرته. والخمر الغالية الثمن ستكون مثل الماء فى الرخص، بلا سعر. حتى أن الناس من كثرتها ورخص ثمنها يغسلون بها ثيابهم كالماء. كناية عن الرخاء. ومن كثرة عصير العنب المصفى وأنه كالماء بلا ثمن، سيغسل الناس به أثوابهم. وسيكون قوى الجسم وستطول أيامه وسيتنعم بصحته، وكنى عن ذلك ببياض الأسنان. أى أنها قوية لا تمتنع عن طعام شهى حلال.

ويقول اليهود العبرانيون: إن «شيلون» سيأتى من سبط يهوذا، من نسل داود. وهو إلى الآن لم يأت. ويقول النصارى بقولهم. وغيروا نسب عيسى عليه السلام من هرون من جهة أمه مريم - رضى الله عنها - إلى داود من جهة خطيب أمه. وهو يوسف النجار. وقالوا: إن «شيلون» هو عيسى.

ويقول السامريون: إنه سيأتى من سبط يوسف. وهم جميعا ليسوا على الحق. وذلك لأن ما بعد «حتى» مغاير لما قبلها. وهو يقول: بعدم زواله إلا فى مجىء شيلون. وعليه فإنه إذا جاء شيلون؛ يكون الملك قد زال. وحيث لإسماعيل بركة؛ فإن النبى الآتى الملقب بشيلون؛ يكون منه. وهذا كله يمنع من ظهور «شيلون» من اليهود. والنصارى طائفة من اليهود.

* * *

يقول القس عبد الأحد داود الأشّورى - الذى هداه الله إلى الإسلام - ما نصه:

«إن الترجمة السريانية للكتاب المقدس [البشيتا Peshitta] ترجمت كلمة «شايلوه» إلى «الشخص الذى يخصه الصولجان والتشريع» أى الذى يمتلك السلطة وحق التشريع وتخضع له الأمم.

فمن يكون هذا السلطان والمشرع العظيم؟

قطعًا ليس موسى، لأنه كان أول منظم لقبائل إسرائيل الاثنى عشر ولم يكن قبله أى ملك أو نبى من سبط يهوذا أصلاً. وحتمًا ليس داود؛ لأنه كان أول نبى من نسل يهوذا نفسه. كما أنه ليس عيسى المسيح؛ لأنه أعلن بنفسه أن المسيح الذى تنتظره

إسرائيل لن يكون من نسل داود (إنجيل متى ٢٢/ ٤٤ ـ ٤٥، مرقس ١٢/ ٣٥ ـ ٣٧، لوقا ٢٠/ ٤١ ـ ٤٤) أضف إلى ذلك: أن عيسى لم يترك تشريعًا مكتوبًا ولم يفكر بسلطان دنيوى قط وعلى العكس فقد نصح اليهود أن يخلصوا لقيصر ويدفعوا له الضريبة، وفى إحدى المناسبات حاولت الجماهير أن تنصبه ملكًا؛ لكنه تنصل منها واختفى، وكان إنجيله محفوظًا فى قلبه وقد بَلَّغَ (البشارة السارة) (الإنجيل) شفاهةً وليس كتابةً. علمًا أنه لم يبطل شريعة موسى بل أعلن صراحة أنه قدم لتحقيقها، كما أنه لم يكن آخر الأنبياء.

غير أن محمدًا ﷺ جاء بالسلطة الدنيوية وبالقرآن. يحلان محل الصولجان اليهودى المهترىء والشريعة القديمة غير العملية. وأعلن أنقى الأديان وتوحيد الإله الحق، ووضع أفضل القواعد العملية لأخلاق وسلوك البشر ووحّد بالإسلام أممًا كثيرة لا تشرك بالله شيئًا حتى صارت تطيعه وتحبه وتحترمه ولكنها لا تعبده ولا تقدسه ولا تجعله إلهًا. وقد سحق محمد آخر معاقل اليهود فى قريظة وخيبر ووضع نهاية لنفوذهم.

إن المعنى الثانى لكلمة شايلوه Shiloh ينصبّ أيضًا لصالح محمد، وهو يعنى هادىء مسالم أمين وديع. ومن الحقائق المعروفة جيدًا فى تاريخ نبىّ بلاد العرب أنه كان قبل البعثة كثير الهدوء والمسالمة ومحلاً للثقة مما جعل أهل مكة يسمونه (محمد الأمين) وعندما خلع عليه أهل مكة هذا اللقب لم تكن لديهم أدنى فكرة عن (شايلوه) بهذا المعنى. ومن الإعجاز: أن الرسالة نزلت على العرب الوثنيين الأميين لكى يواجهوا اليهود المتعلمين الذين كان لديهم كتابات مقدسة يعرفون محتوياتها تمامًا.

أما المعنى الثالث لاسم شايلوه Shiloh الذى قد يكون تحريفًا لـ «شِلواح (Shiluah) فإنه يتطابق مع لقب النبى العربى الذى يتكرر كثيراً فى القرآن وهو (الرسول) الذى يعنى بالضبط ما تعنيه (شِلواح) أى رسول وأن «شِلواح إلوهيم» بالعبرية تعنى بالضبط (رسول الله) وهو ما يتكرر فى نداء المؤذن خمس مرات كل يوم عندما يُنادى للصلاة من جميع مآذن العالم.

وأيًا من المعانى تختار لتفسير نبوءة يعقوب؛ فإننا مضطرون بحكم تحققها جميعًا فى محمد؛ أن نسلم: بأن اليهود ينتظرون عبثًا مجىء شايلوه آخر، وأن النصارى مصرون على خطئهم فى الاعتقاد أن عيسى كان هو المقصود بشايلوه.

وثمة نقاط فى النبوءة تستحق التفكير:

أولا: من الواضح أن السلطة والتشريع سيظلان فى سبط يهوذا طالما أن شايلوه لم

يظهر. وبما أن اليهود يدّعون أن شايلوه لم يظهر حتى الآن؛ فيفترض أن تكون كُلٌ من السلطة الدنيوية والخلافة النبوية موجودتين لدى سبط يهوذا فى حين أنهما انقرضتا منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنًا.

وثانياً: بما إن قبيلة (سبط) يهوذا انقرضت ومعها السلطة الدنيوية والخلافة النبوية. فاليهود مضطرون أن يقبلوا واحداً من خيارين: إما التسليم بأن شايلوه قد جاء من قبل دون أن يتعرف عليه أجدادهم أو أن يقروا أن قبيلة يهوذا التى يعتقدون أن شايلوه سينحدر منها؛ لم تعد موجودة.

وثالثاً: إن نبوءة يعقوب تعنى بصورة واضحة (ومعاكسة تمامًا للاعتقاد المسيحى اليهودى) أن شايلوه يجب أن يكون غريبًا تمامًا عن قبيلة يهوذا، بل عن جميع القبائل الاثنا عشر. إذ تقول النبوءة بوضوح أنه عندما يجىء (شايلوه) فإن السلطة والتشريع يختفيان من سلالة يهوذا، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا إذا كان شايلوه غريبًا عن سلالة يهوذا فلو كان شايلوه منحدراً من يهوذا، فكيف يمكن أن ينقطع هذان الأمران من سلالته؟ كما لا يمكن أن يكون شايلوه منحدرًا من قبيلة أخرى من سلالة يعقوب؛ لأن الصولجان والتشريع كانا لصالح إسرائيل كلها وليس لمصلحة قبيلة واحدة» أ.هـ.

* * *

ونعود إلى سفر حزقيال فى فتح بلاد يأجوج ومأجوج فى بدء الإسلام.

ومنه يُعلم: أن الفتح علامة على صحة نبوءة محمد ﷺ يقول حزقيال لياجوج: «استعد، وهيىء لنفسك أنت وكل جماعاتك المجتمعة إليك، فصرت لها موقرا. بعد أيام كثيرة؛ يُفتقد. فى السنين الأخيرة؛ تأتى إلى الأرض المستردة من السيف، المجموعة من شعوب كثيرة على جبال إسرائيل، التى كانت دائما خربة، للذين أخرجوا من الشعوب، وسكنوا آمنين كلهم. وتصعد وتأتى كزوبعة، وتكون كسحابة تغشى الأرض. أنت وكل جيوشك وشعوب كثيرون معك»

ـ «فى الأيام الأخيرة يكون. وآتى بك على أرضى، لكى تعرفنى الأمم، حين أتقدس فيك، أمام أعينهم ياجوج» [حز ٣٨: ٧ـ]

ما معنى قوله «فى السنين الأخيرة» ـ «فى الأيام الأخيرة يكون»؟ إنه يعنى فتح بلاد يأجوج ومأجوج فى نهاية بركة إسحق عليه السلام، التى هى أول بركة إسماعيل عليه السلام، التى هى أول أيام ظهور الإسلام. وذلك لأنه رفض بنى إسرائيل من السير أمام الله بقوله: «وأنت أيها النجس الشرير رئيس إسرائيل. . . الخ»

ثم وصف هزيمة شعب يأجوج ومأجوج، فقال: «وأنت يا ابن آدم تنبأ على جوج، وقل: هكذا قال السيد الرب. هأنذا عليك ياجوج رئيس روش، ماشك وتوبال. وأردك وأقودك وأصعدك من أقاصى الشمال، وآتى بك على جبال إسرائيل. وأضرب قوسك من يدك اليسرى وأسقط سهامك من يدك اليمنى. فتسقط على جبال إسرائيل. أنت وكل جيشك والشعوب الذين معك. أبذلك مأكلا للطيور الكاسرة من كل نوع. ولوحوش الحقل. على وجه الحقل تسقط؛ لأنى تكلمت. يقول السيد الرب. وأرسل نارا على ماجوج، وعلى الساكنين فى الجزائر آمنين. فيعلمون أنى أنا الرب. وأعرّف باسمى المقدس فى وسط شعبى إسرائيل، ولا أدع اسمى المقدس يُنجس بعد. فتعلم الأمم أنى أنا الرب قدوس إسرائيل. ها هو قد أتى وصار. يقول السيد الرب. هذا هو اليوم الذى تكلمت عنه» [حز ٣٩: -]

وفى كتب التواريخ: أن محمدا ﷺ عن أمر الله هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم؛ التى هى أرض فلسطين. لأول الحشر - حشر الجنود لمعارك حربية - فى بدء ظهور محمد. لنشر الإسلام. وهو الذى فتح بلاد فارس، وساح أصحابه فيها، وهو الذى فتح بلاد الروم بلدا بلدا. وسيظل ملكه ودينه إلى نهاية الزمان.

* * *

وجاء فى القرآن الكريم: أن الإسكندر الأكبر المقدونى، الملقب بذى القرنين. كان معاصرا لقبائل يأجوج ومأجوج. ذلك قوله تعالى:

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ

﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧) قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾

والمعنى:

١ ـ أن فى رحلته الأولى نحو مغيب الشمس، وجد عندها قوما.

٢ ـ وفى رحلته الثانية نحو مطلع الشمس؛ وجدها تطلع على قوم.

٣ ـ وفى رحلته الثالثة نحو السَّدَّين، فى بلاد فارس: وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا من المترجمين؛ لأنهم لم يتعلموا لغات الأمم، بسبب بداوتهم وتخلّفهم وهم متخوفون من إغارة يأجوج ومأجوج عليهم. ولذلك طلبوا من الاسكندر: أن يقاتل قبائل يأجوج ومأجوج وأن يبنى سدا فاصلا بينهم وبين يأجوج ومأجوج. فبنى لهم السد، ثم قال من بعد بنائه: إن هذا السد لن يبقى إلى الأبد. لن يبقى إلى يوم القيامة. وإنما سيبقى إلى نهاية القوة المودعة فيه من ربى ومثال ذلك:

لو أن إنسانا بنى بيتا من الطوب اللبن ولم يبن فوقه. وآخر بنى بيتا من الطوب اللبن وبنى فوقه. فإن البيت الأول يعيش أكثر من الثانى. ودليل ذلك: ما نشاهده فى آثار القدماء؛ فإن أوتاد الفراعنة التى هى المسلات. وأيضاً الأهرامات، ما تزال باقية؛ لأنها من الحجر الصلد القوى المتين. فى حين أن بيوتا كثيرة تبنى فى أيامنا؛ تذروها الرياح. والقوى المودعة فى مواد البناء من الله؛ متفاوتة. فبعضها يجعل البناء قائما إلى مائة سنة، وبعضها إلى ألف. وإذا جاء وعد الله. أى تمت قوته التى أودعها فى مواد البناء؛ فإن المبنى يتهدّم من تلقاء نفسه. حتى لا يتساوى الخشب بالحديد، ولا يتساوى الصخر بالطوب اللبن. وذلك يعبر عنه بالعمر الافتراضى.

والنبى حزقيال ـ وقيل: إنه المسمى فى القرآن بذى الكفل ـ كان من قبل زمان الاسكندر. كان فى سبى بابل من بعد سنة ٥٨٦ ق.م وكان الإسكندر فى سنة ٣٣٣ ق.م فالإسكندر كان من بعده بما يقرب من ٢٥٣ سنة وفى أيام حزقيال كان يأجوج ومأجوج مملكة عظيمة لها شأن كبير. وتنبأ عن دخولها فى دين الله بالحرب. الدين الذى سيظهر به النبى الأمى محمد ﷺ. وقال: إن هذه الحروب ستكون فى أيام ظهوره. فى الأيام الأخيرة لبركة إسحق عليه السلام. ومعنى هذا: أن يأجوج ومأجوج والذين لا

يكادون يفقهون قولا. وكل بلاد الروس وإيران. وكل بلاد الأتراك، وما جاور هذه الممالك. كلهم سيدخلون فى دين الإسلام فى الصدو الأول للإسلام. وقد تم هذا فى حينه. فى زمان عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ

وقد حكى الله فى القرآن الكريم حكاية ذى القرنين؛ ليعقد مقارنة بين فتحه للبلاد، وفتح المسلمين للبلاد. وليؤكد على دخول مملكة يأجوج ومأجوج فى الإسلام. أما عن فتح الإسكندر؛ فإن فتوحاته كانت للملك على الأمم، وترك الأمم على أديانهم التى نشأوا عليها. وأما فتح المسلمين؛ فإن فتوحاتهم هى للملك على الأمم، وتغيير الأديان الباطلة وإزالة رسومها القبيحة. ففى القرآن عن الإسكندر أنه كان عادلا وليس ظالما. وكان يترك للبلاد المفتوحة حرية العقيدة والعبادة. انظر إلى قوله: ﴿أما من ظلم فسوف نعذبه، ثم يرد إلى ربه؛ فيعذبه عذابا نكرا﴾ إنه سيعذب الظالم. وهذا هو العدل بعينه، فى الحياة الدنيا. وأما فى الحياة الآخرة؛ فإن هذا الظالم؛ سيُردّ إلى ربه الذى يعتقد أنه هو ربه. وربه سيعذبه أيضا فى الحياة الآخرة لأن كل الأرباب فى نظر الناس العابدين لهم؛ عندهم ثواب وعقاب.

ومثل ذلك: مثل خمسة أشخاص مثلوا أمام القاضى للشهادة على أمر من الأمور، وطلب من كل واحد منهم أن يحلف اليمين على أنه سيشهد بالحق. فإن الأول. وهو كافر: سيقول: وربى أنى أشهد بكذا. وسيقول الثانى: وهو نصرانى: والله ربى. وسيقول الثالث. وهو بوذى: وربى. وسيقول الرابع. وهو يهودى: والله ربى. وسيقول الخامس. وهو مسلم: والله ربى.

لقد اتفقوا جميعا على قولهم: «ربى»

كما قال إبراهيم عليه السلام عن الكوكب: ﴿هذا ربى﴾ وعن القمر: ﴿هذا ربى﴾ وعن الشمس: ﴿هذا ربى﴾ اتفقوا فى الكلمة. واختلفوا فى المقصود منها. وهكذا قال الإسكندر الأكبر للظالم: إنه إذا مات ورجع إلى ربه الذى يعبده، سواء أكان ربه هذا، بحسب اعتقاده فيه، صنما أو كوكبا أو شخصا بشريا. فإن ربه هذا سيعذبه فى الحياة الآخرة.

والتاريخ يشهد بذلك. يشهد بأن الإسكندر كان على دين آبائه يعبد آلهة شتى، وأشاع أنه إله؛ لتهابه رعيته. وكان إذا دخل بلدا فاتحا؛ يقدم القرابين لآلهتها؛ ليوهم الناس أنه على دينهم معهم. وكان من قبل محمد ﷺ بما يقرب من ثمانمائة عام. وفى أيامه كان بنو إسرائيل لا يبشرون بدينهم. إذ قد جعلوه خاصا لهم من سبى بابل سنة ٥٨٦ ق.م.

انظر أيضا إلى قوله: ﴿ما مكنى فيه ربى، خير﴾ أى ربى الذى نشأت على عبادته أعطانى ما لا يحصى. وهو لا يعنى به؛ رب العالمين. ثم قال: ﴿هذا رحمة من ربى﴾ لذى أعبده، لا رب العالمين. وقال عن عمر السد: ﴿فإذا جاء وعد ربى؛ جعله دكاء. وكان وعد ربى حقا﴾ يريد أن يقول: إن القوة المودعة فيه بحسب الأسباب؛ لها أجل محدد. وعبر عن الأجل بوعد ربه. لأنه إذا نفد الأجل، كان نفاده مؤذنا بهدمه، حتى ولو لم ينطق بكلمة مؤذنة بهدمه. ومثال ذلك: أن الله تعالى خلق الفأر والقط والكلب والحصان. وجعل فى جسد كل؛ قوة إلى أجل. فالفأر بحسب العادة المشاهدة لا يعيش من العمر مقدار ما يعيش الحصان. وهذا يدل على أن القوة المودعة فيه من الله قليلة. وإذا ضعفت القوة؛ مات. وهكذا السد. إذا نفد عمره؛ جعله ربه الذى يعبده هو؛ قطعا قطعا. وانفصل السور الكبير إلى أجزاء أجزاء، بلا رابط. إذ الحديد الرابط. للصدأ الذى حل به؛ لم يعد رابطا. ثم وقع جزء إلى ناحية الخلف، ووقع جزء إلى ناحية الأمام. ثم رفع الناس كل الأجزاء، وعملوا شارعا منبسطا طويلا، أو بنوا مكانه أبنية، أو حفروا مكانه مجرى ماء. وسبحان من له البقاء والدوام.

وكل ذلك قد حدث من قبل الإسلام بكثير.

والقوم الذين طلبوا المساعدة من الإسكندر ﴿لا يكادون يفقهون قولا﴾ أى أنهم بدو، لا تجمعهم عاصمة ملك؛ حتى تكون لهم لغة موحدة؛ يسهل على الأمم دراستها للتفاهم بها. وهم كانوا بين إيران أصحاب الحضارات الزاهرة على مر الزمان، وبين الروس. وهم أصحاب حضارة. وقد نبغ فيهما علماء وأدباء وشعراء ومؤرخون وأصحاب ديانات وجدل وفلسفة. وكل ذلك يدل على لغة حيّة معروفة للعالم. أما الذين لا يكادون يفقهون قولا؛ فإنهم بدو رحل، رعاة أغنام ومواشى، يتنقلون من مكان إلى مكان. ويغيرون على الضعفاء. ويغير الأقوياء عليهم. وليست لبلادهم أسوار وحصون تمنعهم من المغيرين، حتى يستعدوا لهم. ولما تم بناء السد، وأصبحوا فى أمان من غارات أهل يأجوج ومأجوج؛ ترك الله الكل يومئذ يموج بعضهم فى بعض، ويعلون ويهبطون. وتقوى أمة على أمة، ومملكة على مملكة. وليس مع الكل هداة يخافون الله. إلى أن ظهر الإسلام. ونشر السلام. ومنع موج بعضهم على بعض؛ لأنه علّم الناس كل شىء.

ثم بين الله تعالى أنه لا نبى بعد محمد، ولا دين بعد القرآن بقوله: ﴿ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعا﴾ وهذا يشبه قوله تعالى: ﴿وإذا وقع القول عليهم؛ أخرجنا لهم

دابة من الأرض؛ تكلمهم: أن الناس كانوا بآيتنا لا يوقنون. ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون. حتى إذا جاءوا، قال: أكذبتم بآياتى، ولم تحيطوا بها علما، أم ماذا كنتم تعملون؟ ووقع القول عليهم بما ظلموا؛ فهم لا ينطقون﴾ ووجه الشبه: هو أن محمدا ﷺ خاتم النبيين. وختمه النبوة على الأرض؛ دليل على أن القيامة ستقوم من بعده. ولذلك قال من بعد خروجه: ﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجا﴾

* * *

حياة الاسكندر:

وأنقل ههنا من سيرته شيئا قليلا من الجزء الثانى من المجلد الثانى من قصة الحضارة - ول وايريل ديورانت - رقم ٧

كان الإسكندر تلميذا لأرسطوطاليس الفيلسوف اليونانى المشهور. وكان «فليب» يرغب فى أن يدرس ولده الفلسفة «حتى لا يفعل أشياء كثيرة من نوع الأشياء التى فعلتها أنا، والتى آسف على فعلها» كما قال فيليب نفسه، وكان يجيد كل ضروب الأفعال الرياضية. وكان يسخر من بعض أصدقائه الكثيرى الخدم، ويقول: إنهم لا يجدون ما يفعلون. ومن أقواله لهم: «عجيب أمركم وكيف لم تدلكم تجاربكم على أن من يعملون؛ ينامون نوما أعمق، من نوم من يعمل لهم غيرهم؟ وهل لا تزالون بحاجة إلى من يدلكم على أن أعظم ما نحتاجه بعد انتصارنا: هو أن نتجنب الرذائل وأسباب الضعف التى كان يتصف بها من غلبناهم على أمرهم» وقد ردّ مشهورى الطهاة الماهرين الذين عرضوا عليه المآكل اللذيذة بقوله: «إن مشى ليلة، كفيل بأن يقوى شهوته للفطور، وإن فطورا خفيفا يقوى شهوته للغداء» وهذه العادات هى التى جعلت وجهه وضاء إلى حد كبير.

وكان مولعا بجميع أنواع المعارف محبا لقراءة جميع أنواع الكتب. وقد كتب مرة إلى «أرسطو» يقول: «خير لى أن أتفوق على غيرى فى العلوم من أن أتفوق عليهم فى اتساع الملك وقوة السلطان» وكان يستمسك بالفضيلة فى «الناحية الجنسية» وكانت له زوجات كثيرات. وجاءه رجل يسمى «ثيودورس» يعرض عليه أن يبيعه غلامين بارعى الجمال؛ فطرده من مجلسه. وقد كان اشتهاره بالنبل والكرم عونا له فى حروبه.

وكانت من صفاته الغالبة عليه صفة الطموح. فقد كان وهو شاب يتبرم من انتصارات «فليب» حتى لقد شكا مرة إلى أصدقائه من أن «أباه سيفرغ من كل شىء، قبل أن نستعد نحن، ولن يترك لى أو لكم فرصة نعمل فيها شيئا عظيما خطيرا» وكان

يقود جنوده بخياله الوضاء، وفصاحته الطبيعية غير المتكلفة، واستعداده لمقاسمتهم صعابهم وأحزانهم، استعداد المخلص الوفى. وكان يفى بالعهود التى يقطعها على نفسه لقواد الجند المهزومين وللمدن المغلوبة. ولم يسمح قط لموظفيه أن يظلموا رعاياه، أو يستبدوا بهم.

ولما ارتقى الإسكندر العرش وهو فى العشرين من عمره، بعد وفاة أبيه «فيليب» ألفى نفسه على رأس دولة متصدعة. فألقى القبض على زعماء المتآمرين فى داخل البلاد وقتلهم، ثم اتجه بجيوشه جنوبا نحو بلاد اليونان سنة ٣٣٦ ق.م فبلغ «طيبة» بعد بضعة أيام، وأسرعت بلاد اليونان فقدمت له ولاءها، وبعثت إليه «أثينة» معتذرة عما فرط منها، وعرضت عليه تاجين، ومنحته ما تمنحه الآلهة من مراسم التكريم. فلما هدأت سورة الإسكندر أعلن إلغاء جميع الحكومات الدكتاتورية فى بلاد اليونان، وأمر أن تعيش كل مدينة حرة، حسب قوانينها.

ثم زحف على رأس جنوده إلى موضع مدينة «بوخارست» الحالية، ودخل بلاد الصرب، وبلغه وهو فيها غدر اليونانيين به، فهاجم بلاد اليونان مرة أخرى. وبعد أن أعربت جميع الدول اليونانية، ما عدا «اسبرطه» عن ولائها للإسكندر؛ عاد إلى «مقدونية» وأخذ يستعد لغزو «آسية» ووجد أن خزائن الدولة؛ لا تكفى لنفقات الحرب، فشرع يتغلب على ديونه، قبل أن يتغلب على العالم. ثم ابتدأ فى غزو البلاد. فترك اثنى عشر ألف جندى لحراسة مقدونية ومراقبة بلاد اليونان وأخذ جنودا وانطلق بها فى عام ٣٣٤ إلى نهر غرانيقوس بقيادة «دارا الثالث» وكسب المعركة، وفر «دارا» من الميدان. ثم استولى على «دمشق» و «صيدا» من غير قتال، وحاصر «صور» وقاومه أهل «صور» مقاومة عنيفة؛ وكان الفرس يمدونهم بالمال والسلاح. وبعد حصار طويل؛ افتتحها. واستسلمت له «أورشليم» بلا مقاومة. وحاربته غزة محاربة شديدة. وواصل الإسكندر سيره إلى «مصر» مخترقا صحراء سيناء. وفيها كان الإسكندر حكيما. فعظّم آلهتها، ورحب به أهلها، ورأوا فيه منقذا أرسلته الآلهة، ليحررهم من نير الفرس. وعرف الاسكندر أن الدين أقوى من السياسة؛ فاخترق صحراء أخرى إلى واحة سيوه. وقدم الطاعة إلى الإله آمون. وتوّجه الكهنة المرنون فرعونا، وأقاموا له الطقوس القديمة. ثم خطط الإسكندر محيط أسوار «الاسكندرية» وحدود شوارعها الرئيسية، ومواضع الهياكل التى اعتزم أن يقيمها لآلهة المصريين واليونان.

ثم عاد بجيشه إلى آسية، والتقى بجيش دارا المؤلف من خليط من الأمم قرب

«أربيلا» وقضى ليلة يستكشف فيها الأرض التى ستدور فيها المعركة، ويقرب القرابين للآلهة. ولما انتهت المعركة بانتصاره، أسر قلوب أهل المدينة بتعظيم آلهتها، وإصدار أوامره بإعادة أضرحتها المقدسة. ولم تنته سنة ٣٣١ ق.م حتى كان قد وصل إلى مدينة «السوس» فحمى أهلها من النهب. وأعلن إلى اليونان فى جميع أنحاء العالم فى فخر وكبرياء أنهم أصبحوا الآن أحرارا مستقلين أتم الاستقلال عن حكم الفرس.

ولم يكتف الإسكندر بما نال من مجد؛ فحاول أن يفعل ما عجز عن فعله قورش وهو إخضاع القبائل التى كانت على تخوم بلاد الفرس من الشرق. ولعله كان يأمل لقلة معلوماته الجغرافية أن يجد وراء الشرق الغامض المجهول، ذلك الأقيانوس الذى يصلح لأن يكون حدا طبيعيا للدولة العظيمة التى أقامها بسيفه. ولما دخل «سجديانا» مر بقرية يسكنها أبناء البرنشيدى Branchidae الذين أسلموا لخشيارشاى قرب ميليطس كنوز هيكلهم.

وفى عام ٣٢٧ ق.م اخترق جبال الهملايا لينقض على الهند؛ فيعبر نهر السند، وهزم الملك بورس Porus وأعلن أنه سيواصل الزحف حتى نهر الكنج، لكن جنوده أبوا أن يتقدموا خطوة واحدة. فبدأ الزحف نحو المحيط الهندى بمحاذاة نهر السند، واخترق صحراء «بلوخستان» ثم وصلت فلول جيشه إلى «السوس» واختلت موازين عقل الإسكندر نفسه، من كثرة ما لاقاه من الأهوال.

* * *

ويقول ول ديورانت بعدما قدمنا؛ ما نصه تحت عنوان «موت إله»:

موت إله

وكان قد قضى حتى ذلك الوقت تسع سنين فى آسية، أحدث فيها من التأثير بانتصاراته أقل مما أحدثته هى فيه بأساليبها الشرقية. ذلك أن أرسطو قد علمه أن يعامل اليونان معاملة الأحرار وأن يعامل «البرابرة» معاملة العبيد. ولكنه دهش إذ وجد بين أشراف الفرس مستوى من الرقة وحسن الخلق لم يره كثيراً فى الدمقراطيات اليونانية المضطربة؛ وأعجب بالطريقة التى نظم بها الملوك العظام إمبراطوريتهم، وارتاب فى مقدرة المقدونيين الغلاظ على أن يحلوا محل حكام هذه الإمبراطورية، وأدرك أن السبيل الوحيدة إلى تثبيت فتوحه واستقرارها بعض الاستقرار هو أن يسترضى أشراف الفرس

حتى يقبلوا زعامته، فإذا فعلوا؛ استخدمهم فى المناصب الإدارية. وزاد سروره برعاياه الجدد يوما بعد يوم، فتخلى عن فكرته القديمة وهى أن يحكمهم بوصفه ملكا مقدونياً، وخال نفسه إمبراطوراً يونانيا، فارسياً؛ يحكم دولة يكون فيها الفرس واليونان أكفاء، وتمتزج ثقافتهم ودماؤهم امتزاجاً سلميا، فينتهى النزاع الطويل بين أوربا وآسية بذلك الاقتران السعيد بين حضارتيهما.

وكان آلاف من جنوده قد تزوجوا من نساء البلاد المفتوحة، وأخذوا يعاشرونهن؛ فلم لا يفعل هو أيضاً فعلهم؟ فيتزوج بابنة دارا، ويسوى النزاع بين الأمتين بأن يلد لهما ملكا يجرى فى عروقه دم الأسرتين. لقد تزوج قبل ذلك الوقت ركسانا الأميرة البكترية، ولكنه لم يكن يرى أن هذه عقبة تقف فى طريقه، وعرض الفكرة على ضباطه وأشار عليهم أن يتخذوا لهم أزواجاً فارسيات. وتبسموا ضاحكين من فكرة توحيد الأمتين، ولكنهم كانوا قد قضوا زمناً طويلا بعيدين عن ديارهم، وكانت نساء الفرس ذوات جمال بارع. ومن ثم أقيم عرس عظيم فى السوس (٣٢٤) تزوج فيه الإسكندر استاتيرا Statira ابنة دارا الثالث، وبريساتس Parysatis ابنة أرتخشتر الثالث، وبهذا ربط نفسه بفرعى الأسرة المالكة الفارسية، واتخذ ثمانون من ضباطه، لهم زوجات فارسيات. وحذا حذوهم بعد زمن يسير آلاف من الجنود فتزوجوا من فارسيات. ووهب الإسكندر كل ضابط من ضباطه بائنة قيمة. وأدى ما على الجنود الذين تزوجوا من ديون . وقد بلغت هذه الهبات .إذا جاز لنا أن نأخذ بأقوال أريان (Arrian) عشرين ألف وزنة نحو ١٢٠,٠٠٠,٠٠٠ ريال أمريكى. وأراد أن يزيد هذا الاتحاد بين الشعبين قوة، ففتح أراضى الجزيرة وفارس للمستعمرين اليونان؛ وخفف بهذا العمل ضغط السكان فى بعض الدول اليونانية وقلل من حدة حرب الطبقات. ومن ذلك الوقت بدأت تقوم تلك المدن المتأغرقة الأسيوية التى صارت فيما بعد جزءاً هاماً من الإمبراطورية السلوقية Seleucid Empire وجمع فى الوقت نفسه ثلاثين ألفاً من شباب الفرس وعلمهم على الطريقة اليونانية ودربهم على فنون الحرب اليونانية.

ولعل زوجاته كن من أسباب ميله إلى الأساليب الشرقية، أو لعل هذا الميل كان خطأً وقع فيه لشدة تواضعه، أو لعله كان جزءا من خطة موضوعة. وفى ذلك يقول فلوطرخس: «فلما كان من فارس بدأ يلبس الثياب «البربرية» (أى الأجنبية) ولعله أراد بذلك أن ييسر تحضير الفرس لأن أكبر ما يؤثر فى الناس هو اتباع عاداتهم. . . بيد أنه لم يتبع عادات الميديين. . . بل اختط خطة وسطا بين الأساليب الفارسية والمقدونية، وكيّف عاداته بحيث خلت من التفاخر الذى هو من مميزات الأولين، ولكنها كانت،

أكثر أبهة وفخامة من الآخرين وكان جنوده يرون في هذا التغير استسلاماً من الإسكندر للشرق، ويحسون أنهم بذلك قد خسروه، وفقدوا ما كانوا يرونه من أدلة العناية والعطف التي كان يضفيها عليهم في كل حين. وأظهر له الفرس فروض الطاعة والولاء، وأرضوه بضروب الملق والدهان؛ وشرع المقدونيون، بعد أن رقق الترف الشرقي طباعهم يظهرون استياءهم من الواجبات الثقيلة التي كان يفرضها عليهم، ونسوا إحسانه لهم، وأخذوا يتهامسون بالفرار من الجيش، بل إنهم شرعوا يأتمرون به ليقتلوه. وبدأ هو يفضل صحبة عظماء الفرس على صحبة اليونان.

وكان أكبر شاهد على ارتداده عن دينه أو على حسن سياسته هو جهره بالوهيته؛ وذلك أنه بعث في عام ٣٢٤ إلى جميع الدول اليونانية ما عدا مقدونية (لأن ما في الرسالة التي بعث بها من إهانة لفليب قد يثير غضب أهلها) يبلغها أنه يرغب في أن يعترف به من ذلك الوقت ابناً لزيوس ـ أمون ـ وصدعت معظم الدول بما أمرت، ولم تر في الأمر أكثر من لقب صوري، بل إن الأسبارطيين المعاندين أنفسهم لم يخرجوا على الأمر وقالوا في أنفسهم: «فليكن الإسكندر إلها إذا شاء» ولم يكن تأليه إنسان ما، بمعنى لفظ الألوهية عند اليونان، ليرفع من شأنه كثيراً؛ ذلك أن الهوة التي تفصل بين الإنسانية والألوهية لم تكن وقتئذ واسعة كما أضحت في الأديان الحديثة. ولقد جمع كثيرون من اليونان بين الصفتين، ومن هؤلاء هبوداميا، وأوديب، وأخيل، وإفجينيا، وهلن. كذلك كان المصريون يحسبون فراعنتهم آلهة؛ ولو أن الإسكندر غفل عن أن يضع نفسه في هذا الوضع لكان من المحتمل أن يغضب المصريون لخروجه هذا الخروج العنيف على السوابق المقررة عندهم. ولقد أكد كهنة سيوة، وديديما Didyma وبابل، وهم الذين يعتقد الناس فيهم أن لديهم مصادر خاصة يستقون منها أمثال هذه الأنباء، أنه من نسل الآلهة. أما أن الإسكندر قد اعتقد بحق (كما يظن جروت) أنه إله بأكثر من المعنى المجازي لهذا اللفظ فأمر بعيد الاحتمال. نعم إنه بعد أن أله نفسه أصبح سريع الغضب متغطرساً، وإن سرعة غضبه وغطرسته تزدادان على مر الأيام. ولسنا ننكر أيضاً أنه جلس على عرش من الذهب، وارتدى ثياباً كهنوتية، وزين رأسه في بعض الأحيان بقرني أمون. ولكنه حين لم يكن يظهر ألوهيته لأغراضه الدنيوية كان يسخر من هذه العظمة التي يدعيها لنفسه؛ ولما أن جرحه سهم قال لبعض أصدقائه: «ها أنتم هؤلاء ترون أن هذا دم لا غذية كالتي تسيل من جراح الآلهة المخلدين» وما من شك في أنه لم يكن يحمل قصة والدته عن الصاعقة محمل الجد، وذلك واضح من غضبه الشديد على أتلس حين قال ما قال عن مولده، ومن قوله هو عن حاجته إلى النوم الذي يميز البشر من الآلهة. وحتى

أوليمباس نفسها قد ضحكت ساخرة حين سمعت أن الإسكندر قد سجل قصتها الخرافية في السجلات الرسمية، وسألت قائلة: «ألم يأن للإسكندر أن يمتنع عن التشنيع عليّ عند هيرا؟» ولقد ظل الإسكندر نفسه بالرغم من ربوبيته يقرب القرابين إلى الآلهة، وهو عمل لم نسمع قط بأن إلها قد أتى به، ولم يكن فلوطرخس وأريان وهما الرجلان اللذان يستطيعان أن يحكما في هذه المسألة لأنهما يونانيان، يشكان في أن الإسكندر قد أله نفسه ليتخذ ذلك التأليه وسيلة تيسر له حكم سكان إمبراطوريته المختلفي الأجناس والذين يؤمنون بالخرافات ولا ريب في أنه كان يحس أن مهمة توحيد العالمين المتعادين تُيَسَّر له إذا قبلت الطبقات العليا من أهلهما دعوى ربوبيته، وعظّمته الطبقات الدنيا وقدسته. ولعله قد فكر في أن يتغلب على ما تثيره الأديان المختلفة في الإمبراطورية من نزعة انفصالية بأن ينشر فيها حول شخصيته أسطورة مقدسة ودينا عاما تؤمن به جميع شعوب الإمبراطورية[1].

ولم يكن في مقدور المقدونيين أن يسبروا غور خطط الإسكدر السياسية؛ ذاك أنهم وأن ترقوا بالروح اليونانية إلى الحد الذى تحررت به عقولهم من الاسترقاق الفكرى، لم يرقوا إلى درجة التسامح الفلسفى، ورأوا أن ما طلبه إليهم من السجود له حين يقتربون منه مذلة لا يرضون بها لأنفسهم. ومن أجل ذلك دبرفيلوتاس Philoes وهو ضابط من أشجع ضباطه ابن قائد من أكفأ قواده وأحبهم إليه، بالاشتراك مع القائد برمنيو Parmenio مؤامرة لقتل الإله الجديد. ووصلت أنباء المؤامرة إلى مسامع الإسكندر، فأمر بالقبض على فيلوتاس وانتزع منه بضروب التعذيب اعترافاً باشتراك أبيه مع المتآمرين. وأرغم على أن يكرر هذا الاعتراف أمام الجُند، فرجموه من فورهم بالحجارة حتى مات، وكانت هذه عادتهم في مثل هذه الحالة. أما برمنيو فقد أعدم بأمر الملك لأنه مجرم فى أغلب الظن، وأنه علي كل حال عدو لا يؤمن جانبه.

وتوترت العلاقات بين الإسكندر وجيشه من ذلك الحين؛ فأخذ الجنود يزدادون غضباً واستياء، وأخذ الملك يزداد فى كل يوم ريبة وقسوة وعزلة. ودفن وحمله تساميه،

---

(١) ويحدثنا أوشيان عن هذا الرأى القديم فى إحدى «محاورات الموتى» فيقول: «فليب: لا تستطيع يا إسكندر أن تنكر أنك ولدى، ولو أنك كنت ابن أمون لما جار عليك الموت. الإسكندر: لقد كنت طوال الوقت أعرف أنك أبى، ولم أقبل قول الوحى إلا لأنى ظننته خطة سياسية صالحة... ذلك أن البرابرة حين عرفوا أن الذى أمامهم إله، امتنعوا عن القتال، وقد يسّر لى ذلك هزيمتهم وفتح بلادهم.

همومه فى الشراب.

وقد حدث فى مأدبة أقيمت فى سمرقند أن شرب كليتس الذى أنقذ حياة الإسكندر فى يوم غرانيقوس حتى فقد وعيه، فقال للإسكندر: إن ما نال من النصر يرجع الفضل فيه إلى جنوده لا إليه، وإن أعمال فليب أعظم من أعماله. وكان الإسكندر هو الآخر ثملا فقام ليضربه، ولكن بطليموس لاجوس Ptolemy Lagus (الذى أصبح بعد قليل واليا على مصر) أخرج كليتس من مكان المأدبة. بيد أن كليتس كان يريد أن يقول أكثر مما قال، فعاد ليواصل طعنه. فرماه الإسكندر بحربة أردته قتيلا. وندم الإسكندر بعدئذ على عمله هذا ندما حمله على أن يعتزل الناس ثلاثة أيام كاملة، امتنع فيها عن الطعام، وانتابته نوبات هستيريه، حاول فيها أن ينتحر. ولم يمض بعد ذلك إلا قليل من الوقت حتى قام هرمولوس Hermolaus وهو خادم من خدم الإسكندر عاقبه فى يوم من الأيام عقابا ظالما، بتدبير مؤامرة أخرى لقتله. وقبض على الغلام وعذب حتى أتى باعتراف اتهم فيه كلستانس Cailisthenes ابن أخى أرسطو. وكان كلستانس هذا يرافق الحملة بوصفه مؤرخاً رسمياً لها، وكان قد أغضب الملك لأنه أبى أن يسجد له، وأخذ ينتقد أساليبه الشرقية، ويتباهى بأن الخلف لن يعرف الإسكندر إلا عن طريق كلستانس المؤرخ. وأمر به الإسكندر فسجن حتى مات بعد سبعة أشهر من ذلك الوقت[1]. وقضت هذه الحادثة على ما كان بين الإسكندر وأرسطو من صداقة، وكان الفيلسوف قد ظل عدة سنين يعرض حياته لأشد الأخطار بدفاعه عن قضية الإسكندر فى أثينة.

وظل سخط الجيش يزداد حتى أوشك أن يكون فى آخر الأمر تمرداً علنياً. ولما أعلن الملك فى يوم من الأيام أنه يريد أن يرجع إلى مقدونية أكبر الجنود سنا بعد أن يمنح كلا منهم جائزة سنية نظير خدمته، هاله أن يسمع الجند يتهامسون بأنهم يحيون أن يفصلهم جميعاً من سلك الجندية، لأنه وهو إله لا حاجة له بالناس ليحققوا أغراضه. فلم يكن منه إلا أن أمر بقتل زعماء الفتنة، ثم ألقى على الجنود خطبة مؤثرة (ولكنها فى أغلب الظن مشكوك فى صحتها) ذكر فيها كل ما فعلوه من أجله، وكل ما فعله هو من أجلهم، وسألهم هل فيهم من يستطيع أن يظهر فى جسده من الجروح أكثر مما فيه هو؟ وعل فيهم رجل مثله فى جسمه أثر من كل سلاح من أسلحة القتال؟ ثم أذن لهم جميعا

---

(١) تروى قصص متناقضة عن جريمته وموته (٣٧). وأشهر ما تركه وراءه ثلاثة كتب: «الهلينيكا HELLENICA» وهو تاريخ لبلاد اليونان من ٣٨٧ إلى ٣٣٧، «وتاريخ الحروب المقدسة» و«تاريخ الإسكندر»

فى آخرها أن يعودوا إلى ديارهم وقال لهم: «عودوا إلى أوطانكم وقولوا للناس إنكم تخليتم عن مليككم، وتركتموه فى حماية الأجانب المغلوبين» ثم آوى إلى حجرته وأبى أن يقابل أحداً من الناس. فندم جنوده أشد الندم، وأقبلوا على قصره، وألقوا بأنفسهم على الأرض أمامه، وأعلنوا أنهم لن يغادروا أماكنهم حتى يعفو عنهم ويعيدهم إلى جيشه. ولما أن ظهر أمامهم فى آخر الأمر، أجهشوا بالبكاء وأصروا على أن يقبلوه، فلما رضى عنهم عادوا إلى معسكرهم ينشدون أناشيد الحمد والثناء.

واغتر الإسكندر بمظاهر الحب هذه، فأخذ يحلم بمواصلة الحروب والانتصارات، ووضع الخطط لفتح بلاد الغرب الغامضة، وأرسل بعثة لارتياد أقاليم بحر قزوين، وفكر فى الاستيلاء على أوربا حتى أعمدة هرقل. غير أن تعرضه للجواء المختلفة وإدمانه الشراب كانا قد أضعفا بنيته القوية، كما أن مؤامرات ضباطه وتمرد جنوده كانا قد أوهنا قوته النفسية. وبينا كان الجيش فى إكبتانا مرض هفستيون **Hephaestion** أعز أصدقائه وقضى نحبه. وكان الإسكندر يحبه حبا بلغ من شدته أنه حين دخلت زوجة دارا خيمة الملك الفاتح وانحنت أولا لهفستيون احتراما له لظنها أنه الإسكندر، قال لها الملك الشاب فى رقة ولطف: «إن هفستيون هو أيضاً إسكندر» وكأنما أراد بقوله هذا أنه هو وهفستيون رجل واحد، وكثيرا ما كان الرجلان يشتركان فى خيمة واحدة وكانا فى الحرب يقاتلان جنبا إلى جنب. وأحس الملك بعد موته أن نصفه قد انتزع منه، فأحزنه ذلك وفت فى عضده، وقضى عدة ساعات ملقى على جثة صديقه يبكى وينتحب؛ واقتلع شعره من فرط الحزن، وأبى أن يتناول شيئاً من الطعام عدة أيام متوالية، وحكم بالإعدام على الطبيب الذى ترك الشاب المريض ليشهد الألعاب العامة، وأمر أن تكرم ذكرى هفستيون بإقامة محرقة جنازية ضخمة بلغت نفقاتها كما يقولون عشرة آلاف وزنة ..... ٦٠,٠٠٠ ريال أمريكى. وبعث يسأل مهبط الوحى من أمون هل يجوز أن يتخذ هفستيون إلها يعبد؟ وأمر فى الوقائع الحربية التى دارت بعدئذ أن تقتل قبيلة على بكرة أبيها قربانا لروح هفستيون. وكانت الفكرة التى تراوده وهى أن أخيل لم يعش طويلا بعد موت بتركلس تقض مضجعه كأنها حكم عليه بالإعدام.

ولما عاد إلى بابل زاد انغماسه فى الشراب شيئاً فشيئاً. وبينا كان يشرب مع ضباطه ذات ليلة إذ عرض عليهم أن يتباروا فى شرب الخمر. فتجرع برامكس نحو ثلاثة جالونات وفاز بالجائزة وهى وزنة من الذهب، ومات بعد ثلاثة أيام، وأقيمت مأدبة أخرى بعد أيام قلائل شرب فيها الإسكندر خابية تحتوى نحو جالون ونصف من الخمر، وعاد فى الليلة التالية إلى الشراب، ثم اشتد البرد فجاءة فأصيب بالحمى وأوى إلى

فراشه. ولم تفارقه الحمى عشرة أيام كاملة ظل فى أثنائها يصدر الأوامر إلى جيشه وأسطوله. ثم مات فى اليوم الحادى عشر فى السنة الثالثة والثلاثين من عمره (٣٢٣) ولما سأله قواده لمن يترك ملكه ؟ أجابهم بقوله: «إلى أعظمكم قوة»

وقد عجز الإسكندر كما عجز أكثر العظماء عن أن يجد رجلا جديراً بأن يخلفه على عرشه. وكان قد مضى نحبه قبل أن يتم عمله. على أن هذا العمل رغم هذا لم يكن جليلا فحسب بل كان فوق ذلك أبقى على الدهر مما يظنه الناس عادة. فكأن الضرورات التاريخية قد اختارت الإسكندر لتغيير الأوضاع السياسية القائمة فى ذلك الوقت، فقد قضى على عهد دول المدن، وأنشأ بعد التضحية بقسط غير قليل من حرية هذه المدائن نظاما أوسع رقعة وأعظم استقرارا من أى نظام عرفته أوربا قبل عهده. وقد ظلت الفكرة التى قامت بذهنه عن الحكم، الحكم الاستبدادى الذى يستعين بالدين لفرض السلم على أمم مختلفة الأجناس والألوان، نقول ظلت هذه الفكرة هى المسيطرة على أوربا حتى العصر الحديث عصر القومية والدمقراطية. وقد حطم الحواجز القائمة بين اليونان و «البرابرة» ومهد السبيل لعالمية العصر الهلنستى؛ وفتح آسية الدنيا للاستعمار اليونانى، وأنشأ فى بلاد الشرق مستعمرات يونانية وصلت فى هذا الاتجاه إلى بكتريا، وجمع عالم البحر الأبيض المتوسط الشرقى فى نظام تجارى موحد واسع النطاق وشجع التجارة وأطلقها من قيودها؛ ونقل الآداب والفلسفة والفنون اليونانية إلى آسية، ومات قبل أن يدرك أنه مهد السبيل لذلك الانتصار الدينى العظيم الذى ظفر فيه الشرق بالغرب. ولقد كان ارتداؤه الملابس الشرقية وتحوله إلى الأساليب الشرقية بداية انتقام آسية من أوربا.

ولقد كان من الخير للإسكندر أن يموت وهو فى عنفوان مجده؛ ولو أنه طال به العمر لتكشف له أنه كان مخدوعاً فى كثير من الأمور، ولعله لو عاش لأقضت مضجعه الهزائم والآلام ولأحب السياسة - وكان قد بدأ يحبها - أكثر مما يحب الحرب. لكنه أجهد نفسه فوق طاقته، وأكبر الظن أن ما كان يتطلبه حفظ دولته العظيمة قوية موحدة، ومراقبة أجزائها المختلفة بأجمعها، قد بدأ يحدث الاضطراب فى عقله المشرق النير. ذلك أن الجد ليس إلا نصف العبقرية، أما نصفها الآخر فهو السيطرة على أعنة هذا الجد وتملك ناصيته؛ ولكن الإسكندر كان كله جدا ونشاطا. وكان يعوزه - وإن لم يكن من حقنا أن نطلب منه - نضج قيصر الهادىء أو حكمة أغسطس ودهاؤه» أ. هـ.

الفصل السادس
خروج الدابة

تمهيدات:

الأول: مُلك بنى إسرائيل فى العالم:

كان إبراهيم النبى عليه السلام فى بدء حياته، فى أرض إيرانية، وبعد حادثة التحريق بالنار، خرج مع لوط النبى عليه السلام إلى أرض فلسطين، ثم هاجر إلى مكة المكرمة. ودعا الناس إلى الله، وأذّن فيهم بالحج إلى الكعبة، وطهر الكعبة بسيفه. هو ومن آمن معه ومنع عنها سطوة عبّاد الأوثان. ومات بشيبة صالحة، ودفن فى «حبرون» من أرض فلسطين، التى هى «الخليل» الآن. وترك إسماعيل وإسحق. وزِمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشُوحًا.

ومن إسحق جاء إسرائيل. ومن إسرائيل جاء الأسباط.. وارتحل إسرائيل ببنيه وبنى بنيه إلى «مصر» من بعد سنتين من المجاعة، وعاشوا فيها مع يوسف الصديق عليه السلام وبعد مائتين وخمس عشرة من السنين؛ ظهر من سبط لاوى نبى الله موسى عليه السلام وأخذ بنى إسرائيل إلى أرض سيناء؛ ليؤسس مملكة لله على الأرض. وبعد خمسمائة عام تقريباً من موت موسى عليه السلام؛ دخل طالوت وداود ببنى إسرائيل أرض فلسطين. وجعلوا «أورشليم» - التى هى بيت المقدس - عاصمة مملكة لبنى إسرائيل.

وورث بنو إسرائيل أرض مصر، فى زمان موسى، وملكوها ونشروا فيها الإسلام على شريعة موسى. وظلوا مالكين لها إلى أن ظهر الإسلام على شريعة محمد. وورثوا بلاد اليمن والحبشة فى زمان سليمان. وملكوهما. وبنوا المساجد لعبادة الله تعالى على شريعة موسى. وامتد ملكهم فى الأرض، وعمروها.

وقد أنكر اليهود وراثتهم للأرض لنشر الدين فيها على شريعة موسى واعترفوا بأنهم ملكوها للسلب والنهب فقط.. والقرآن قد أظهر ما أنكروه، فى آيات كثيرة منها: ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض، ونجعلهم أئمة، ونجعلهم الوارثين، ونمكن لهم فى الأرض. ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم. ما كانوا يحذرون﴾ - ﴿كذلك وأورثناها بنى إسرائيل﴾ - ﴿وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾ - ﴿قتل

أصحاب الأخدود﴾ - ﴿ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم﴾ - ﴿فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة. وآتيناهم ملكا عظيما﴾ واليهود من آل إبراهيم. وقد كان لهم ملك على الأمم والشعوب.

وظل بنو إسرائيل مالكين للبلاد وفاتحين، ويعرض لهم من النصر والهزائم ما يعرض للبشر إلى أن ظهر الإسلام وتسلم منهم المسلمون أتباع إسماعيل عليه السلام لواء الملك والدعوة إلى الله بشريعة القرآن الكريم. كما يقول تعالى: ﴿تلك أمة قد خلت. لها ما كسبت، ولكم ما كسبتم﴾

ومصداق هذا فى التوراة: هو أن الله تعالى وعد إبراهيم عليه السلام بأن تتبارك فيه جميع أمم الأرض. وقسم بركته بين إسحق وإسماعيل. والبركة: ملك ونبوة. ومدتها من ظهور نبى مشرع، به يبدأ الملك. وآخر نبى فى بنى إسرائيل: هو المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وكان مصدقا للتوراة التى كانت مع بنى إسرائيل فى زمانه، وكان يتلو على مسامعهم نبوءات التوراة التى تدل على مجىء النبى المنتظر، ويفسرها لهم على محمد ﷺ ويقول: إنه سيأتى من بعدى. وكانوا يترقبون ظهوره؛ لأن النبوءات بينت أن الخير سيكثر فى عهده، وسيعم السلام.

ويقول النصارى: إن موسى كان نحو سنة ١٥٧١ قبل الميلاد + ٥٧٠ = ٢١٤١ فتكون مدة ملك بنى إسرائيل فى العالم ألفان ومائة وواحد وأربعون سنة.

ومحمد ﷺ ولد سنة خمسمائة وسبعين بعد ميلاد عيسى عليه السلام وسيظل ملك بنى إسماعيل فى العالم إلى يوم القيامة.

الثانى: قضاء عيسى على بنى إسرائيل:

وكان علماء بنى إسرائيل يختلفون فى تفسير آيات من التوراة. ويكوّنون بالاختلاف مذاهب عقائدية وفقهية. مثل مذهب الأسينيين والفريسيين والصدوقيين والربانيين والقرائين. وقضى الله تعالى أن يكون عيسى فى زمانه قاضيا على بنى إسرائيل فيما اختلفوا فيه. ومثال ذلك:

اختلافهم فى النبى الأمى الآتى إلى العالم على مثال موسى. الذى قال عنه موسى: «يُقيم لك الرب إلهك: نبيا. من وسطك. من إخوتك. مثلى. له تسمعون...»

فقد زعموا أنه سيكون من بنى إسرائيل، ثم اختلفوا فيه. فقال السامريون: إنه سيظهر من سبط يوسف عليه السلام وقال العبرانيون: إنه سيظهر من سبط يهوذا. وقد

جلس بينهم عيسى عليه السلام فى منصب القاضى. وقال: إنه لن يظهر البتة من بنى إسرائيل. لأسباب منها:

١ - أن موسى قال فى أوصافه: إنه سيكون مثلى.

٢ - وحدد المثلية بثلاثة أوصاف هى الملك والحروب والانتصار على الأعداء والمعجزات.

٣ - وقال: ولن يظهر مثلى فى بنى إسرائيل.

٤ - وقال: إن الله تفضل على إسماعيل ببركة فى نسله. هى ملك ونبوة. ويلزم على ثبوت البركة؛ ثبوت النبى الآتى منه.

الثالث: تأييد محمد لعيسى:

وفى القرآن الكريم: أن مما قضى به عيسى - عليه السلام - بين بنى إسرائيل؛ قد أيده فى قضائه به؛ محمد رسول الله ﷺ وهذا هو معنى: ﴿وأيدناه بروح القدس﴾ أى أيدنا[1] عيسى بمحمد ﷺ الذى قال عيسى عنه: «أحمد الروح القدس» [يو ١٤]

أ - أما أنه أيد عيسى فى قضائه؛ فهذا واضح - بالتاريخ - من مجيئه من بعده. وواضح - بالقرآن - من قوله: ﴿إن هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون. وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين، إن ربك يقضى بينهم بحكمه. وهو العزيز

(١) فى قصة الحضارة لول ديورانت:

هل وجد المسيح ؟ وصلت المدرسة الهولندية مدرسة بيرس وناير ومتاس إلى إنكار حقيقة المسيح التاريخية. وما هى الأدلة التى تثبت وجود المسيح؟ عند يوسيفوس اليهودى' عبارة مشكوك فيها. وفى التلمود إشارات يمكن أن تكون ترديدا لأصداء الأقطار المسيحية. وأقدم ما لدينا من إشارات إلى المسيح فى أدب الوثنيين: ماورد فى خطاب كتبه «بلنى» الأصغر حوالى ١١٠م يستشير فيه «تراجانه» عما يعامل به المسيحيين. أما الأدلة على وجود المسيح؛ فتبدأ بالرسائل المعزوة إلى القديس بولس.

أما يوحنا المعمدان فقد كتب عنه يوسيفوس. وأثنى عليه. وقال: إن سبب القبض عليه: هو خوف هيرودس أن يكون يوحنا يستتر بستار الإصلاح الدينى؛ ليثير القلاقل السياسية فى البلاد، ولم يكن سبب موته من سالومى، ابنة هيروديا

وكانت بداية تعاليم يسوع هى إنجيل يوحنا المعمدان. وهذا الإنجيل يرجع إلى دانيال وأخنوخ. ومن أقواله: أن ملكوت الله قد اقترب، وأن ابن الإنسان سيأتى. ترى ماذا كان يعنى بملكوت الله؟ أهى سماء خيالية، خارجة عن مألوف الطبيعة؟ يخيل إلينا أنها لم تكن كذلك؛ لأن الرسل والمسيحين الأولين كانوا على بكرة أبيهم ينتظرون أن توجد مملكة أرضية. وكانت هذه هى الرواية اليهودية التى ورثها عنهم المسيح. ومن أجل هذا كان يعلم أتباعه أن يصلوا إلى الآب، قائلين: «ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك، كما فى السماء، كذلك على الأرض»

العليم﴾ - ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب﴾ - فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه﴾ - ﴿فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم...﴾

ب - وأما أنه أيده بروح القدس. فاعلم: أن عيسى عليه السلام قد قال عن محمد ﷺ: «بيركليت الروح القدس» أى «أحمد الروح القدس» ومن عادة بنى إسرائيل أن يلقبوا الداعى إلى الله والمنتسب إليه بروح الله. على معنى أنه مؤيد بروح من الله، ولهذا التأييد؛ ينطق بالحكمة والصواب. وأن يلقبوا الداعى إلى الشيطان والمنتسب إليه بروح الشيطان. على معنى أن الشيطان وراء ظهره وهو يتلو عليه كل شيء. و«القدس» صفة طهارة يُوصف بها الله الملك القدوس. و«النجس» صفة نجاسة يُوصف بها الشيطان النجس الذى يضل العالم. وغرض عيسى عليه السلام من «بيركليت الروح القدس» هو أن ينسب محمدا إلى الله؛ ليقبل بنو إسرائيل على دعوته. يريد أن يقول: إن «أحمد» كامل فى قداسته، لأنه إذا كان كل هاد إلى الله هو روح قدس، فإنه لأنه هو سيدهم يكون هو «الروح القدس» نفسه. للمبالغة فى تعظيمه.

وبمرور السنين صار «الروح القدس» علما على «أحمد» حتى أنه إذا قيل «الروح» مجردا، أو «الروح القدس» مجردا؛ يفهم السامع: أن المراد منه «أحمد» وقد وصفه عيسى عليه السلام بأنه إذا جاء؛ فإنه سيعلم الحواريين. وكل من يتمذهب بمذهبهم كل شيء، وسيذكرهم بكل ما قاله عيسى عليه السلام فى وعظه وتبشيره وقضائه وحكمه وأمثاله. وقال عيسى عليه السلام: إننى لن أعلم كثيرا، بل قليلا. وأما الروح. فإنه إذا جاء سيعلمكم كل شيء. وسيذكركم بكل ما قلته لكم.

ولما ظهر أحمد ﷺ الملقب من عيسى بالروح القدس. قال الله فى حقه: ﴿ويسئلونك عن الروح؟ قل: الروح من أمر ربى. وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ أى يسئلونك عن ﴿الروح﴾ الذى هو لقب لـ﴿أحمد﴾ فى الإنجيل. يظنون أنك لا تعرفه، أو لست هو. يسئلونك عن السبب فى إرساله. وشريعة موسى تحل محل شريعته ﴿قل: الروح من أمر ربى﴾ أى مجيئه من أمر الله ﴿والله أعلم بما يُنزل﴾ وأنتم أيها النصارى ﴿ما أوتيتم﴾ من عيسى بن مريم ﴿من العلم إلا قليلا﴾ لأنه قال فى الإنجيل: «وأما المُعَزِّى الروح القدس الذى يرسله الآب باسمى؛ فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لكم»

والمعزى ترجمة «باركليت» أى النائب عن عيسى عليه السلام وهو لم ينطق باركليت وإنما نطق ما وضعوا بدله بيركليت؛ لأن اللغة اليونانية التى كتب بها الإنجيل

فى البدء جاء فيها بيركليتوس. وحرف السين فى اليونانية لا يضاف فى آخر الكلمة إلا إذا كانت الكلمة اسما من الأسماء.

[تمت التمهيدات]

قال الله تعالى: ﴿إن هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون. وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين إن ربك يقضى بينهم بحكمه وهو العزيز العليم. فتوكل على الله. إنك على الحق المبين. إنك لا تسمع الموتى، ولا تسمع الصمّ الدعاء إذا ولوا مدبرين. وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون.

وإذا وقع القول عليهم، أخرجنا لهم دابة من الأرض تُكلّمهم: أنّ الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾ .

لاحظ:

١ـ﴿إن هذا القرآن يَقُصّ على بنى إسرائيل﴾

ولاحظ:

٢ـ﴿أخرجنا لهم دابة من الأرض تُكلمهم﴾

والكلام يكون من العقلاء، ويكون من الأنبياء بشريعة. وعلى هاتين الملاحظتين، يكون الكلام كله فى بنى إسرائيل فى مدة ملكهم ونبوتهم على الأرض، وتكون الدابة قد خرجت من الأرض، وكلمتهم، أو قالت لهم. والكلام يجىء بلفظ القول. فإذا قلنا: كلمنى رجل؛ فإنه يكون مثل: قال لى رجل. وعلى هذا. جاء الكلام فى ترجمة، بلفظ القول فى ترجمة أخرى. فى قوله عن محمد ﷺ: «فيكلمهم بكل ما أوصيه به» جاء: «فيقول لهم كل شىء آمره به»

٣ـ﴿يقضى بينهم﴾ أى بين بنى إسرائيل .

٤ـ﴿وإذا وقع القول عليهم﴾ أى على بنى إسرائيل. فى نهاية ملكهم ونبوتهم على الأرض.

٥ـ ﴿أخرجنا لهم﴾ أى لبنى إسرائيل فى نهاية ملكهم ونبوتهم على الأرض.

٦ـ ﴿دابة من الأرض تكلمهم﴾ أى تكلم بنى إسرائيل. والمراد بالدابة: إنسان. فمن هو هذا الإنسان؟ لأن الكلام من صفات الإنسان؛ ولا ينتقل من الإنسان إلى غيره، إلا بقرينة.

وجاء في المزمور المائة والسابع والأربعين: أن الله تعالى وعد بني إسرائيل بنبي على مثال موسى. وعبر عن الوعد بقول من الله. فقال: «يُرسل كلمته في الأرض سريعا جدا يُجري قوله» [مز ١٤٧ : ١٥٠] وإذا أتى زمان القول؛ فإن الله يظهر من البشر من يتكلم به.

وبعد تأمل الملاحظات؛ أعد قراءة:

﴿وإذا وقع القول عليهم؛ أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم: أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾. واستمر في القراءة ﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا، فهم يوزعون﴾ ولفظ ﴿القول﴾ معرف بالألف واللام. دلالة على أنه معروف في العالم من قبل ظهور محمد ﷺ وهو نفسه القول في سورة القصص: ﴿ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون﴾ أي القول المعهود والمعلوم والمعروف للسامع. فما هو هذا القول الذي إذا جاء زمانه؛ تخرج الدابة من أجل تحقيقه؟

يقول الله تعالى: ﴿وما كنت بجانب الطور إذ نادينا، ولكن رحمة من ربك؛ لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون. ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا: ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا؛ فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين. فلما جاءهم الحق من عندنا ـ قالوا: لولا أوتي مثل ما أوتي موسى. أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل؟ قالوا: سحران تظاهرا. وقالوا: إنا بكل كافرون. قل: فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين.

فإن لم يستجيبوا لك؛ فاعلم: أنما يتبعون أهواءهم. ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله. إن الله لا يهدي القوم الظالمين.

ولقد وصلنا لهم القول(١) لعلهم يتذكرون. الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون. وإذا يتلى عليهم قالوا: آمنا به. إنه الحق من ربنا. إنا كنا من قبله مسلمين. أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا﴾

ما هو القول الذي إذا جاء زمانه؛ تخرج الدابة من أجل تحقيقه؟ هذا القول هو:

أن الله تعالى لما استجاب دعاء إبراهيم في إسماعيل في أن يظهر منه نبي يسير أمامه بشريعة. كتب موسى عن هذا النبي: أنه سيكون على مثاله، وسيكلم بني إسرائيل نيابة عن الله بكل ما يريده الله «فيقول لهم كل شيء آمره به» وفي ترجمة : «فيكلمهم بكل ما

---

(١) جاء في زبور داود: «يرسل كلمته في الأرض سريعا جدا، يُجري قوله» [مز١٤٧: ١٥] فقد عبر عن الكلمة بالقول.

أوصيه به» ولما تلقى موسى التوراة؛ صاحبَ التلقى نزول نار على جبل الطور. وخاف بنو إسرائيل منها، وقالوا: إذا أراد الله أن يكلمنا مرة أخرى؛ فليكن بلا نار وبلا دخان؛ واستحسن الله طلبهم. وقرر لهم :أنه سيكلمهم عن طريق نبى مثل موسى. وأن هذا النبى سيقول لهم كل شىء يأمره الله بتبليغه لهم.

وهذا النبى صاحبُ القول هو محمد ﷺ لكن بولس زعم أنه هو عيسى عليه السلام فى مجيئه الثانى وقال للنصارى: «لأنكم لم تأتوا إلى جبل ملموس مضطرم بالنار، وإلى ضباب وظلام وزوبعة وهتاف بوق وصوت كلمات، إستعفى الذين سمعوه من أن تزاد لهم كلمة لأنهم لم يحتملوا ما أمر به. وإن مست الجبل بهيمة، ترجم، أو ترمى بسهم. وكان المنظر هكذا مخيفا حتى قال موسى: أنا مرتعب ومرتعد» [عب ١٢: ١٨-٢١]

وقد عبر الله فى القرآن الكريم عن الحالة المهولة التى صاحبت نزول التوراة بقوله: ﴿فلما أخذتهم الرجفة﴾ وعبرت عنها التوراة: «وارتجف كل الجبل جدا» [خر ١٩: ١٨] ثم قال: إن رحمته سيكتبها للذين سيتبعون الرسول النبى الأمى وهو محمد ﷺ المكتوب عنه فى التوراة وفى الإنجيل. ذلك قوله: ﴿ورحمتى وسعت كل شىء؛ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون. الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل﴾

وهذا النبى سيقول [1] لهم كل شىء يأمره الله به. وإذا جاء زمان هذا القول؛ فإن الله تعالى سيظهر رسوله النبى الأمى

أ - ليظهر لهم هذا القول .كما وعد به من قبل.

ب - وليوصِّل هذا القول لبنى إسرائيل؛ لعلهم يتذكرون النص الدال عليه من التوراة والإنجيل، و يتذكرون الحالة المهولة التى صاحبت نزول التوراة على جبل الطور.

ولم يكن محمد ﷺ بجانب الطور إذ حدثت الحالة المهولة والله يكلم موسى.

والنص الدّال على القول هو:

«يُقيم لك الرب إلهك: نبيا من وسطك من إخوتك. مثلى له تسمعون. حسب كل ما طلبتَ من الرب إلهك فى حوريب يوم الاجتماع قائلا: لا أعود أسمع صوت الرب إلهى، ولا أرى هذه النار العظيمة أيضا؛ لئلا أموت. قال لى الرب: قد أحسنوا فى ما تكلموا. أقيم لهم: نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه؛ فيكلمهم بكل

(١) «يرسل كلمته فى الأرض سريعا جدا يجرى قوله»[مز ١٤٧: ١٥] فقد عبر عن الكلمة بالقول.

ما أوصيه به ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى؛ أنا أطالبه. الخ» [تثنيه ١٨: ١٥ ـ ٢٢]

فالدابة التى ستخرج من الأرض لتكلمهم: أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون: هى المكتوب عنها فى هذا النص: «فيكلمهم بكل ما أوصيه به» والقول الذى وقع عليهم: هو الوعد بإرسال نبى مثل موسى؛ ليقول لهم كل شىء يأمره به. وإن كثيرا من الناس لغافلون عن آيات الله ووعده وصدق كلامه، ولا يوقنون.

وفى القرآن الكريم: ﴿ولقد وصّلنا لهم القول﴾ - ﴿وإذا وقع القول عليهم﴾ ﴿القول﴾ المعهود والمعروف والمعلوم. وهو المذكور فى نبوءة النبى الأمى محمد ﷺ فى سفر التثنية.

وفى اللغة العربية: أن «أوصل» تدل على ثلاثة. فإنه لو فرضنا:

١ـ الملك ٢ـ إذا أوصل كلاما لشعب من الشعوب؛ فإنه يُوصّله عن طريق ٣ـ شعب آخر وإلا كان يقول عن شعبه إذا كلمهم: إنه كلمهم أو أشار إليهم. ويتبين من هذا الغرض أن «أوصل» تدل على طرف ثالث متوسط بين اثنين. ومثل ذلك: ويتبين من هذا الغرض: أن مثل رجل يريد أن يُسلم أمانة عنده لصاحبها. وهو غير قادر على الذهاب إليه؛ فيرسل إليه من يوصلها إليه. والمرسِل فى هذه الحالة، هو غير صاحب الأمانة وهو غير المرسَل.

ويوجد فرق بين «وصَلْنا» وبين ﴿وصّلنا﴾ فوصلنا معناها: أتبعنا بعضه بعضا. كما تصل حبلا بحبل. وأما ﴿وصّلنا﴾ فمعناها: أرسلنا رسولا برسالة، والمرسل إليهم لا يعرفونها. ووصَلْنا بمعنى أتبعنا تدل على أن الثانى فى قوة الأول، وأنه وهو يكمل بعضهما بعضا. وإذا قلنا هذا فى القرآن؛ فإنه لا يصح؛ لأن الأول محرف ومنسوخ والثانى ليس فى قوته؛ حتى يوصل به إذ هو الناسخ المحفوظ بعناية الله.

والضمير فى ﴿وصّلنا لهم﴾ عائد إلى بنى إسرائيل. وقوله: ﴿لعلهم يتذكرون﴾ هو لبنى إسرائيل، ليتذكروا قول موسى عن محمد ـ عليهما السلام ـ وهو: «فيقول لهم كل شىء آمره به» فيؤمنوا به؛ لئلا يهلكوا وقوله تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون﴾ هو خبر عن أن بنى إسرائيل من قبل ظهور محمد ـ عليه السلام ـ ﴿هم به﴾ أى بمحمد ﴿يؤمنون﴾ لأن إسماعيل مبارك فيه [تك ١٧: ٢٠] ولأن موسى كتب عنه [تث ١٨: ١٥ ـ ٢٢]

* * *

من كلام أهل التفسير فى الدابة

(تفسير القرطبى)

«وعن ابن عباس: أنها تخرج من شعب فتمس رأسها السحاب ورجلاها فى الأرض لم تخرجا، وتخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام. وعن حذيفة: تخرج ثلاث خرجات، خرجة فى بعض البوادى ثم تكمن، وخرجة فى القرى يتقاتل فيها الأمراء حتى تكثر الدماء، وخرجة من أعظم المساجد وأكرمها وأشرفها وأفضلها. الزمخشرى: تخرج من بين الركن حذاء دار بنى مخزوم عن يمين الخارج من المسجد، فقوم يهربون، وقوم يقفون نظارة. وروى عن قتادة: أنها تخرج فى تهامة. وروى: أنها تخرج من مسجد الكوفة من حيث فار تنور نوح عليه السلام. وقيل: من أرض الطائف، قال أبو قبيل: ضرب عبد الله بن عمرو أرض الطائف برجله وقال: من هنا تخرج الدابة التى تكلم الناس. وقيل: من بعض أودية تهامة، قاله ابن عباس. وقيل: من صخرة من شعب أجياد، قاله عبد الله بن عمرو. وقيل: من بحر سدوم، قاله وهب بن منبه. ذكر هذه الأقوال الثلاثة الأخيرة الماوردى فى كتابه. وذكر البغوى أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز قال: حدثنا على بن الجعد عن فضيل بن مرزوق الرقاشى الأغر - وسئل عنه يحيى بن معين فقال ثقة - عن عطية العوفى عن ابن عمر قال: تخرج الدابة من صدع فى الكعبة كجرى الفرس ثلاثة أيام لا يخرج ثلثها.

أولى الأقوال: أنه فصيل ناقة صالح لما ذكره أبو داود الطيالسى فى مسنده عن حذيفة قال: ذكر رسول الله ﷺ الدابة فقال: « لها ثلاث خرجات من الدهر. فتخرج فى أقصى البادية ولا يدخل ذكرها القرية - يعنى مكة - ثم تكمن زمانا طويلا، ثم تخرج خرجة أخرى دون ذلك فيفشو ذكرها فى البادية ويدخل ذكرها القرية» يعنى مكة قال رسول الله ﷺ: «ثم بينما الناس فى أعظم المساجد على حرمة خيرها وأكرمها على الله المسجد الحرام لم يرعهم إلا وهى ترغو بين الركن والمقام. تنفض عن رأسها التراب. فارفض الناس منها شتى ومعا وثبت عصابة من المؤمنين وعرفوا أنهم لن يعجزوا الله فبدأت بهم فجلت وجوههم حتى جعلتها كأنها الكوكب الدرى وولت فى الأرض.

لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب حتى إن الرجل ليتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول: يا فلان الآن تصلى فتقبل عليه فتسمه فى وجهه ثم تنطلق ويشترك الناس فى الأموال ويصطلحون فى الأمصار يعرف المؤمن من الكافر حتى إن المؤمن يقول. يا كافر اقض حقى»

وموضع الدليل من هذا الحديث : قوله عن الفصيل: «وهى ترغو» فالرغاء إنما هو للإبل، وذلك أن الفصيل لما قُتلت الناقة؛ هرب فانفتح له حجر فدخل فى جوفه ثم انطبق عليه، فهو فيه حتى يخرج بإذن الله عزو جل.

وروى أنها دابة مزغبة شعراء، ذات قوائم طولها ستون ذراعا، ويقال: إنها الجساسة، وهو قول عبد الله بن عمر وروى عن ابن عمر أنها على خلقة الآدميين، وهى فى السحاب وقوائها فى الأرض. وروى: أنها جمعت من خلق كل حيوان. وذكر الماوردى والثعلبى: رأسها رأس ثور، وعينها عين خنزير، وأذنها أذن فيل، وقرنها قرن أيل، وعنقها عنق نعامة، وصدرها صدر أسد، ولونها لون نمر، وخاصرتها خاصرة هر، وذنبها ذنب كبش، وقوائمها قوائم بعير. بين كل مفصل ومفصل اثنا عشر ذراعا ـ الزمخشرى: بذراع آدم عليه السلام ـ ويخرج معها عصا موسى وخاتم سليمان، فتنكت فى وجه المسلم بعصا نكتة بيضاء فيبيض وجهه، وتنكت فى وجه الكافر بخاتم سليمان عليه السلام فيسود وجهه، قاله ابن الزبير رضى الله عنهما» أ.هـ

رجعنا إلى الكلام فى الدابة:

وهى فى لغة القرآن: كل ما يدب على الأرض، مما يعقل ومما لا يعقل. سواء أكان العاقل نبيا أو رسولا، أو لم يكن. فقد قال تعالى: ﴿وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾ وشبه الله الأدمى الذى يسمع القرآن ولا يعمل به، بالدابة التى لا تعقل، وجعله فى صفة الحيوانية أشر منها، فى قوله تعالى: ﴿إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون﴾ ـ ﴿ ومنا من دابة فى الأرض إلاّ على الله رزقها، ويعلم مستقرها ومستودعها. كل فى كتاب مبين﴾

وفى التوراة:

«هذا البحر العظيم الواسع الأطراف. هناك دبابات لا عدد لها. حيوانات صغار مع كبار. هناك تجرى السفن. لوياثان هذا جبلته لتلاعبه. الجميع يرجونك لترزقهم أكلهم فى أوانه. ترزقهم فيلتقطون. تبسط يدك فيشبعون خيرا. تحجب وجهك فيفزعون. تقبض أرواحهم فيموتون، وإلى ترابهم يعودون. تُرسل روحك فيخلقون وتجدد وجه الأرض » [مز ١٠٤] «وكل دبيب الطير؛ نجس لكم» [تث ١٤ :١٩] «وكل دبيب يدب على الأرض ؛ فهو مكروه لا يؤكل لحمه» [لا ١١ :٤١] «وكل نفس تدب على الأرض» [لا ١١ :٤٦]

وفى لغة العرب: أن كل ما يدب على الأرض؛ فهو دابة. فقد قال الشاعر:

زعمتنى شيخا. ولست بشيخ   إنما الشيخ من يدب دبيبا

أى يسير ببطء على الأرض بسبب ضعفه.

ووصف الشاعر نصرانيا محاربا ضعفت قوته بقوله:

ويمشى به العكّاز، فى الدير، تائبا   وقد كان يأبى مشْى أشقر أجردا

* * *

ومما جاء فى تفسير القرطبى عن الدابة، فى سورة النمل:

«وحكى الماوردى عن محمد بن كعب عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه سئل عن الدابة فقال: أما والله ما لها ذَنَبٌ وإن لها للحية. قال الماوردى: وفى هذا القول منه إشارة إلى أنها من الإنس وإن لم يصرح به.

قلت: ولهذا - والله أعلم - قال بعض المتأخرين من المفسرين: إن الأقرب أن تكون هذه الدابة إنسانا متكلما يناظر أهل البدع والكفر ويجادلهم؛ لينقطعوا، فيهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حى عن بينة. قال شيخنا الإمام أبو العباس أحمد بن عمر القرطبى فى كتاب المفهم له: «وإنما كان عند هذا القائل هو الأقرب؛ لقوله تعالى: ﴿تكلمهم﴾ وعلى هذا فلا يكون فى هذه الدابة آية خاصة خارقة للعادة»

وفى كتاب الفتاوى:

يقول الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ جامع الأزهر:

«والواقع أن هذه الدابة قد قيل فى شأنها أكثر من ذلك، وعملت فيها الروايات والآثار عملها المعروف فى كل أمر غيبى أخبر به القرآن، ولمْ يتصل به بيان قاطع عن الرسول عليه الصلاة والسلام. قيل ذلك فى حقيقتها، وقيل فى صفتها، ومن أغرب ما قيل فى حقيقتها: أنها إنسان، وأنه علىّ - رضى الله عنه - وقيل: إنها ولد ناقة صالح فر هارباً حينما عقر القوم أمه، وانفتحت له فى طريقه صخرة فدخلها ثم انطبقت عليه، فهو فى باطنها إلى أن يخرج قرب يوم القيامة. وقيل: إنها دابة قديمة خُلقت فى عهد الأنبياء المتقدمين؛ وإن موسى سأل ربه أن يريه إياها، فأخرجها ثلاثة أيام ولياليها، تذهب فى السماء لا يُرى واحد من طرفيها، فرأى عليه السلام منظراً فظيعاً، فقال: يارب ردها؛ فردها. أو إنها هى الثعبان الذى كان فى جوف الكعبة، واختطفته العقاب حين أرادت قريش بناء البيت الحرام فمنعهم، فألقته العقاب بالحجون، فالتقمته الأرض وهو فى باطنها حتى يخرج يوم القيامة.

ومن أغرب ما قيل فى صفة الدابة: أن طولها ستون ذراعاً بذراع آدم عليه السلام، لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب، وأن لها مع جميع دواب الأرض مشابهة تامة فى عضو من أعضائها: فلها وجه إنسان ورأس ثور، وعين خنزير، وأذن فيل «إلى آخر ما سودت به الصحف، وضاع الوقت فى نقله» وهى [1] كلمة حق قالها أحد المفسرين، ونقلها الآلوسى فى تفسيره وأقرها، وقال معتذراً عن ذكره شيئاً من أخبارها: وأنا إنما نقلت بعض ذلك دفعاً لشهوة من يحب الاطلاع على شيء من أخبارها. صدقاً كان أو كذباً.

وقال الإمام الرازى بعد أن حكى هو أيضاً شيئاً من أخبارها: «واعلم: أنه لا دلالة فى الكتاب على شيء من هذه الأمور؛ فإن صح الخبر فيه عن الرسول ﷺ قبل، وإلا لم يلتفت إليه» وهو يعنى أنه لا يصح من أخبارها شيء غير المذكور فى القرآن الكريم.

هذا. وقد فات المفسرين أن يضعوا حداً لصون التفسير عن هذه الإسرائيليات التى أظلمت الجو على طلاب الهداية القرآنية، وشغلتهم عن اللب والجوهر بما ألصقته بالقرآن، وقصروا جهودهم على النبش فيما ألصق.

وليس هذا خاصاً ـ كما قلنا ـ بالدابة وإنما هو ريح السموم هبت على كتب التفسير من نواح كثيرة فى كل أمر غيبى أخبر به القرآن، ولم يتصل به بيان قاطع عن الرسول عليه السلام. فقد قيل مثله فى: «يأجوج ومأجوج» وفى «الصور» وفى «اللوح المحفوظ» وفى غيرها.

وقد تتبع بعض المفسرين غرائب الأخبار التى ليس لها سند صحيح، وأغدقوا من شرها على الناس. وعلى القرآن، وكان جديراً بهم أن يقيموا بينها وبين الناس سداً يقيهم البلبلة الفكرية فيما يتصل بالغيب الذى استأثر الله بعلمه، ولم ير فائدة لعباده فى أن يطلعهم على شيء منه. وإذا كان للناس بطبيعتهم ولع بسماع الغرائب وقراءتها، فما أشد أثرها فى إلهائهم عن التفكير النافع فيما تضمنه القرآن من آيات العقائد والأخلاق وصالح الأعمال» أ. هـ

***

وعلى هذا الذى ذكرناه فى الدابة؛ فإن أى إنسان لو قال: إن موسى بن عمران دابة قد مشت على الأرض، وكلمت الناس بالتوراة، أو أن داود بن يَسَّى؛ دابة. قد مشت

---

(١) أى عبارة: «ما سودت به الصحف، وضاع الوقت فى نقله»

على الأرض، وكلمت الناس بالزبور، أو أن عيسى بن مريم؛ دابة. قد مشت على الأرض. وكلمت الناس بالإنجيل؛ لو قال أىّ إنسان بهذا فى هؤلاء الأنبياء العظام - عليهم السلام - لعد قائلا بما قاله الله فيهم. وإن لامه لائم على قوله هو فيهم؛ عدّ اللائم سفيها، ومجترئا على الله بالكذب، ومستدركا عليه فى تنزيله. لأن الله قال بصيغة العموم عن كل الذين يرزقهم على الأرض: إنهم دواب. فإذا استثنى هذا اللائم من عموم الدواب دوابا. فإنه يلزم على استثنائه؛ القول بخالق آخر، ورازق آخر. والله يقول: ﴿هل من خالق غير الله رزقكم من السماء والأرض؟ لا إله إلا هو - فأنى تؤفكون﴾

الوحى عند بنى إسرائيل:

والوحى عند بنى إسرائيل إما صادق. وإما كاذب.

١- والوحى الصادق عند بنى إسرائيل هو نفسه الوحى عند المسلمين. فالله إذا أراد أن يكلم بشرا؛ يكلمه:

١- فى المنام ٢- من وراء حجاب ٣- بإرسال رسول إليه.

وهذا واضح من قول الله تعالى فى القرآن الكريم:

﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا، أو من وراء حجاب، أو يرسل رسولا؛ فيوحى بإذنه ما يشاء. إنه على حكيم﴾.

وفى التوراة: «إن كان منكم نبى للرب؛ فبالرؤيا أستعلن له. فى الحلم أكلمه. وأما عبدى موسى فليس هكذا بل هو أمين فى كل بيتى» [عدد ١٢: ٦-٧]

وفى التوراة: أن موسى عليه السلام طلب رؤية الله؛ فامتنعت عليه «لا تقدر أن ترى وجهى؛ لأن الإنسان لا يرانى ويعيش» [خر٣٣: ٢٠]

وفى التوراة: إن الله يكلم موسى من وراء حجاب«وأتكلم معك من على الغطاء من بين الكروبين اللذين على تابوت الشهادة بكل ما أوصيك به إلى بنى إسرائيل» [خر٢٥: ٢١-٢٢]

وفى التوراة: أن الله كان يرسل ملاكه؛ ليكلم البشر نيابة عنه، وكان يرسل الرسل مبشرين ومنذرين «ها أنا مرسل ملاكا أمام وجهك؛ ليحفظك فى الطريق وليجىء بك إلى المكان الذى أعددته. احترز منه واسمع لصوته، ولا تتمرد عليه..» [خر ٢٣: ٢٠]

ـ من السماء:

وكل شيء إلهي من الله غير مألوف في حياة الناس؛ يقول بنو إسرائيل عنه: إنه من السماء. أي ليس مما جرت به العادة. فالمائدة التي نزلت على الحواريين في زمان عيسى عليه السلام لم تنزل من السماء نزولا حسيا. وإنما بارك الله في الطعام الذي ما كان يكفي لواحد، حتى أنه كفي خمسة آلاف ولم تجر العادة أن يكثر كثرة هائلة، ويرزق جمعا عظيما. ولذلك قالوا عليه في زبور داود: إنه من طعام الملائكة، وقد نزل من السماء [مزمور ٧٨:١٩] ويوحنا المعمدان لما صبغ التائبين في نهر الأردن. وهم يعلمون أنه بار وقديس قالوا: إن معموديته من السماء. ولماذا قالوا: إنها من السماء؟ ليتميز عمل المعمدان عن عمل السحرة الكذبة الذين كان بنو إسرائيل يقولون على أفعالهم: إنها من الأرض. أي لم ينزل الله بها من سلطان.

وقد شهد عيسى للمعمدان بأن نبوته من السماء

ففي إنجيل متى:

«ولما جاء إلى الهيكل؛ تقدم إليه رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب. وهو يعلم قائلين: بأي سلطان تفعل هذا؟ ومن أعطاك هذا السلطان؟ فأجاب يسوع وقال لهم: وأنا أيضا أسألكم كلمة واحدة. فإن قلتم لي عنها، أقول لكم أنا أيضا: بأي سلطان أفعل هذا.

معمودية يوحنا من أين كانت؟ من السماء أم من الناس؟ ففكروا في أنفسهم قائلين: إن قلنا من السماء. يقول لنا: فلماذا لم تؤمنوا به؟ وإن قلنا من الناس. نخاف من الشعب؛ لأن يوحنا عند الجميع مثل نبي. فأجابوا يسوع، وقالوا: لا نعلم. فقال لهم هو أيضا: ولا أنا أقول لكم بأي سلطان أفعل هذا» [متى ٢١:٢٣ ـ ٢٧]

وكان عيسى عليه السلام يكلم بني إسرائيل على هذا المعنى. فقد علم الحواريين أن يقولوا في صلواتهم: «أبانا الذي في السموات» وفرق بين الأرضي والسماوي، وأكد على أن نبوته من السماء، وليست من الأرض، وأنها ليست مثل نبوة الأنبياء الكذبة الذين يأتون بثياب الحملان، وهم من داخل ذئاب خاطفة.

فقد روى عنه يوحنا أنه قال لنيقوديموس:

«أجاب يسوع وقال له: أنت معلم إسرائيل، ولست تعلم هذا؟ الحق الحق أقول لك: إننا إنما نتكلم بما نعلم، ونشهد بما رأينا، ولستم تقبلون شهادتنا. إن كنت قلت لكم الأرضيات، ولستم تؤمنون، فكيف تؤمنون إن قلت لكم السمويات؟» [يو٣: ١٠ ـ ١٢]

وروى يوحنا: أن المعمدان شهد لعيسى بأنه يتلقى الوحى من السماء. فقال:

«أجاب يوحنا، وقال: لا يقدر إنسان أن يأخذ شيئا إن لم يكن قد أُعطى من السماء. أنتم أنفسكم تشهدون لى أنى قلت: لست أنا المسيح، بل إنى مرسل أمامه. من له العروس؛ فهو العريس وأما صديق العريس الذى يقف ويسمعه؛ يفرح فرحا من أجل صوت العريس. إذاً فرحى هذا قد كمل. ينبغى أن ذلك يزيد وإنى أنا أنقص. الذى يأتى من فوق هو فوق الجميع، والذى من الأرض هو أرضى ومن الأرض يتكلم. الذى يأتى من السماء هو فوق الجميع» [يو ٣:٢٧ ـ ٣١]

وفى تفسير الكنز الجليل:

«السمويات :أى الحقائق التى لا يستطيع العقل التوصل إليها ولا الحكم بصحتها بمجرد قواه. ولم تُعلن إلا بالوحى. وهى مما يُقبل بالإيمان. ولعل المراد بها هنا: ملكوت الله والمسيح المنتظر. والأرضيات: هى ما يستطيع العقل البشرى أن يحكم بها» أ.هـ

* * *

وقد قال الله تعالى: ﴿وما أنزلنا على قومه من بعده. من جند من السماء. وما كنا منزلين﴾ يريد أن يقول: إن هذا الذى أرسلناه كان على شريعة بنى إسرائيل الذين لن ننزل عليهم من السماء من بعده، على رجل منهم، أى شىء. وذلك لأن الشريعة ستنتقل إلى بنى إسماعيل. وعلى بنى إسماعيل سننزل من جند من السماء من بعده. أى أن عيسى عليه السلام كان هو آخر نبى من بنى إسرائيل ينزل عليه من السماء، وانقطع وحى السماء عليهم من بعده. وفى القرآن هذا المعنى على بنى إسماعيل. فقد قال تعالى: ﴿إنا أنزلناه فى ليلة القدر. وما أدراك ما ليلة القدر .ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها﴾

٢ـ والوحى الكاذب عند بنى إسرائيل. قد تكلم الله كثيرا فى نفيه عن محمد ﷺ وهو أن بنى إسرائيل يعتقدون فى تحضير أرواح الموتى؛ لتخبرهم بماذا يفعلون؟ وقد قلنا فى كتابنا «إصلاح الشريعة»:

«ففى الزمان الذى اضطهد فيه أهلُ فلسطين بنى إسرائيل، وأخرجوهم من ديارهم وأبنائهم؛ كان الفلسطينيون عند أصنام لهم فى مدينة «جبعة» وكان فى العلماء من حولهم نفر تظاهروا بالجنون، وادعوا: أن روح الرب نزلت عليهم، وأنهم يتنبأون بالغيوب وأن النبى صموئيل أوصى طالوت عليه السلام بأن يجتمع بهم؛ ويتنبأ معهم. يقول له: «بعد ذلك تأتى إلى جبعة الله، حيث أنصاب الفلسطينيين، ويكون عند

مجيئك إلى هناك إلى المدينة؛ أنك تصادف زمرة من الأنبياء نازلين من المرتفعة، وأمامهم رباب ودف وناى وعود وهم يتنبأون؛ فيحلّ عليك روح الرب؛ فتتنبأ معهم، وتتحول إلى رجل آخر»

«ولما جاءوا إلى هناك إلى جبعة إذا بزمرة من الأنبياء لقيته، فحلّ عليه روح الله؛ فتنبأ في وسطهم، ولما رآه جميع الذين عرفوه منذ أمس وما قبله أنه يتنبأ مع الأنبياء، قال الشعب الواحد لصاحبه: ماذا صار لابن قيس؟ أشاول أيضا بين الأنبياء؟ . . .» [١صم ١٠: ١ ـ]

وفى التوراة: أن الفلسطينيين جمعوا جيشا فى مدينة «شُونم» وأن طالوت لما رآه «خاف واضطرب قلبه جدا» ولذلك فُتش على امرأة صاحبة جانّ. وطلب منها أن تحضر روح «صموئيل» لأنه قد مات ودفن فى «الرامة» مدينته. فأحضرتها «فقال لها: ما هى صورته؟ فقالت: رجل شيخ صاعد وهو مغطى بجبة، فعلم شاول أنه صموئيل؛ فخر على وجهه إلى الأرض، وسجد. فقال صموئيل لشاول: لماذا أقلقتنى بإصعادك إياى؟ فقال شاول: قد ضاق بى الأمر جدا. الفلسطينيون يحاربوننى، والرب فارقنى، ولم يعد يجيبنى، لا بالأنبياء ولا بالأحلام؛ فدعوتك لكى تُعلمنى ماذا أصنع؟ فقال صموئيل: ولماذا تسألنى والرب قد فارقك وصار عدوّك؟» [١ صم ٢٨]

إن هذا النص يدل على أن «الروح» كائن مادى ـ هو جسم ـ أو روحى مستقل عن الجسد ومنفصل عنه. ويدل على اتصال الموتى بالأحياء للمعونة والنصح والإرشاد. ويدل على مخالفة اليهود للتوراة. فإن فيها: «وإذا كان فى رجل أو امرأة جانّ أو تابعة؛ فإنه يقتل بالحجارة . يرجمونه. دمه عليه» [لا ٢٠: ٢٧] وكل هذا عند المتصوفة.

والذى يحضر فى مجالس تحضير أرواح الموتى هو: شيطان يحضر ويتكلم، ويوهم السامعين أنه روح الميت وينطق على لسانه بالكذب.

يقول الشيخ ابن تيمية ـ الحرانى ـ رحمه الله ـ:

«وأعرف فى زماننا غير واحد من المشايخ الذين فيهم زهد وعبادة. يظن كل منهم أنه «المهدى» وربما يُخاطب أحدهم بذلك مرات متعددة، ويكون المخاطب له بذلك؛ الشيطان. وهو يظن أنه خطاب من قبل الله[1]» أ.هـ

(١) منهاج السنة النبوية ص ٢١١.

نفي الوحي الكاذب:

وقد نفى الله الوحي الكاذب عن محمد ﷺ لئلا يظن أحد أنه متساوى مع أنبياء بنى إسرائيل الكذبة. وذلك بنفى استراق السمع من السماء، وبنفى تنزل الشياطين بالقرآن. فقد قال تعالى حكاية عن الشيطان: ﴿وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع؛ فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا﴾ ـ ﴿وما تنزلت به الشياطين وما ينبغى لهم وما يستطيعون. إنهم عن السمع لمعزولون﴾

إثبات البشرية:

وقد طُلب من النبى ﷺ معجزات حسية[1]. ورد بقوله: ﴿سبحان ربى هل كنتُ إلا بشرا رسولا؟﴾ فقد قال تعالى: ﴿وقالوا: لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب؛ فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا، أو تسقط السماء ـ كما زعمت ـ علينا كسفا، أو تأتى بالله، والملائكة قبيلا. أو يكون لك بيت من زخرف، أو ترقى فى السماء. ولن نؤمن لرقيك، حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه. قل: سبحان ربى .هل كنت إلا بشرا رسولا ؟﴾ وأعطى الله لمحمد ﷺ معجزة القرآن، وبين أنه كاف فى إثبات نبوته ، فقال: ﴿وقالوا: لولا أنزل عليه آيات من ربه؟ قل: إنما الآيات عند الله.وإنما أنا نذير مبين. أو لم يكفهم: أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم﴾؟ وبين أن المعجزات الحسية التى أعطاها للأنبياء السابقين؛ لم تصرف الناس عن الكفر إلى الإيمان. وهذا هو السبب فى أنه لم يعطه من المعجزات الحسية شيئا. فقد قال تعالى: ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون﴾ وذكر طلبهم ملك من الملائكة ﴿وقالوا: لولا أنزل عليه ملك. ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر، ثم لا ينظرون. ولو جعلناه ملكا، لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾

الفرق بين النبى الصادق والنبى الكاذب:

وكان الأنبياء الكذبة فى بنى إسرائيل يزعمون أن الوحى الذين يقولونه للناس؛ هو من السماء وهم يعلمون أنه من الشياطين، ويعلمون أن كل الذى يأتى من الشيطان؛

---

(١) اتفق علماء المسلمين على أن معجزة النبى محمد ﷺ هى القرآن الكريم من جهة أنه كان أميا لا يقرأ ولا يكتب، ونطق بالقرآن المعجز فى ألفاظه ومعانيه.. وهذا يدل على أن الله هو الذى علمه. واختلف المسلمون فى المعجزات الحسية الواردة عن طريق رواة الأحاديث مثل البركة فى الطعام وحنين الجذع وكلام الضب وشكوى الغزالة. فأثبتها له بعضهم، ونفاها عنه بعضهم. وقال النافون لمعجزة انشقاق القمر: إن انشقاقه كناية عن ظهور الإسلام ووضوحه؛ لا أنه انشق فعلا. وقالوا: إن المعنى الكنائى هو الصحيح؛ لأن الله قد نفى المعجزات الحسية بقوله: ﴿ أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم؟﴾ [راجع تفسير القرطبى فى سورة القمر]

يُنسب إلى الأرض، لأنها جهة السفل، وليست كالسماء جهة علو. ولذلك قال موسى النبى: إن الفرق بين النبى الصادق الذى يأتيه الوحى من السماء، وبين النبى الكاذب الذى يأتيه الوحى من الأرض؛ هو الإنباء بالغيوب. فالنبى الذى ينبىء بغيب، ويقع غيبه كما يقول؛ فإنه يكون هو النبى الصادق «وإن قلت فى قلبك: كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب؟ فما تكلم به النبى باسم الرب ولم يحدث ولم يصر؛ فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبى؛ فلا تخف منه» [تث١٨: ٢١ _ ٢٢]

انقطاع وحى السماء فى بنى إسرائيل:

وقد بين عيسى عليه السلام: أن النبى المنتظر سيأتى من بعده، وأنه صادق مثله. ولقب ملكه وسيادة شريعته على الأرض بلقب «ملكوت السموات» وأمر أتباعه بالدخول فى ملكوته. وحذرهم من أنبياء كذبة، سيظهرون من قبل زمانه

«لأنه سيقوم مسحاء كذبة، وأنبياء كذبة» [متى ٢٤: ٢٤] «احترزوا من الأنبياء الكذبة، الذين يأتونكم بثياب الحملان، ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة. من ثمارهم تعرفونهم» [متى ٧: ١٥ _ ١٦].

الإنباء بالغيب:

وكما قال موسى إن علامة النبى الصادق هى الإنباء بالغيب ويقع الغيب كما يقول. قال عيسى عليه السلام: إن هذه من علامة صدق محمد ﷺ؛ فإنه بعدما ذكر أن اسمه «بيراكليت» وأنه سيعلمهم ويذكرهم؛ قال: «ويخبركم بأمور آتية» [يو ١٦: ١٣]

وقد قال النصارى فى نبوءة البيركليت: إنه الأقنوم الثالث وقد نزل بعد الخمسين يوما. والرد عليهم: أنه لما نزل _ على زعمهم _ لم يعلم ولم يذكر ولم يمجد عيسى ولم يخبر بأمور آتية، ولم يفتح فاه بكلمة واحدة. فضلا عن أنه قال: إن البيركليت سيظهر ليزيل الروم من على الأرض بالحرب. ومن قبل ظهوره ستكون علامات: منها ظهور أنبياء كذبة، وحدوث اضطهادات لأتباعه، وقيام حروب بين الأمم، وظهور مجاعات وزلازل وأوبئة، وينتشر الإنجيل فى العالم، شهادة لجميع الأمم. وكل ذلك لم يحدث بعد خمسين يوما من ارتفاعه وصعوده إلى السماء.

انقطاع النبوة فى بنى إسرائيل بمحمد:

وقال عيسى عليه السلام: إنه إذا جاء «البيركليت» وهو «أحمد» ﷺ فإنه يجب على أتباعه أن يؤمنوا به. وإيمانهم به، وهو ليس من بنى إسرائيل؛ يدل على انقطاع

النبوة به فى بنى إسرائيل. ذلك قوله: «وقلت لكم الآن قبل أن يكون؛ حتى متى كان؛ تؤمنون» [يو ١٤ : ٢٩] وإذا انقطعت النبوة بمحمد ﷺ فى بنى إسرائيل؛ ينقطع فيهم الوحى الذى من السماء. الذى هو الوحى الصادق، وينقطع فيهم سبب الوحى الذى هو من الأرض. الذى هو الوحى الكاذب؛ لقوله تعالى: ﴿فمن يستمع الآن؛ يجد له شهابا رصدا﴾

وبيان الانقطاع: هو أن الراسخين فى العلم من بنى إسرائيل؛ يعلمون علم اليقين: أن نبوءات توراة موسى، وأسفار الأنبياء هى لمحمد ﷺ من ثبوت بركة فى إسماعيل، ومن انطباق الأوصاف عليه. وقد قال الله عن ذلك: ﴿يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾ وعلى هذا المعنى فإن النبى الذى يظهر من بعد عيسى عليه السلام ويزيل دولة الروم؛ فإنه يكون هو النبى الصادق. الآتى على مثال موسى. وعندهم فى كتبهم: أنه لا نبى من بعده. ولأنهم لن يصرحوا به ولن يؤمنوا به؛ فإنهم إذا سُئلوا عن الوحى الذى قد أبداه؛ سيجيبون بقولهم: إنه ليس وحيا من السماء، وإنما هو وحى من الأرض. ليس نبيا من السماء، وإنما هو نبى من الأرض. كالأنبياء الكذبة الذين يأتون بثياب الحُملان مظهرين التواضع، وهم من داخل ذئاب خاطفة. ومثل ذلك استهزاؤهم بالله عز وجل. ورد الله عليهم على شاكلتهم بقوله: ﴿الله يستهزىء بهم، ويمدهم فى طغيانهم يعمهون﴾

* * *

وقد جاء فى إنجيل برَنابا

«أجاب الكاهن:[1] إنه مكتوب فى كتاب موسى أن إلهنا سيرسل لنا مَسيا الذى سيأتى ليخبرنا بما يريد الله وسيأتى للعالم برحمة الله. لذلك أرجوك أن تقول لنا الحق: هل أنت مسيا الله الذى ننتظر؟ أجاب يسوع: حقا إن الله وعد هكذا، ولكنى لستُ هو؛ لأنه خُلق قبلى، وسيأتى بعدى. أجاب الكاهن: إننا نعتقد من كلامك وآياتك على كل حال؛ إنك نبى وقدوس الله لذلك أرجوك باسم اليهودية كلها وإسرائيل أن تفيدنا حباً فى الله بأية كيفية سيأتى مَسِيًّا؟ أجاب يسوع: «لعمر الله الذى تقف بحضرته نفسى: أنى لست مسيا الذى تنتظره كل قبائل الأرض، كما وعد الله أبانا إبراهيم قائلا: بنسلك

(١) قول الكاهن: إنه مكتوب فى كتاب موسى أن إلهنا سيرسل لنا مَسِيا الذى سيأتى ليخبرنا بما يريد الله. هو القول المكتوب فى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية عن محمد ﷺ وهو: «يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلى له تسمعون. . .» إلخ. وجميع علماء المسلمين يستدلون به على نبوة محمد ﷺ لكنهم لا يعرفون أن محمدا عند أهل الكتاب هو «المسيا» الذى تفسيره «المسيح» وبرنابا ينقل عن عيسى عليه السلام أن النبى الآتى ليقيم الدين هو المسيا. فالمسيا باعتراف عيسى نفسه هو محمد ﷺ

أبارك كل قبائل الأرض. ولكن عندما يأخذني الله من العالم سيثير الشيطان مرة أخرى هذه الفتنة الملعونة بأن يحمل عادمي التقوى على الاعتقاد بأني الله وابن الله فيتنجس بسبب هذا كلامي وتعليمي، حتى لا يكاد يبقى ثلاثون مؤمناً. حينئذ يرحم الله العالم ويرسل رسوله الذي خلق كل الأشياء لأجله. الذي سيأتي من الجنوب بقوة وسيبيد الأصنام وعبدة الأصنام، وسينتزع من الشيطان سلطته على البشر، وسيأتي برحمة من الله لخلاص الذين يؤمنون به، وسيكون من يؤمن بكلامه مباركاً. ومع أني لست مستحقاً أن أحل سير حذائه؛ قد نلتُ نعمة ورحمة من الله لأراه.

فأجاب حينئذ الكاهن مع الوالي والملك قائلين: لا تزعج نفسك يا يسوع قدوس الله لأن هذه الفتنة لا تحدث في زمننا مرة أخرى؛ لأننا سنكتب إلى مجلس الشيوخ الروماني المقدس بإصدار أمر ملكي: أن لا أحد يدعوك فيما بعد؛ الله أو ابن الله.

فقال حينئذ يسوع: إن كلامكم لا يُعزّيني؛ لأنه يأتي ظلام حيث ترجون النور. ولكن تعزيتي هي في مجيء الرسول، الذي سيبيد كل رأي كاذب فيَّ، وسيمتد دينه ويعم العالم بأسره؛ لأنه هكذا وعد الله أبانا إبراهيم. وأن ما يعزيني هو: أن لا نهاية لدينه؛ لأن الله سيحفظه صحيحاً. أجاب الكاهن: أيأتي رسل آخرون بعد مجيء رسول الله ؟ فأجاب يسوع: لا يأتي بعده أنبياء صادقون مرسلون من الله، ولكن عدد غفير من الأنبياء الكذبة وهو ما يحزنني؛ لأن الشيطان سيثيرهم بحكم الله العادل؛ فيتسترون بدعوى إنجيلي. أجاب هيرودس: كيف أن مجيء هؤلاء الكافرين يكون بحكم الله العادل؟ أجاب يسوع: من العدل أن من لا يؤمن بالحق لخلاصه؛ يؤمن بالكذب للعنته. لذلك أقول لكم: إن العالم كان يمتهن الأنبياء الصادقين دائماً وأحب الكاذبين. كما يُشاهد في أيام ميشع وإرمياء؛ لأن الشبيه يحب شبيهه

فقال حينئذ الكاهن: ماذا يُسمى مَسِيّا؟ وما هي العلامة التي تعلن مجيئه؟

أجاب يسوع: إن اسم مسيّا عجيب؛ لأن الله نفسه سماه لما خلق نفسه ووضعها في بهاء سماوي. قال الله: اصبر يا محمد؛ لأني لأجلك أريد أن أخلق الجنة والعالم وجما غفيراً من الخلائق التي أهبها لك، حتى أن من يباركك يكون مباركاً، ومن يلعنك يكون ملعوناً ومتى أرسلتك إلى العالم أجعلك رسولي للخلاص وتكون كلمتك صادقة حتى أن السماء والأرض تهنان، ولكن إيمانك لا يهن أبداً. إن اسمه المبارك محمد.

حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين: يا الله أرسل لنا رسولك. يا محمد تعالى سريعاً لخلاص العالم»

خاتمة الكتاب

هذا الكتاب يعرض وجهة نظر المثبتين لأشراط يوم القيامة، ووجهة نظرٍ فى نفيها، قد تكون مقبولة وقد تكون غير مقبولة.

وفى الفصل الأول وهو فصل تمهيدى لما سيأتى من بعده. وهو إثبات النفى. ذكرنا نبوءات من نبوءات التوراة عن النبى المنتظر، وطبقناها على محمد ﷺ وقوينا تطبيقنا بما كتبه القسيس الأشورى عبد الأحد داود . . وذكرنا من نبوءات الإنجيل نبوءات هى تدل عليه أيضا.

وفى الفصل الثانى بينا أن الانجيل يوضح بما لبس فيه ولا خفاء أن عيسى عليه السلام لن ينزل فى آخر الزمان، ومع هذا يزعم النصارى أنه سينزل. وغرضهم من هذا الزعم: هو تطبيق نبوءات التوراة والإنجيل التى تدل على محمد ﷺ عليه فى مجيئه الثانى؛ لأنه فى مجيئه الأول لم تنطبق الأوصاف عليه

وبينا فى الفصل الثالث أن اليهود والنصارى يلقّبون النبى الأمى الآتى على مثال موسى عليه السلام بلقب «المسيح الرئيس» وذلك بحسب لغتهم، ثم إنهم أوهموا العالم بأنه ليس محمدا ﷺ وإنما هو نبى لم يأت بعد، فى نظر اليهود، وإنما هو عيسى، فى نظر النصارى، ولأنهم متأكدون من مجيئه من بعد عيسى عليه السلام طبقا لنبوءات دانيال؛ كتبوا أن مسيحا دجالا سوف يظهر، ولما ظهر محمد ﷺ بثوا فى مدن أتباعه أن «المسيح الدجال» منُبه عليه فى كتبنا، ولكنهم لا يصرحون علنا بأنه هو محمد ﷺ.

وفى الفصل الرابع بينا أن اليهود يطلقون على النبى الأمى الآتى لقب «المهْدِى» لأنه سيهدى الأمم إلى الله بالشريعة التى سيعطيها له. بالحرب وبالقدوة الحسنة. وأنهم إلى الآن في انتظاره. وقد بثوا هذا اللقب فى المسلمين، ولكنهم لا يصرحون بأنه محمد وقد جاء.

وفى الفصل الخامس بينا أنه فى التوراة من علامات صدق محمد ﷺ فى دعوى النبوة؛ توجهه لقتال قبائل يأجوج ومأجوج فى الأيام الأولى من بدء نبوته. وقد توجه أتباعه من المهاجرين والأنصار إلى أرض فارس وحاربوا يأجوج ومأجوج الذين هم من أصل إيرانى، وفتحوا بلادهم ونشروا فيها الإسلام.

وفى الفصل السادس بينا أن الدابة التى ستكلم الناس قد خرجت، وكلمت بنى إسرائيل. وأن القول قد كان قبلها، وقد أوصله الله إليهم عن طريق الدابة. فقد قال

تعالى: ﴿إن هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل﴾ ثم قال: ﴿ وإذا وقع القول[1] عليهم؛ أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم﴾ وقال تعالى: ﴿ولقد وصّلنا لهم القول؛ لعلهم يتذكرون﴾ وبين الله تعالى أن كل ما يدب على الأرض؛ فهو دابة سواء أكان نبيا أو غير نبى، فى قوله: ﴿وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها﴾ والآدميون من الدواب. ولكنهم عقلاء. وكل الذى ذكرناه يؤكده قول الله تعالى فى القرآن الكريم عن الساعة: ﴿لا تأتيكم إلا بغتة﴾

وأرض الجنوب هى أرض مكة المكرمة، وبيان ذلك:

أن الله تعالى أمر إبراهيم عليه السلام بأن يخرج من أرض آبائه، مهاجرا إلى الله ورسوله. فخرج وأراه الأرض، التى فى جنوبها اليمن، وفى شمالها فلسطين. وقال له: سأعطى لنسلك هذه الأرض. ومنها ينتشرون فى بلاد العالم؛ لدعوة الناس إلىّ وبعد مدة من الزمان سكن بنو إسرائيل فى الشمال حول القدس. وسكن بنو إسماعيل فى الجنوب، حول مكة المكرمة. وقد وعد الله إبراهيم بنبى من آل إسماعيل هو محمد ﷺ وذلك بأن أثبت بركة لإسماعيل، وأظهر أوصافه فى قوله: « يقيم لك الرب إلهك: نبيا من وسطك من إخوتك. . .الخ» وكاتب التوراة وضع بدل «مكة» كلمة « أرض الجنوب» ولأن أرض الجنوب غير مفسرة بأنها أرض «مكة» فسرها عيسى عليه السلام بقوله: « حينئذ يرحم الله العالم، ويرسل رسوله، الذى خلق كل الأشياء لأجله. الذى سيأتى من الجنوب بقوة، وسيبيد الأصنام، وعبدة الأصنام. . .» ومن نصوص التوراة على أرض الجنوب: « فبنى هناك مذبحا للرب، ودعا باسم الرب، ثم ارتحل أبرام ارتحالا متواليا نحو الجنوب» [تك ١٢: ٨ ـ ٩] «وسار فى رحلاته من الجنوب إلى بيت إيل» [تك ١٣: ٣]

« وانتقل إبراهيم من هناك إلى أرض الجنوب» [تك ٢٠: ١] وفى التوراة: أن «إسحق» قد سكن مع إسماعيل أخيه فى حياة أبيهما «وكان إسحق قد أتى من ورود بئر لحى رئى إذا كان ساكنا فى أرض الجنوب» [تك ٢٤: ٦٢] وفى سفر النبى حبقوق: أن أرض الجنوب سيخرج منها النبى الأمى الآتى على مثال موسى. وأنه فى خروجه سيشن حربا شديدة على أعداء الله. ذلك قوله: « الله جاء من تيمان. والقدوس من جبل فاران. سلاه. جلاله غطى السموات ، والأرض امتلأت من تسبيحه. وكان لمعان كالنور. له من يده شعاع. وهناك استتار قدرته. قدامه ذهب الوبأ. .الخ» وعن القدوس

---

(١) اقرا عن (القول) فى المزمور ١١٩.

تمجد إشارة إلى تثنية ٣٣: ٢ وقضاه: ٤ ومزمور ٦٨: ٧

وقد بينا فى أول هذا الكتاب: أن شيخ الأزهر الشيخ محمود شلتوت ـ رضى الله عنه ـ ومن بعده الشيخ محمد الغزالى ـ رضى الله عنه ـ ومن قبلهما الشيخ الجَصّاص ـ رضى الله عنه ـ المتوفى سنة ٣٧٠ هـ وكثيرون . قد صرحوا بأن العقائد الإسلامية لا يُستدل عليها إلا بالقرآن الكريم وحده، وذلك لأن السنّة مروية برواية الآحاد. وتعليلهم بأن عدم الاستدلال بها هو لأنها مروية برواية الآحاد. يجب أن يُؤخذ به فى التشريعات. وذلك لأن العلّة هى لبيان أن الناقل عن رسول الله ﷺ واحد. وفى القرآن الكريم أن شهادة الواحد لا تثبت حقا، ولا تدفع باطلا حتى ولو كان عدلا. أى هى شهادة مردودة. لا يصدّق صاحبها ولا يكذب. وإذ هو لا يصدق ولا يكذب. فإن قوله فى حكم عقائدى، هو كقوله فى حكم تشريعى. فلماذا تُرد رواية الآحاد فى العقائد، ولا تردّ فى التشريعات؟

وإن مذهب عائشة رضى الله عنها ـ الذى نسبه الرواة إليها ـ هو رد الحديث إلى القرآن. سواء أكان فى العقائد هذا الحديث أو كان فى التشريعات. فمن هو هذا الذى يفرق فى مذهبها بين العقيدة والشريعة فى الرد إلى القرآن؟ إن قولها :«حسبكم كتاب الله» هو ميزان عام. يُلزم المسلم بردّ أى حديث يسمعه إلى القرآن سواء أكان هذا الحديث فى العقائد أو فى التشريعات ـ التى هى الفقه ـ لأن الميزانْ هو للكل بدون تفرقة. وعبارات الإمام الشيخ. محمود شلتوت، تدل على منع الآحاد فى العقائد، ولا تدل على منع الآحاد فى الفقه. وعبارات الإمام الشيخ محمد الغزالى تدل على المنع فى العقائد وفى الفقه. فلماذا التعليل إذاً بأن الواحد بمفرده ليس كلامه حجة، ثم يؤخذ به فى موضع ولا يؤخذ به فى موضع؟ إنه إما الأخذ بالآحاد فى العقائد والفقه معا. وإما عدم الأخذ بالآحاد فى العقائد والفقه. إذْ ليس على التفرقة من دليل. وأيضا: لثبوت التناقض فى روايات الآحاد. والدليل على ثبوت التناقض فى روايات الآحاد: هو وجود المذاهب السنية الآخذة بها بكثرة. وفيها مذهب يخالف مذهبا. ولئن سألت عن سبب المخالفة . يُقال فيها: إن صاحب المذهب قد بلغه حديث، لم يبلغ غيره فعمل به. وبلغ غيره ضده فى المعنى فعمل به. ولذلك يقال: إن هذا الشئ حرام فى مذهب، وحلال فى مذهب. وأهل الحديث كلهم يعلمون علم اليقين. هم وأصحاب المذاهب الآخذة بالحديث مع القرآن. يعلمون: أن الأحاديث كلها مروية برواية الواحد. أحاديث العقائد وأحاديث الفقه. وعلم مصطلح الحديث يوضح هذه الحقيقة. وقد وضحها الشيخ محمود شلتوت فى كتبه، ونَقَل عن الحافظ« ابن الصلاح» قوله:« وإن أردتّ

حديثا متواترا؛ أعياكَ تطلُّبه؛ فلماذا التفرقة؟

ولو أن المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها يستدلون على العقائد والتشريعات بـ ١ ـ القرآن ٢ ـ والسنة النبوية المفسرة للقرآن؛ لكانوا كلهم على رأى واحد، ومذهب واحد. وهم إذا صاروا على رأى واحد، ومذهب واحد؛ لا تطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾ ولماذا يقبلون السنة غير المفسرة للقرآن. وهم يعلمون علم اليقين: أن النبى ﷺ مكلف بالبيان والتفسير والشرح والإيضاح لآيات القرآن وليس مكلفا بأن يظهر ما يعارضها ويناقضها أو يكمّلها؟ ذلك قوله تعالى: ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾

لذلك أدعو المسلمين جميعا إلى عمل مذهب عقائدى واحد. تكون أدلته من القرآن والسنة المفسرة للقرآن وإن لم يفعلوا؛ فستظل التفرقة قائمة بين المسلمين وبسببها ليس للمسلمين قوة العالم .

ويجب على المسلمين عمل مذهب واحد فى الفقه. أدلته تكون من القرآن والسنة المفسرة له فقط. وذلك للم شمل المسلمين، ولمنع الحيرة فى معرفة الحكم الشرعى.

وهذا هو آخر كلامنا فى هذا الكتاب. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد النبى الأمى، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بخير إلى يوم الدين. وكان الفراغ منه فى الخامس من ذى الحجة سنة ألف وأربعمائة وثمانية عشر من الهجرة

تم الكتاب ولله الحمد

*****



الفهرس

تم الفهرس. والحمد لله رب العالمين

